التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة

وترتيب نظام الكهنوت



الكنيسة سفينة الخلاص

(أنظر شرح الأيقونة صفحة ٣٠٠)

بحث وثائقي كنسي

مصطلحات ومعارف كنسية

-١-

التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة

وترتيب نظام الكهنوت

بحث وثائقي كنسي

يرجع إلى أقدم مراجع التقليد الكنسي

(الكتاب المقدس والمخطوطات والصلوات الطقسية)

(وكتابات آباء ومعلمي الكنيسة الأبرار وكبار علماء اللاهوت الأرثوذكس)

الطبعة الأولى

١٩٩٧ميلادية - ١٧١٣ للشهداء

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٧/٤٥٢٣
رقم الإيداع الدولي: ٢-٧٠-٥٥٤٥-٩٧٧
الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧



أيقونة الرب يسوع المسيح رئيس الكهنة الأعظم

"الأسقف الكبير ورئيس الأسقفية والأول في طغمة الكهنوت ورأس الكهنة"

والذي له كل المجد والكرامة في كل جيل وإلى أبد الدهور

آمين

المحتويات

القسم الثاني

الكنيسة جسد المسيح

أو الإكليروس في الكنيسة ٦٧

الباب الأول

رتبة الأسقف الإبيسكوبوس ٦٧

الباب الثاني

تمهيد

١. الداعي إلى هذا البحث وأسلوب الخوض فيه

يتناول الكثيرون أحياناً موضوعات كنسية على جانب كبير من الخطورة ولكن بصورة مبتورة مما يكثر معها الجدل العقيم الذي يؤدي إلى التشويش والاضطراب حول الحقائق الكنسية. ونعتقد أن السبب في هذا التشويش يرجع إلى أن هذه الموضوعات تناقش بطريقة مفردة، أي على غير **الخلفية الكنسية التقليدية المختصة بأساس قيام الكنيسة وطبيعة الكنيسة كجماعة وشركة في المسيح.**

وفي الكنيسة الأولى كان التقليد القانوني الكنسي جزءاً لا يتجزأ من التقليد المختص بأساسيات "**قيام الكنيسة**"، "وأساسيات **نظام الكنيسة**"، و "**ترتيب نظام الكهنوت**" (**وهذه المصطلحات الثلاثة داخل الأقواس وبالبنط الثقيل** هي المصطلحات الواردة في المخطوطات الكنسية المنسوخة باللغة العربية والتي تحوي كافة قوانين الكنيسة، وهي المرجع الأساسي لنا في هذا البحث).

فقوانين الكنيسة لم توضع لذاتها وبطريقة مستقلة عن هذه الخلفية، بل كانت توضع لتكون **التعبير المنظم** عن **هذه الخلفية** أي طبيعة **الكنيسة**، **ولكي** تكون هي الحدود التي تحفظ حياة الكنيسة واختبارها اليومي داخل "أساسيات **قيام الكنيسة**"(١)

ولكن قليلاً قليلاً ولأسباب تاريخية وروحية عديدة انفصل التقليد القانوني عن التقليد المختص بطبيعة الكنيسة وأساسياتها وقيامها، أي انفصل عن العلم اللاهوتي أو العقيدة أو الإيمان، وأصبح بنيان الدرجات الكهنوتية والسلطان الكنسي والعلاقات بين الكنائس بعضها بالبعض وبين الإكليروس والشعب عرضة للتشويه بسبب ممارستها بمعزل عن هذه الأساسيات، وصارت قوانين الكنيسة وكأنها قد وضعت لذاتها كمجرد قوانين، مما قد يوحي للبعض بأنه يمكن تجاوز هذه القوانين أحياناً، أو التشدد في تطبيقها في غير محل التشدد أحياناً أخرى، أو التجرؤ حتى على محاولة تبديلها وتعديلها أحياناً ثالثة، ظناً أنه لا ضرر من

---

(١) هذه الأساسيات أصبحت تدرس اليوم في كافة المعاهد اللاهوتية في كنائس العالم وانتظمت تحت ما يسمى علم الكنسيات أو **Ecclesiology**

ويشرح **القديس ذهبي الفم** هذا الموضوع بقوله:

[لقد صرتم كهنة في المعمودية .. وبينما كان هناك في العهد القديم ثلاث طبقات مختلفون يُمسحون: أنبياء وكهنة وملوك، فإن المسيحيين يقتنون هذه الثلاث الدرجات. فكل المسيحيين كهنة بمعنى أنهم يقدمون أجسادهم لله كذبائح](٧)

ويضيف **العلاّمة أوريجانس** إلى نوعية هذه الذبائح: [ذبيحة الذات بالمحبة، وجحد الذات أمام الله]، وأيضاً [لذلك يجب أن تقدموا لله ذبيحة التسبيح (عب ١٣:١٥)، ذبيحة الصلوات، ذبيحة الرحمة، ذبيحة الطهارة، ذبيحة القداسة](٨).

(وطبعاً هذه الرؤية الآبائية عن مسحة كهنوت جسد المسيح هي الأساس لكهنوت الأسرار(٩)، أي كهنوت خدام مذابح العهد الجديد المرسومين من أجل تقديم ورفع قرابين العهد الجديد من الخبز والخمر ليتحولا إلى جسد المسيح ودمه. وهذا ما سيتم توضيحه في القسم الخاص بالإكليروس من هذا البحث)(١٠).

٢ - الدعوة النبوية لشعب الله:

المسيح هو "النبي" العظيم للعهد الجديد الذي وعد الله به الشعب القديم على فم موسى النبي: "يقيم لك الرب نبياً من وسطك من اخوتك مثلي. له تسمعون" (تثنية ١٨:١٥). وإلى أن يُستعلن المسيح في مجده في مجيئه الثاني، فهو يُتمّ كل يوم دعوته النبوية وسط العالم من خلال شعب الله (إكليروساً وشعباً).

← (بقية الحاشية من أسفل الصفحة السابقة)

(٦)يوستينوس، الشهيد في حواره مع تريفو، القديس إيريناوس في كتابه ضد الهراطقة، كلمنضس الاسكندرى في تفسيره لنص رسالة بطرس الاولى٢: ٩، أوريجانس في تفسيره لسفر اللاويين، الدسقولية١٥، ديديموس الاسكندري، القديس يوحنا ذهبي الفم في تفسيره للرسالة الثانية إلى كورنثوس بخلاف الآباء الذين كتبوا باللاتينية.

(٧) العظة الثالثة على الرسالة الثانية إلى كورنثوس.

(٨) **SC 287.72**. النص عن: **Thomas Halton, *ibid* . p.146**. راجع أيضاً: القمص تادرس يعقوب، ***الكهنوت والشعب عند العلاّمة أوريجينوس***، صفحة ١٨–٢١ فصل ***الكهنوت العام***.

(٩) **"كهنوت الأسرار الإلهية"** تعبير كنسي مأخوذ من صلوات رسامة الأسقف حيث يقول رئيس الأساقفة :[...**وتخدم كهنوت أسرارك الإلهية**]- عن مخطوطة الإفخولوجيون، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة.

(١٠) راجع بند ***أصل الوظيفة الكهنوتية للأسقف والقس***"، الفصل الأول من القسم الثالث **القس البريزفيتيروس** من هذا البحث.

وتقدم الدسقولية (تعاليم الرسل) هذا التعليم إلى الكنيسة:

[كونوا، إذاً، يا رجال شعب الله، مسالمين بعضكم للبعض، وجاهدوا كمثل حمامة حكيمة أن تملأوا الكنيسة، فتغيِّروا وتروِّضوا مَنْ هم متوحشون، وتُحضروهم إلى وسطكم. وهذه هي المكافأة العظيمة التي وعد بها الله، أن من يخلِّص هؤلاء من النار ويُدخلهم إلى الكنيسة، فإنه يثبت ويُحسب من بين الأمناء].

أي أن الدعوة النبوية لشعب الله هي **نشر السلام على الأرض، ودعوة الناس إلى حياة الخلاص والتوبة، والتخلي عن نزعة الوحشية في الطبيعة البشرية العتيقة، والتحلي بطبيعة الوداعة كمثل الحمامة.**

٣ - الرتبة الملوكية لشعب الله:

إن الرب يشاء أيضا أن ملكوته يمتد وينتشر من خلال عمل شعب الله، ملكوت الحق والحياة، ملكوت القداسة والنعمة، ملكوت البر والمحبة والسلام.

والمسيح هو ملك الملوك (١تي٦: ١٥، رؤ١٧: ١٤) ورئيس ملوك الأرض (رؤ١: ٥). وشعب الله يقتنى صفة الملوكية من واقع نعمة التبني التي نالوها في الإبن الكلمة، ونوالهم الميراث بالتبني، وهكذا صاروا "ورثة الملكوت" (يع ٢:٥)، و"وارثون مع المسيح" (رو٨:١٧؛ عب١١:٩). وبخضوعهم للمسيح الرب والملك، وبسبب إيمانهم بربوبية وملوكية المسيح، فإن عليهم دوراً خاصاً في نشر ملكوته على الأرض. ومن أخطر أعداء رتبة الملوكية لشعب الله الشقاق والخصام، فكما يقول **القديس باسيليوس الكبير** في سياق حديثه عن الدينونة([11])، إن الشقاق دليل على **نكران ملوكية المسيح**:

[إن تجاهل الملك الحقيقي الوحيد يؤدي إلى نزاع وشجار عظيمين بين رجال الكنيسة، وكل واحد فيهم يهجر تعليم المسيح وينتحل لنفسه تعاليم وأفكاراً خاصة به ... إن عدم الاتفاق فيما بيننا، هو علامة على أننا إما هجرنا أو أنكرنا ملكنا الحقيقي الآتي]–القديس باسيليوس

([11]) **PG 31.656** النص عن: *نفس المرجع ص*١٤٧

المؤمنين بعضهم بالبعض كعلاقة الجسم بالأعضاء. وهنا يبدو التنوع والتمايز والتعدد بين الأعضاء من جهة مواهبهم والوزنات الموكولة إليهم من الله والموزعة عليهم من الروح القدس. وأولى هذه المواهب والوزنات، مواهب التدبير والنبوة والتعليم(٢). وكيف أنها تعمل على تحقيق الوحدة بين الأعضاء من خلال التعدد والتنوع والتمايز في مواهبهم لجد الرأس المسيح حسب قول القديس بولس الرسول: "فإن الجسد أيضاً ليس عضواً واحداً بل أعضاء كثيرة. لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً" (١ كو ١٢:١٢و١٤).

وهذا هو موضوع **القسم الثاني من هذا البحث: الكنيسة جسد المسيح.**

وسواء في صورة الكنيسة كشعب الله أو صورة الكنيسة كجسد المسيح، فالكنيسة هي مؤسسة إلهية في أصلها، بشرية في فروعها. فالأشخاص الذين اتحدوا وتطعموا في المسيح بالمعمودية وأصبحوا شركاء في أعمال الله العظيمة لخلاص العالم هم الذين يكوّنون الكنيسة "شعب الله". إنهم يكوّنون مجتمع الإيمان الذي يضرب جذوره وأساس تكوينه في الإيمان بالله الواحد المثلث الأقانيم، والمبني على أساس المسيح نفسه حجر الزاوية، الصخرة التي بنيت عليها الكنيسة كوعد الرب: "على هذه الصخرة (المسيح ابن الله الحي) أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٦:١٨).

فالكنيسة بهذه الصورة **تحمل صفة تفوق صفات التجمعات البشرية في الحياة** الاجتماعية التاريخية للبشر. لأن أساسها ليس من هذا العالم بل في الإيمان بابن الله الحي، وبنيانها يرتفع إلى السماء فهي في شركة مع السمائيين في العالم العلوي، كما أنها ليست منحصرة في هذا الزمان بل تمتد إلى الدهر الآتي إذ سوف تتجلى إلى ملكوت الله الأبدي.

وهذه هي المعالم الأساسية للكنيسة حتى تُستعلن وتثبت أنها كنيسة الله (إذ ليس أي تجمع للمسيحيين يجعل منهم كنيسة):

١.اجتماع شعب الله المفدي (أي الذي نال سر المعمودية المقدسة وسر الميرون)،

---

(٢) هناك قائمتان للمواهب في العهد الجديد، الأولى وردت في الرسالة إلى رومية ١٢:٦-٨ "أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان، أم خدمة ففي الخدمة، أم المعلم ففي التعليم، أم الواعظ ففي الوعظ، المعطي فبسخاء، المدبِّر فباجتهاد، الراحم فبسرور". والثانية وردت في الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٢:٢٨-٣٠ "فوضع الله في الكنيسة: **أولاً رسلاً**، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع ألسنة".

وذلك في موضع جغرافي محدَّد، **حول سر الإفخارستيا في كل ليتورجية**[٣] **(أي القداس الإلهي)**، حيث تتحقق شركة المؤمنين الساكنين في هذا الموضع، في الثالوث الأقدس، بسبب اشتراكهم في الأقنوم الثاني المتجسد.

٢. أن يضم هذا الإجتماع الإفخارستي **كل المؤمنين على اختلاف انتماءاتهم ومستوياتهم**، دون تمييز بسبب الجنس أو المهنة أو القومية أو اللغة الخ.: أي الرجال والنساء، ومن كافة الأعمار والأجناس والانتماءات الاجتماعية ومن كافة مستويات الحياة الروحية.

وبهذا العمل الليتورجي للكنيسة تشهد الكنيسة بحق للثالوث الأقدس هكذا: أشخاص عديدون، مختلفون بعضهم عن البعض، ولكن يشاركون في الحقيقة الواحدة المشتركة أي الطبيعة البشرية الجديدة المفتداة والمتحدة بالمسيح. ولهذا تبدأ الكنيسة خدمة ليتورجيتها (القداس الإلهي) بالمناداة عالياً بالمجد والإكرام للثالوث الأقدس، ثم بالسلام والبنيان للكنيسة: "مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس. سلاماً وبنياناً لكنيسة الله الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية، آمين". فعمل الكنيسة الأساسي هو إعطاء وإعلان المجد والكرامة لله الثالوث الأقدس والشهادة لوحدانية الثالوث، وهذا العمل هو الذي يضع في الوقت نفسه أساس السلام والبنيان والوحدة لكنيسة الله الواحدة.

وبهذا يمكن أن يُطلق على هذا التجمع: **كنيسة الله في الموضع الفلاني** (مدينة أو حي أو أي مسمًّى جغرافي آخر). إذ هكذا نجد تسمية الكنيسة في الإنجيل وفي رسائل القديس بولس: (كنيسة الله في كورنثوس، كنيسة الله في أفسس ... الخ). وهكذا فبهاتين العلامتين اللتين تتضمنان علامات الكنيسة الأربع: واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية، تتحدد الكنيسة وتُستَعلن.

إن مياه المعمودية الواحدة التي وُلد منها هؤلاء المؤمنون هي الباب المؤدي والضمان الأكيد لهذه الوحدة-الفائقة، التي هي الصورة والشهادة التي يشهد بها الشعب الجديد لوحدانية الثالوث الأقدس في ذات الله الواحد والتي منها تنبثق وحدة الكنيسة، ومن وحدة الكنيسة يشع الرجاء الأكيد لوحدة البشرية جمعاء (دون أي تمييز لأي سبب) في الله، حيث يصير الله الكل في الكل، وهذا ما نترجاه في الدهر الآتي.

---

(٣) "ليتورجية" مصطلح لاهوتي باللغة اليونانية ويعني الخدمة الكنسية التي يقوم بها الشعب. فالقداس الإلهي أو الليتورجية هو عمل شعب الله ويتقدمهم الكهنة.

تأمل خطورة مهمة الكنيسة تجاه العالم والبشرية، وبالتالي خطـورة وأهميـة مثابرتهـا علـى إعطاء المجد والكرامة لله الثالوث وإعـلان وحدانيتـه، الـتي هـي أسـاس وحدانيتهـا في الـروح وثباتها في الرأس الذي هو المسيح. ومنه تعرف أيضاً خطورة النتائج المترتبـة علـى أي انحـراف عن التعليم الإلهي والتقليد الأبوي الرسولي المسلّم لكنيسة الله بهذا الخصوص.

ثانياً: بعض التعريفات والمصطلحات الهامة

الكنيسة شعبٌ وإكليروس

هناك الكثير من الكلمات والمصطلحات الكنسية والمسيحية يُساء فهم معناها داخل الكنيسة، إما بسبب استخدام هذه الكلمة في الصحف العامة والكتابات الأدبية بمعنى آخر أو بسبب ضياع المفهوم الكنسي الصحيح نتيجة لتراكم الجهل مع النسيان مع الإهمال على ذاكرتنا الكنسية. وكأمثلة من ذلك تعبير "العلماني" الذي نعتقد أن تصحيح المفهوم الخاص به يمكن أن يحل مشاكل كثيرة ويتفادى مجادلات عقيمة لا داعي لها.

لاؤس: كلمة يونانية تعني **"شعب"**. والاستعمال المسيحي لهذه الكلمة مُشتقٌّ من استعمالها في الترجمة اليونانية للعهد القديم، حيث كانت كلمة **"لاؤس"** تُطلق على شعب الله، أي شعب إسرائيل، المختار والمفروز من الله ليكون شعبه الذي دخل الله معه في عهد. أما في العهد الجديد فإن شعب الله امتد ليشمل كل من يقبل الله ويؤمن بالمسيح إلهاً ومخلِّصاً. وهكذا فالكنيسة هي جماعة الذين يؤمنون بالمسيح، فهم شعب الله الجديد الحقيقي. هم الـ **"لاؤس"**. وكل مسيحي هو بالتعبير الكنسي **"لائيكوس Laikos"** أي "عضو في شعب الله الجديد".

إذن **فاللائيكوس** هو كل من دخل في الاختيار الإلهي ونال من الله موهبة وامتياز العضوية في شعب الله. فهذه دعوة إيجابية، مختلفة جذرياً عن فهمنا لكلمة "علماني". لأن كلمة "علماني" وباللغة اليونانية "كوزميكوس **Kosmikos**" أي منسوب إلى "العالم= **Kosmos** كوزموس"، وهذا مخالف للواقع المسيحي، فشعب الله أي المسيحيون وإن كانوا يعيشون في العالم لكنهم في عمق حياتهم الروحية ودعوتهم السمائية لملكوت الله "ليسوا **من العالم**": "لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم" (يو١٥:١٩).

في تعليم الكتاب المقدس كل مسيحي، حتى إن كان أسقفاً أو قساً أو شماساً، هو قبل كل شيء "لائيكوس"، أي عضو في شعب الله، فهو اصطلاح شامل لكل مسيحي. فنحن قبل كل شيء لاؤس لأن الكنيسة كلها هي **الشعب والعائلة والجماعة التي اختارها وأسسها الله**.

"العلماني" (أي عضو شعب الله)، مرسوم:

تعودنا أن نفكر في "الرسامة" على أنها علامة مميزة خاصة للإكليروس. فهناك المرسومون وهناك "العلمانيون" أي المسيحيون غير المرسومين.

هنا أيضاً، الأرثوذكسية تختلف عن الكاثوليكية والبروتستانتية في فهمها للإكليروس. فإن كانت الرسامة تعني أولاً انسكاب مواهب الروح القدس، فكل مسيحي منا قد **نال نعمة رتبة التبني بالروح القدس** في سر المعمودية بالماء والروح ثم نال موهبة وختم الروح القدس من أجل تثبيت وتكميل دعوتنا كمسيحيين وكأعضاء في الكنيسة جسد المسيح، إذ أنهم سبق أن نالوا في المعمودية نعمة أن يكونوا **"أعضاء مكرمة في الكنيسة الجامعة"**(٤).

فكل "علماني" هو في الواقع اللاهوتي "مرسوم" أو "موسوم"، أي نال "وَسْم" الروح القدس، أي نال سر المسحة المقدسة المسماة في صلوات الكنيسة الطقسية "وَسْم"، ويصلي **القديس كيرلس الكبير عمود الدين** في قداسه المعروف باسم القداس الكيرلسي قائلاً:

[يا الله الذي سبق **فوسمنا للبنوة** بيسوع المسيح ربنا كمسرة إرادتك]

أي – بحد تعبير القديس كيرلس أيضاً في قداسه – [أننا قد نلنا "رتبة البنوة"]. وكلمة **"رتبة"** أتت ترجمة لكلمة **"أكسيوما ⲁⲍⲓⲱⲙⲁ"** وهي الكلمة التي تُستخدم لوصف الرتبة **RANK**، أو كما ورد في قانون رقم ٥ من قوانين مجمع نيقية (سنة ٣٢٥م) وقانون رقم ٦ من قوانين مجمع القسطنطينية المسكوني (سنة ٣٨١م) توصيف أعضاء شعب الله بأنهم "طغمة – النطق العربي للكلمة اليونانية TAΓMA" والتي تعني **"رتبة"** و**"قسم"** أو **"فرقة من ألوية وفرق الجيش"**، **أو قسم من أقسام القوات السمائية.** فهذه الكلمة تصف رتب وأقسام أعضاء الكنيسة الجامعة، وسماهم "طغمة اللاؤس-شعب الله" جنباً إلى جنب مع "طغمة الإكليروس"(٥). ونحن نقصد من وراء ذكر هذه الكلمات اليونانية ومعانيها أن نبين اللغة التي تكلم بها آباء الكنيسة في تقليدهم الكنسي عن شعب الكنيسة كقسم وجزء مميز لا يتجزأ من بنيان كنيسة الله وليس مجرد "علمانيين" لهم أشغالهم المدنية العالمية "فلا حق لهم في الإهتمام بشئون الكنيسة والإطمئنان على إيمانها ونظامها وسلامتها بل عليهم أن يتركوا ذلك للإكليروس" كما يدَّعي البعض.

---

(٤) صلوات سر المعمودية، *صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية*، مكتبة المحبة، صفحة ٣٦

(٥) **Lamp, *A Patristic Greek Lexicon*, p 1370-1**

إذن فالمسيحي **وُسم أو رُسم** لكي يصبح "**لائيكوس**" أي "عضو في شعب الله"، نائلاً رتبة البنوة لله بالنعمة، وذلك بنواله سر المسحة المقدسة. ولهذا وُجد سرَّان وليس سراً واحداً للدخول إلى الكنيسة، لأنه في المعمودية نسترجع في أنفسنا طبيعتنا الإنسانية التي فسدت ونالت إمكانية وحتمية الموت بالخطية الجدية، أما في سر المسحة فنحن ننال السلطان والقوة الفاعلة الإيجابية والنعمة أن نصير في عضوية شعب الله الجديد، وبالتالي أن نعيش ونتصرف كمسيحيين، وأن نبني معاً كنيسة الله، ونصير مسئولين كلنا عن حياة الكنيسة.ففي سر المعمودية المقدسة) يصلي الكاهن لله أن يجعل المعمَّد:

"خروفاً في القطيع المقدس للمسيح

عضواً مكرماً في الكنيسة الجامعة

إناءاً طاهراً

ابناً للنور

وارثاً للملكوت

حتى إذا جاهد كوصايا المسيح، وحرس خاتم الروح القدس من أي سارق، وحفظ اللباس غير المضمحل، يفوز بطوباوية أصفيائك بالمسيح يسوع ربنا"(٦)

يسمي بولس الرسول المسيحيين "رعية مع القديسين وأهل بيت الله": "... فلستم إذاً بعد غرباء ونُزُلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله. مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه **حجر الزاوية**. الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب الذي فيه أنتم مبنيون معاً مسكناً **لله في الروح**.." (أف٢:١)

وما يؤكد هذا المفهوم معنى الليتورجية، فهي تعني "خدمة الشعب وهم متحدون، شركاء، يجتمعون معاً في نفس المكان، متحدون معاً في رفع قرابينهم، في **صلح وسلام** بعضهم مع البعض، وذلك للاحتفال بسر الإفخارستيا". وكل الصلوات التي يصليها الكاهن إنما تكون بصيغة المتكلم الجمع: "نحن"، "نسأل ونطلب"، "نقدم"، "نشكرك"، "نمجدك"، "ندخل"، "نصعد"، "ننال"، بل إن الكاهن في صلاة الحل من الخطايا، يقف في موقف الصلاة والتوسل إلى الله الذي "له وحده سلطان مغفرة الخطايا" (مت٩:٦) يسأل الله من أجل

---

(٦) صلوات سر المعمودية، *صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية*، مكتبة المحبة، صفحة ٣٦

الشعب ومن أجل نفسه: "حاللنا وحالل سائر شعبك"، وهو نفسه ينضم في الطلبة إلى "سائر شعبك" فيذكر نفسه قائلاً: "وضعفي" لكي ينال هو أيضاً الحِلّ من الله عن خطاياه.

فعضو شعب الله الذي يُطلق عليه -خطأ- كلمة "العلماني" هو الشريك الأساسي مع الكاهن في ممارسة أهم طقس في الكنيسة أي سر الإفخارستيا، لأن هذا السر هو عمل وخدمة الشعب أي الكنيسة كلها. فالكاهن - باعتباره رافع قرابين الشعب "**اللاؤس**" كله والمتحدث عنهم أمام الله- يقدم لله صلوات الكنيسة، إذ **الشعب اللاؤس** هم الذين أعطاهم القانون الكنسي الحق في اختيار خادم المذبح بحرية ليُقام كاهناً (أسقفاً أو قساً)، لكي يحفظ داخل كنيسته أو إيبارشيته التي أُقيم عليها الإيمان الرسولي والعقيدة الآبائية والتعليم الأرثوذكسي، ولكي يرفع قرابينهم أمام الله، وليوصل لهم مواهب ونِعَم الله. لذلك فإن كلمة "**آمين**" التي يصرخ بها الشعب بعد كل صلاة يصليها الكاهن تعني الموافقة والاتفاق والمشاركة في القداس، وبدون وجود شعب في الكنيسة لا يستطيع الكاهن وحده أن يقيم القداس الإلهي. **يقول القديس يوحنا ذهبي الفم:**

[الإفخارستيا هي شركة للكل. فهي لا تُقام بالكاهن وحده بل بالشعب مع الكاهن، لأنه يبدأ قداس الإفخارستيا بقوله: ("فلنشكر الرب")، فقط بعد أن يعطيه الشعب الموافقة بإعلانهم بأنه: "مستحق ومستوجب"]

(عظة على ٢كو ١٨: ٣)

وهذه هي سمة التقليد الليتورجي في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المستقيمة الرأي، والتي تختلف عن قانون الصلاة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التي يمكن أن يُقام فيها القداس الإلهي بواسطة الكاهن وحده في غياب الشعب والشماس. كما يقول كتاب الخولاجي المقدس: [**من المعلوم أن الصلوات الكنائسية مشتركة بين ثلاثة لا يمكن الإستغناء عن حضور أحدهم. وهم الكاهن والشماس والشعب**](٧)

معنى رتبة الإكليروس:

ثم إن فهمنا الصحيح لكلمة "**كليروس**" يوضح لنا وضع من نسميهم بالعلمانيين أيضاً: فإن الكلمة "**كليروس**" تعني القسم المخصص لله. "**كليروس**" هو ذلك القسم من البشر

---

(٧) القمص عبد المسيح صليب، *كتاب الخولاجي المقدس*، مطبعة عين شمس، ١٦١٨ للشهداء ١٩٠٢ ميلادية، ص ٤

الذي يؤول لله والذي قَبل دعوته وأفرز نفسه وكرس حياته لله. بهذا المعنى فإن كل الكنيسة موصوفة أنها "كليروس" أي نصيب أو ميراث الله. ألا تسمع هذه الصلاة في كل قداس:

[يا الله خلّص **شعبك**، بارك **ميراثك "كليرونوميا"**].

فالكنيسة أي المسيحيون لأنهم هم **شعب الله** الجديد فهم **نصيب الله وميراثه**. (راجع الشواهد الآتية: ١بط٢:٥،٩ ؛ رؤ١:٦ ؛ الدسقولية ٦:١، ٤:٤، ٣٧، ٤:٣٧، ٣٦:٨٦).

ولكن من واقع التخصيص والتمييز تحدد لفظ "**إكليروس**" طقسياً ليصف أولئك الذين يكرسون وقتهم تماماً لكي يتمموا الخدمة الخصوصية بين شعب الله، الذين أُفرزوا ليخدموا باسم الجماعة كلها. فانه منذ البدء لم يكن شعب الله بلا شكل تنظيمي محدد، بل استلم الرسل من المسيح نفسه بنياناً أو نظاماً أو شكلاً أو تنظيماً لتدبير الكنيسة: "وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً **فوضع الله أناساً في الكنيسة**: أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين ثم قوات..." (١كو١٢:٢٨و٢٧). تأمل في كلمة "**وضع الله أناساً في الكنيسة**"، هذا يعني أن قسمة المواهب على الأفراد في الكنيسة هي ترتيب إلهي وليس بشرياً.

وتاريخياً، بُنيت الكنيسة على المسيح حجر الزاوية والرسل الذين اختارهم المسيح بنفسه. والرسل أعطوا بالتالي للكنيسة أن **يختاروا ويقيموا** الذين يعاونوهم ويخلفونهم، حتى من خلال تقدم ونمو الكنيسة غيْر المنقطع، يبقى الاختيار الإلهي والإقامة الإلهية مستمرة.

"**الإكليروس**" بهذا المعنى الخاص، إذن، نحن في احتياج إليهم ليجعلوا الكنيسة ما ينبغي أن تكون عليه الكنيسة: أي شعب الله وميراثه الخاص. وظيفتهم الأساسية أن يخلّدوا داخل الكنيسة ما لا يمكن الاعتماد على البشر غير الموسومين بالروح القدس تحقيقه، أي أن يجعلوا محبة الله، ونعمة الله، وتعليم الله، ووصايا الله، وسلطان الخلاص والشفاء الإلهيين حقيقة واقعة في حياة الشعب. وفي كل هذا هم يتممون العمل **الخاص بالله**.

نؤكد هنا على كلمة "**الخاص بالله**" لأن الغرض الأساسي من قيام "الإكليروس" يكمن أساساً في تعريف الناس بالتعليم الإلهي. فهو ليس تعليمهم هم وليس سلطانهم هم، فهم لا يملكون شيئاً من عندياتهم، ولكن عندهم ما سبق حفظه وبقاؤه في الكنيسة مُستلَماً من المسيح عبر الرسل وبتعليم آباء الكنيسة الأبرار حتى يومنا هذا، وهذا ما يُكوِّن جوهر الكنيسة. الكاهن عنده سلطان أن يعلّم ولكن في حدود تقليد الكنيسة، وأن يتصرف ويدبر ولكن في حدود الطاعة لهذا التقليد. له سلطان إقامة الأسرار ولكن أيضاً بقدر ما يتمم ويوفي

حق كهنوت المسيح نفسه، ويوزع مواهب ونعم الله على المؤمنين ويعطي المجد للمسيح في النهاية. إنه مقيَّد بالحق الذي يمثله. وهكذا فهو لا يستطيع أن يعلِّم أو يأمر أو يدبر باسم نفسه بل باسم المسيح وبشهادة الكتاب المقدس وتأييد التقليد الرسولي والتعاليم والرسوم الأبوية المقدسة.

كثيراً ما يخطئ الناس في فهم سلطان الكهنوت، وهم لا يعرفون أن الكاهن لا يمثل إلا سلطان الله الممنوح له من خلال الكنيسة شعب الله، اللاؤس، الكنيسة التي هم أعضاء فيها، الكنيسة التي انتخبته، وأن هذا السلطان هو لبنيان جسد المسيح الذي هو شعب الله (أف٤: ١٢)، والمقصود أنه لبنيان النفوس بالتعليم الصحيح وبالنعم الممنوحة بالأسرار وبالوعظ، والتنبيه الأبوي المستمر للمؤمنين ليلازموا دائماً حياة التقوى، والإنذار بالوداعة للمخطئين في حق وصايا الله ليلجأوا للتوبة والندم على الخطية.

فالكنيسة كإكليروس مسئولة عن خدمة خلاص الشعب ونواله الحياة الأبدية في الدهر الآتي. لذلك فكل أعمال الرعاية هذه إنما تؤديها بسلطان، هو **سلطان الروح القدس**، الذي هو **سلطان محبة الله التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطَى لنا "في سر المسحة المقدسة"** (رو ٥: ٥)، **وذلك** لتُحبِّب للناس التوبة وتدفعهم بالإقناع إلى ممارستها. لذلك فهي لا تفتأ تعظ وتعلِّم وتفتقد، **وأولاً** تقدم المثل والنموذج والقدوة "كن قدوة للمؤمنين" (١تي٤: ١٢)، التي هي القرين والتوأم المُلازم للتعليم "من عمل وعلَّم فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات" (متى٥: ١٩).

وهذا السلطان يُمارس أولاً وأخيراً **بالصلاة، حسب التسليم الرسولي** (كمثل **صلاة** التحليل في سر التوبة)، لذلك **لا يستطيع الكاهن أن يمارس أي سر من الأسرار الكنسية السبعة بدون الصلاة، وفي خشوع وانسحاق ومخافة شديدة أمام الله (أنظر صلاة الكاهن الخشوعية ما قبل المعمودية – الفصل الثالث من "رتبة الإيبسكوبوس")**.

وبهذه المحبة، وفي إطار الصلاة، تُظهر الكنيسة أنها **"تترفق بالجميع"** (٢تي٢: ٢٤)، و**"تُشفق على الرعية"** (كما استخدم القديس بولس الرسول كلمة "يُشفق" ليصور الصفة التي يتمتع بها الراعي الحقيقي بالنسبة للرعاة الذين سيظهرون بعد ذهابه وشبَّههم بذئاب خاطفة "لا تُشفق على الرعية" – أع٢٠: ٢٩). فالكنيسة هي المجال الذي يُظهر فيها الراعي **محبة الله وشفقة الله وأحشاء تحننه** لشعبه التي ظهرت وبانت على الصليب. فنحن بمقتضى رحمة الله قَبِلْنا من الله هذه النعمة أن نوجد في بيته ونصير من أهل بيته، واستحققنا –

بنعمته فقط وليس بأي استحقاق منا- أن نتناول جسده ودمه لنوال نعمته والشركة معه. والإكليروس يمثلون هذا الاستمرار في المحبة وهذه الشخصية المميزة للكنيسة في التعليم والحياة والنعمة المستمدة من شخص المسيح، يمثلون استمرارها من خلال المكان والزمان، فهم يعلِّمون التعليم الأزلي، ويُحضرون لنا نفس المسيح الأزلي، ويعلنون عمل الله الأبدي في الخلاص.

وبدون هذا البنيان الإلهي للكنيسة وبدون سماته هذه، تصير الكنيسة مجرد تنظيم بشري يعكس مختلف الأفكار والأذواق والأمزجة البشرية التي للناس، وتكفُّ عن أن تكون المؤسسة الإلهية التي أسسها الله على شخصه المبارك وصفاته وفضائله، والتي هي عطية الله لنا جميعاً ولكل الأجيال في كل زمان ومكان.

لهذا فإذا اقتصرت الكنيسة على الإكليروس فقط، أو إذا اقتصرت على من يسمونهم العلمانيين فقط فلن يكون هناك "لاؤس"، ولا يكون اللاؤس "كليروس"، وبالتالي لا تكون هناك "كنيسة" أي عطية الله للبشر، ولن تعود هناك "آمين" تُقال، إذ ما دام لا يكون هناك عطية من الله فلا يكون هناك قبول للعطية بالـ"آمين".

إن سر حلول الروح القدس في الدرجات الكهنوتية المقدسة هو الذي يجعل الكنيسة كلها هي اللاؤس شعب الله، وكل اللائيكوس هم كليروس أي مفرزون ومخصصون لله، وكل الإكليروس هم من اللاؤس أي شعب الله الحقيقي. أما من يسمونهم "العلمانيون" فيها فليسوا في الواقع "علمانيين" بل ميراث الله، اقتناء الله، شعب الله. والإكليروس ليسوا في الواقع طبقة أو سلطة خارجية مفروضة على شعب الله أي الكنيسة يخاف الناس من سلطانهم ويقاومونه، بل هم في الواقع الروحي الصحيح كمثل **الشرايين في الجسم البشري، يحملون دم الخلاص الأبدي وترياق الحياة الأبدية لأعضاء الجسد السري للمسيح**(٨) **ليصير الجسد بأعضائه في حياة** وحركة وديناميكية لتكميل توبة أعضائه ولامتداد الكرازة باسم المسيح.

تأمل كيف يحرص البشر في حياتهم الجسدية اليومية على سلامة شرايينهم الجسدية وكيف يبذلون الغالي والرخيص ليُنقُّوا مسالكها **من كل مادة غريبة** تترسب على جدرانها وتعيق تدفق الدم أي الحياة **إلى كل أعضاء الجسد**، ولو أدى الأمر إلى إجراء العمليات الجراحية

---

(٨) نقصد بالجسد السري للمسيح جسد الكنيسة الذي يَستعلن ويتكون من المؤمنين في كل مرة يتحدون بسر الإفخارستيا أي جسد المسيح ودمه الأقدسين، فيكوِّنون مع المسيح جسداً سرائرياً واحداً إسمه الكنيسة.

المؤلمة؟!!

بهذه الصورة المبدعة تُستعلن كنيسة الله للعالم، صورة للمحبة والشفقة والتآلف، يُستعلن فيها المسيح نفسه بمحبته وبذله وحياته الأبدية ليهبها للعالم من خلال الكنيسة. ومن منا لا يريد الكنيسة أن تكون على هذه الصورة السمائية على الأرض؟! ومن منا لا يسعى بجد وغيرة لتحقيق ذلك؟!

القسم الأول

الكنيسة شعب الله

رتبة اللاؤس شعب الله

λαος

أولاً: شعب ملوكي كهنوتي نبوي

لقد أراد الله – جلّت مشيئته – أن يجعل البشر قديسين، ويخلق منهم لا أفراداً متفرقين بلا أي رابط بينهم أو وثاق لأننا حتى على المستوى البيولوجي نولد من أسرة، بل أن يجعلهم شعباً يعرفونه ويعبدونه **معاً** بالروح والحق. لذلك اختار أولاً في القديم شعباً من بين شعوب الأرض، ومن هذا الشعب الواحد اتسع الاختيار ليعمَّ كل الأمم ليكون للرب شعب واحد مستعد هو **شعب الله الجديد** كما تنبأ زكريا الكاهن: "لكي يهيئ (يوحنا المعمدان) للرب شعباً" (لو١: ١٧).

وهكذا بدأ هذا الشعب الجديد بخميرة من الإثني عشر تلميذاً (على شبه الإثني عشر سبطاً (أي قبيلة) من شعب إسرائيل القديم)، وصاروا يحسون في أنفسهم أنهم هم "**إسرائيل الجديد**"، وبعد صعود المسيح وامتداد البشارة بالإنجيل من اليهودية والسامرة إلى الأمم في أقصى الأرض، عمَّ الإيمان بالمسيح كل المسكونة وأصبح لله شعبٌ مستعدٌ من بين كل شعوب الأرض. وكما يقول **الكاتب المسيحي ميليتس من ساردس** (١٨٠م) إنه حالما بُنيت الكنيسة وكُرز بالإنجيل، فإن الرمز (الذى هو شعب إسرائيل القديم) يكون قد أُفرغ من مضمونه، إذ قد تكوَّن الشعب الحقيقي الذى يطلبه الله، وكذلك ناموس العهد القديم قد أُفرغ من غايته. بل إنه انتقل ليصير هو ناموس الإنجيل([1]). ويذكر القديس يوستين الشهيد نبوة زكريا النبي عن شعب الله الجديد هكذا: "فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم، ويكونون لي شعباً، فيكونون في وسط الأرض" (زك٢: ١١–ترجمة من النص).

ويقول **القديس الشهيد يوستينوس**:

([1]) عظة على عيد الفصح–عن مجموعة **Sources Chrétien. 123.80-82** (واختصار اسم هذه المجموعة **SC**). النص عن: **Thomas Halton, *THE CHURCH*, M. G., Wilmington, Delaware, p.63,64**

[فإننا نحن المسيحيين لسنا فقط شعباً بل شعبٌ مقدس، كقول الله: "ويسمونهم شعباً مقدساً، مفديي الرب" (إش٦٢: ١٢)، لذلك فنحن **شعب الله المختار**]

القديس يوستين الشهيد – في الحوار مع تريفو(٢).

والمسيح بمجيئه إلى العالم، صار هو الخلاص لكلا اليهود والأمم على حد سواء، إذ جعل منهما شعباً واحداً مبرَّراً بالصليب بحسب قول القديس بولس: "لكي يخلق الاثنين في نفسه **إنساناً واحداً** جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في **جسد واحد** مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به. فجاء، وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب. فلستم إذاً بعد غرباء ونُزُلاً، بل **رعية** مع القديسين، **وأهل بيت الله. مبنيين** على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه هو حجر الزاوية، الذى فيه **كل البناء** مُركّباً معاً ينمو **هيكلاً مقدساً** في الرب. الذى فيه أنتم أيضا مبنيُّون معاً **مسكناً** لله في الروح" (أف٢: ٥-٢٢).

إذا تأملنا هذه الصور والرموز المتتابعة التي صوَّر بها بولس الرسول نشأة شعب الله الجديد، نجدها هي نفسها صور ورموز شعب الله في العهد القديم: (**رعية ، بيت الله، هيكل الله، مسكن الله**). وكل هذه الصور تقودنا إلى اسم "**الكنيسة**"، فيشرحها **القديس كيرلس الأورشليمي** هكذا:

[الكنيسة تسمى "إككليسيا"، أي الاجتماع، لأنها تدعو وتجمع كل البشر كما ذكر الرب في سفر اللاويين: "واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع" (لا٨: ٣). وهذه هي أول مرة تذكر فيها كلمة "الاجتماع" في الأسفار المقدسة حينما دعا الله هارون إلى الكهنوت المقدس، ومرة أخرى يُذكر اسم الكنيسة حينما يتكلم عن لوحي الشريعة: ".. المكتوبين بإصبع الله وعليهما جميع الكلمات التي كلمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع" (تث١٠)، وكأن الله يريد أن يقول بكلمات أوضح: "في اليوم الذى فيه اخترتكم لتكونوا كنيسة"] – **القديس**

---

(٢) **PG 6.752**-مجموعة باترولوجيا جريكا أي كتابات الآباء الذين كتبوا باليونانية. النص عن: *نفس المرجع صفحة* ٦٦،٦٧

كيرلس الأورشليمي([3]).

◻ شعب كهنوتي ملوكي نبوي:

يوصف شعب الله في العهد القديم دائماً بأوصاف عمل المسيا المثلث المهام: **كاهن، نبي، ملك**. فالمسيح بالرغم من أنه لم يكن سليل بيت هارون (أي ليس من سلالة سبط الكهنوت في العهد القديم)، ولا ارتقى إلى الملوكية بمبايعة الجنود له، ولا كان نبياً مثل أنبياء العهد القديم، إلا أنه يوصف بهذه الأوصاف الثلاثة من قِبَل الآب، ليس بالرمز بعد بل بالحقيقة. فاستُعلن كاهناً ونبياً وملكاً وذلك بتلقيبه باسم المسيح، وباعتباره ابن الله. وهكذا امتلأ العالم بذكر اسم المسيح، من خلال إطلاق هذا الاسم الحسن على "المسيحيين". وكما يقول **القديس يوحنا ذهبي الفم في عظته الثالثة على الرسالة الثانية إلى كورنثوس:**

[فنحن الذين نتمتع بالملكوت، صرنا كهنة بتقديم أجسادنا ذبيحة لله (رو١٢: ١)، وأصبحنا أنبياء لأن ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن" (١كو٢: ٩) قد أعلنه الله لنا بروحه.]([4])

أما **القديس أمبروسيوس أسقف ميلان** في القرن الرابع فيربط بين مسحة الكهنوت التي مُسح بها شعب الله الجديد وبين جرن المعمودية، متخذاً من قصة اختيار هارون في العهد القديم للكهنوت مثلاً (عدد١٧: ١-١١):

[فكما أزهرت عصا هارون بعد أن كانت يابسة، هكذا أنتم كنتم يابسين بسبب خطاياكم وأخطائكم وتعدياتكم، ولكنكم الآن أزهرتم بمياه المعمودية، وبدأتم تعطون ثماركم "كالشجرة المغروسة عند مجارى المياه" (مز١: ٣). ومَنْ يكون هذا الشعب، إذن، إلا أن يكون هو الممسوح بمسحة الكهنوت لأنه قيل للشعب:"وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء... كهنوتاً مقدساً **لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (١بط٢: ٩،٥)**. فكل

([3]) **PG33.1044**. النص عن: *نفس المرجع* ص١٥٢
([4]) **PG 61.411** النص عن: *نفس المرجع* ص٧١

واحد يُمسح بالمسحة، فهو يُمسح للملكوت، والملكوت الروحي هو الكهنوت الروحي.] –**القديس أمبروسيوس–العظات على الأسرار**

لقد استفاض آباء **الكنيسة** في شرح هذه الوظائف الروحية الثلاث لشعب الله، ذلك أن شعب الله لم يُختر من بين الأمم لغير ما غرض، بل لمقاصد إلهية أزلية، وهي الشهادة لاسمه، وخدمة كلمته، والشفاعة من أجل كل العالم، ولتمجيده وتسبيحه وسط الخليقة ونيابة عنها.

ويجمل القديس **يوحنا ذهبي الفم** هذه الوظائف الروحية الثلاث في هذا الشرح المبدع:

[لقد صرتَ في المعمودية **ملكاً وكاهناً ونبياً**:

ملكاً بمعنى أنك ألقيتَ وطرحتَ أرضاً كل أعمال الشر وذبحتَ خطاياك؛

كاهناً بمعنى أنك تقدم نفسك لله، إذ قدَّمتَ جسدك ذبيحة وأنت نفسك ذُبحتَ أيضاً، "إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه" (٢تي٢: ١١)؛

نبياً إذ أنت تعرف ما سيكون، وقد تعلمتَ من الله، وقد خُتمتَ. إذ كما يُطبع على الجنود بختم، هكذا على المؤمن طُبع ختم الروح القدس]

القديس يوحنا ذهبي الفم

العظة ٣: ٧ على الرسالة الثانية إلى كورنثوس(٥)

[فإن الذين يعتمدون الآن يُدهنون أو توضع اليد عليهم لا ليصيروا كهنة، ولكن ليصيروا مسيحيين من قِبَل المسيح **"مملكة وكهنوتاً وأمة مقدسة"، كنيسة الله، عموداً ثابتاً للعريس، الذين لم يكونوا شعباً في ذلك الزمان، وأما الآن فقد أحبهم الله واختارهم**] –**الدسقولية ١٥: ١٥**

١ – المسحة الكهنوتية لشعب الله:

وهي تُنال عند المعمودية، كما أجمع آباء الكنيسة(٦).

---

(٥) **PG 61:417** النص عن: *نفس المرجع* ص١٤٧

ويشرح القديس **ذهبي الفم** هذا الموضوع بقوله:

[لقد صرتم كهنة في المعمودية .. وبينما كان هناك في العهد القديم ثلاث طبقات مختلفون يُمسحون: أنبياء وكهنة وملوك، فإن المسيحيين يقتنون هذه الثلاث الدرجات. فكل المسيحيين كهنة بمعنى أنهم يقدمون أجسادهم لله كذبائح][٧]

ويضيف **العلاّمة أوريجانس** إلى نوعية هذه الذبائح: [ذبيحة الذات بالمحبة، وجحد الذات أمام الله]، وأيضاً [لذلك يجب أن تقدموا لله ذبيحة التسبيح (عب ١٣:١٥)، ذبيحة الصلوات، ذبيحة الرحمة، ذبيحة الطهارة، ذبيحة القداسة][٨].

(وطبعاً هذه الرؤية الآبائية عن مسحة كهنوت جسد المسيح هي الأساس لكهنوت الأسرار[٩]، أي كهنوت خدام مذابح العهد الجديد المرسومين من أجل تقديم ورفع قرابين العهد الجديد من الخبز والخمر ليتحولا إلى جسد المسيح ودمه. وهذا ما سيتم توضيحه في القسم الخاص بالإكليروس من هذا البحث)[١٠].

٢ - الدعوة النبوية لشعب الله:

المسيح هو "النبي" العظيم للعهد الجديد الذي وعد الله به الشعب القديم على فم موسى النبي: "يقيم لك الرب نبياً من وسطك من اخوتك مثلي. له تسمعون" (تثنية ١٨:١٥). وإلى أن يُستعلن المسيح في مجده في مجيئه الثاني، فهو يُتمُّ كل يوم دعوته النبوية وسط العالم من خلال شعب الله (إكليروساً وشعباً).

← (بقية الحاشية من أسفل الصفحة السابقة)

[٦]يوستينوس، الشهيد في حواره مع تريفو، القديس إيريناوس في كتابه ضد الهراطقة، كلمنضس الاسكندرى في تفسيره لنص رسالة بطرس الاولى٢: ٩، أوريجانس في تفسيره لسفر اللاويين، الدسقولية١٥، ديديموس الاسكندري، القديس يوحنا ذهبي الفم في تفسيره للرسالة الثانية إلى كورنثوس بخلاف الآباء الذين كتبوا باللاتينية.

[٧] العظة الثالثة على الرسالة الثانية إلى كورنثوس.

[٨] **SC 287.72**. النص عن: **Thomas Halton, *ibid* . p.146**. راجع أيضاً: القمص تادرس يعقوب، ***الكهنوت والشعب عند العلاّمة أوريجينوس***، صفحة ١٨-٢١ فصل ***الكهنوت العام***.

[٩] **"كهنوت الأسرار الإلهية"** تعبير كنسي مأخوذ من صلوات رسامة الأسقف حيث يقول رئيس الأساقفة :[...**ونخدم كهنوت أسرارك الإلهية**]- عن مخطوطة الإفخولوجيون، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة.

[١٠] راجع بند ***"أصل الوظيفة الكهنوتية للأسقف والقس"***، الفصل الأول من القسم الثالث ***القس البريزفيتيروس*** من هذا البحث.

وتقدم الدسقولية (تعاليم الرسل) هذا التعليم إلى الكنيسة:

[كونوا، إذاً، يا رجال شعب الله، مسالمين بعضكم للبعض، وجاهدوا كمثل حمامة حكيمة أن تملأوا الكنيسة، فتغيِّروا وتروِّضوا مَنْ هم متوحشون، وتُحضروهم إلى وسطكم. وهذه هي المكافأة العظيمة التي وعد بها الله، أن من يخلِّص هؤلاء من النار ويُدخلهم إلى الكنيسة، فإنه يثبت ويُحسب من بين الأمناء].

أي أن الدعوة النبوية لشعب الله هي **نشر السلام على الأرض، ودعوة الناس إلى حياة الخلاص والتوبة، والتخلي عن نزعة الوحشية في الطبيعة البشرية العتيقة، والتحلي بطبيعة الوداعة كمثل الحمامة.**

٣ – *الرتبة الملوكية لشعب الله:*

إن الرب يشاء أيضا أن ملكوته يمتد وينتشر من خلال عمل شعب الله، ملكوت الحق والحياة، ملكوت القداسة والنعمة، ملكوت البر والمحبة والسلام.

والمسيح هو ملك الملوك (١تي٦: ١٥، رؤ١٧: ١٤) ورئيس ملوك الأرض (رؤ١: ٥). وشعب الله يقتني صفة الملوكية من واقع نعمة التبني التي نالوها في الإبن الكلمة، ونوالهم الميراث بالتبني، وهكذا صاروا "ورثة الملكوت" (يع ٢: ٥)، و"وارثون مع المسيح" (رو٨:١٧؛ عب١١:٩). وبخضوعهم للمسيح الرب والملك، وبسبب إيمانهم بربوبية وملوكية المسيح، فإن عليهم دوراً خاصاً في نشر ملكوته على الأرض. ومن أخطر أعداء رتبة الملوكية لشعب الله الشقاق والخصام، فكما يقول **القديس باسيليوس الكبير** في سياق حديثه عن الدينونة(١١)، إن الشقاق دليل على **نكران ملوكية المسيح:**

[إن تجاهل الملك الحقيقي الوحيد يؤدي إلى نزاع وشجار عظيمين بين رجال الكنيسة، وكل واحد فيهم يهجر تعليم المسيح وينتحل لنفسه تعاليم وأفكاراً خاصة به ... إن عدم الاتفاق فيما بيننا، هو علامة على أننا إما هجرنا أو أنكرنا ملكنا الحقيقي الآتي]–القديس باسيليوس

---

(١١) **PG 31.656** النص عن: *نفس المرجع* ص١٤٧

ونعود إلى شرح القديس يوحنا ذهبي الفم في معنى ملوكية شعب الله:

[لقد صرتَ في المعمودية ملكاً بمعنى أنك ألقيتَ وطرحتَ أرضاً كل أعمال الشر وذبحتَ خطاياك]

إن الرتبة الملوكية لشعب الله هي دليل عتقهم من ناموس الخطية وعبودية إبليس وخروجهم إلى الحرية الحقيقية حرية مجد أولاد الله بالسيادة على شهوات الجسد والنفس: "وأما الآن إذ أُعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة. والنهاية حياة أبدية لأن أجرة الخطية هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رو٦: ٢٣).

دعوة شعب الله للقداسة:

إن الكنيسة كشعب الله مدعوة كلها(١٢) إلى حياة القداسة بحسب وصية الله في القديم "وللشعب تقول تقدسوا.." (عدد ١١: ١٨)، "فتكونون قديسين" (لا١١: ٤٥). وفي العهد الجديد: "نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة، لأنه مكتوب: كونوا قديسين لأني أنا قدوس"(١بط١: ١٥)، "لأن هذه هي إرادة الله قداستكم" (١تس٤: ٣).

وتأتي دعوة الله للقداسة كنتيجة طبيعية ولازمة لدعوة الله الأولى لفرز شعب الله من بين شعوب الأرض، ليكون خاصة لله: "فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة من جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة" (تث١٩: ٥). وفي العهد الجديد يتسع مفهوم هذه الخصوصية بفداء المسيح: ".. يسوع المسيح الذى بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة" (تيطس٢: ١٣،١٤)، "وأما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأما الآن فأنتم شعب الله" (١بط٢: ٩،١٠)، "لذلك... كأولاد الطاعة لا تُشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم، بل نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً

---

(١٢) تذكَّر القارئ بما أوضحناه أن الكنيسة هى شعب الله بكل من فيه من أصحاب مواهب ورتب خدمة كهنوتية.

قديسين في كل سيرة"(١بط١: ١٤، ١٥).

لذلك يدعى المسيحيون "**ميراث الرب**" (مز٣٣: ١٢)، أو "كليرونوميا **Kleronomia**"، أي نصيب وقرعة الرب "**Kleros**" ولذلك أيضا نسمع الكاهن يصلي من أجل شعبه المسيحيين قائلاً:

[خلِّص شعبك (لاؤس **Laos**) بارك **ميراثك** (**Kleronomia**)، ارْعَهم إلى الأبد]

طلبة أسبوع الآلام (عن مزمور٢٨: ٩)

والدعوة إلى الانفصال والفرز هي انفصال الشعب عن "شهواتكم السابقة في جهالاتكم"، والفرز هو للتكريس القلبي والحياة لله في وسط العيشة في العالم.

ثم أتت دعوة آباء الكنيسة أيضا إلى القداسة أو الكمال، موجهة لشعب الله، كل من يتبع المسيح، كما يقول **القديس غريغوريوس النيصي** في كتابه عن "الكمال":

[فكل شعب الله هم أتباع المسيح ولابد أن نُظهِر من خلال حياتنا ما تتطلبه قوة هذا الاسم العظيم منا].

ويلخص **القديس غريغوريوس**(١٣) سمات الحياة المسيحية في ثلاثة مواقف: **الفعل، الكلمة، الفكر**، فالمسيحي يتقدس في الروح والنفس والجسد بحسب صلاة الرسول بولس: "إله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١تس٥: ٢٣).

والقديس أغسطينوس(١٤) يقرر أن الكنيسة تعطى القوة للجميع ليشتركوا في نعمة الله، فعليهم أن يختاروا **أن يكونوا قمحاً لا زواناً**.

والعلاَّمة أوريجانوس في تفسيره على رسالة روميه(١٥) يحث المسيحي **أن يطابق نفسه على صورة المسيح**، إذا أراد أن يبلغ قمم الكمال وينال التطويب. أما علامة القداسة الأكيدة فهي

---

(١٣) **PG 46.244** النص عن: **Thomas Halton, *ibid.* p.151**

(١٤) النص عن: *نفس المرجع* ص١٥٢

(١٥) **PG 14.1124** والنص عن: *نفس المرجع* ص١٥٤

"المحبة".

والمحبة هي ضد الخصام والشقاق، **والقديس كلمنضس الروماني** يؤكد أن:

[المحبة لا تحلُّ في أجواء الانقسام، المحبة لا تتعارك، المحبة تحفظ الترابط والانسجام. في المحبة يصير كل مختاري الله كاملين. وبدون المحبة لا شئ يُرضى الله]

الرسالة إلى كورنثوس١: ١٣

وفي رسالة وجهها القديس كبريانوس إلى النساء الثريات في قرطاجنه([١٦])، أوضح لهن أن الغَنيَّ حقاً هو الغَنيُّ بالله، والثريُّ حقاً هو الثَريُّ في المسيح، وأن البركات الحقيقية هي البركات الروحية التي تقودنا إلى الله وتدوم معنا في اقتناء أبدى مع الله:

[الأبديات والإلهيات هي ما ينبغي أن نسعى وراءه وكل شئ يجب أن نعمله بحسب مشيئة الله، وبهذا نتبع آثار أقدام ربنا الذى حذرنا قائلاً: "لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذى أرسلني"(يو٦: ٣٨). فإن كان التلميذ ليس أعظم من معلمه، فإننا نحن معشر المسيحيين علينا أن ننفذ كلمات المسيح هذه. والكنيسة تعلمنا: "من قال إنه ثابت فيه، ينبغي أنه كما سلك ذاك، هكذا يسلك هو أيضاً" (١يو٢: ٦).]

سجايا وفضائل المؤمنين شعب الله:

هذا هو الحديث الذى توجهه الدسقولية إلى شعب الله:

١:٦ [اسمعوا هذا أيها الشعب، كنيسة الله المختارة. إن الشعب الأول كان يُدعى شعب الله، والأُمة المقدسة. وأنتم كنيسة الله المقدسة التي كُتبت في السموات مملكة وكهنوت للأمة المقدسة، شعب بار، العروس المزينة للإله، الكنيسة العظيمة، الكنيسة الأمينة.

مقدمة:١١ [احرصوا يا أبناء الله أن تصنعوا كل شئ يأتي بكم إلى صوت الله. وارضوا

([١٦])النص عن: *نفس المرجع* ص١٥٨

الرب إلهكم في كل شئ. لأنه إن سعى واحد إلى الخطية وصنع ما يتضاد مع إرادة الله فهذا يُعدُّ كالوثني.

مقدمة:١٢ [أبعدوا عنكم كل غضب، ومحبة النصيب الأكبر. لأن كل شهوة هكذا بهذا الشبه هي من الشرير ...

٩:١-٤ [فإذا أردت أن تصير مسيحياً، اسلك في ناموس الرب.. وحل رباطات الظلم، لأن المخلِّص أعطاك السلطان أن تغفر لأخيك الخطايا التي أخطأ بها إليك إلى سبعين مرة سبع مرات، أي أربعمائة وتسعين مرة. وأنت إذا ذكرت الظلم، وحفظت العداوة، وأردت أن تتقاضى معه لأجل الغضب؛ فإنك تمنع صلاتك من أن تصعد قدام الله.. ولكن بالأحرى إذا تقدمت وغفرتَ لأخيك الأربعمائة وتسعين مرة، فداوم على عدم الغضب، وطلب الصلاح له بالأكثر من أجل خلاص ذاتك. وإذا لم يعمل هو هكذا بك، أسرع أنت ولأجل الله اغفر لأخيك لكي تصير ابناً لأبيك الذى في السموات. فإذا صليت يسمعك كصديق له] – الدسقولية

الحياة المسيحية في البيت لأعضاء شعب الله:

يوصى آباؤنا الرسل المؤمنين المسيحيين بالحرص على العبادة المسيحية العائلية في البيت: أداء الصلوات القانونية في مواعيدها، وقراءة الكتابَ المقدس، والحرص على الذهاب إلى الكنيسة يومياً لسماع التعليم الروحي. وأمامنا كلمات منيرة مضيئة للمسيحي لكي يتبعها:

[لأجل الأوقات التي يجب الصلاة فيها:

- (في الصباح) ومن قبل القيام بأي عمل، فليغسلوا أيديهم، ويصلُّوا لله، ثم يتوجهوا إلى أعمالهم.
- ولا يتأخر المسيحي عن الكنيسة، الموضع الذي فيه التعليم حيث سيُعطَى المتكلم أن يقول ما هو نافع لكل واحد حيث سيسمع ما لم يكن يتوقعه. وستربح أنت ما يعطيه الروح القدس لك بواسطة الذي يعلِّم. وهكذا يتقوى إيمانك بما تسمعه، وسيُقال لك في هذا الموضع ما يجب أن تفعله في بيتك. ولأجل هذا فليسرع كل واحد ويمضي إلى الكنيسة الموضع الذي يشرق فيه الروح. فإن كان اليوم ليس فيه تعليم، فليكن كل

واحد في بيته ويأخذ الكتاب المقدس ويقرأ فيه.

- ✦ وإذا كنت في بيتك، فصلِّ الساعة الثالثة وسبِّح الله. وإذا كنت في موضع آخر ودنت الساعة، فصلِّ بقلبك إلى الله، لأن المسيح في تلك الساعة كانوا يسمِّرونه على الصليب.
- ✦ وصلِّ الساعة السادسة... ولتُصلِّ في تلك الساعة صلاة قوية. ولتصنعوا أيضاً صلاة عظيمة في الساعة التاسعة.
- ✦ وإذا قمتَ في نصف الليل، فاغسل يديك بماء، وصلِّ. وإن كانت لك زوجة فصلِّيا معاً.]—القانون ٤٧ من قوانين الرسل

هذه هي السمات العامة للحياة المسيحية لأعضاء شعب الله: الصلاة العائلية، قراءة ودرس كلمة الله، المضيّ إلى الكنيسة لحضور العبادة والإستماع لكلمات المنفعة التي يرسلها الروح القدس على فم المتكلم.

تربية الأبناء حسناً:

من أهم واجبات عضو شعب الله أن يدبر (يربى) بيته حسناً وله أولاد في الخضوع بكل وقار (١تى٣: ٤). وتوصي **الدسقولية الآباء والأمهات** في الكتاب الرابع: ١١: ٤-٥:

[وأنتم أيها الآباء أدبوا أبناءكم بالرب..

- ولا تخف أن تنهرهم وتؤدبهم بهيبة لأنكم لا تقتلونهم إذا أدبتموهم ولكن بالأحرى تنجونهم..
- أدبوا أولادكم بكلمة الرب .. علموهم أيضاً كتبنا المقدسة، وسلموهم كل كتب الله،
- ولا تتركوهم يدخلون إلى مواضع الشرب (السكر)..
- ولا تتركوهم مع الذين يساوونهم في السن، لئلا يرجعوا إلى الفساد ويقعوا في الشر..

.. وفي الزمان المحدد الذى للزواج زوِّجوهم بنساء هادئات، لكي تطرحوا عنهم بالأكثر حرارة السن]— الدسقولية ص٦٠٧، ٦٠٧.

التوصية بتبني أيتام:

إن تربية الأطفال وتنشئتهم على الإيمان المسيحي ليشبوا ويصيروا أعضاءً كاملين في شعب الله هي خدمة وإسهام في انتشار وامتداد ملكوت الله. وتضع الدسقولية **احتمال أن لا يكون للزوجين أطفال فتوصيهم** بأن يقبلوا في رعايتهم طفلاً أو طفلة من الأيتام، ويزوِّجونه (أو يزوجونها) حينما يحين الوقت، [لأن هذا إذا فعلتموه، يكون عملاً عظيماً قد أكملتموه، وتكونون آباء للأيتام وتأخذون أجر هذه الخدمة من الرب إلهنا]- **الدسقولية ١٦، ٣ - ص٥٨٨و٥٨٩.**

إذن فتربية الأب والأم لأبنائهما وتعليمهم الإيمان هو في حد ذاته خدمة عظمى تُحسب ضمن خدمات الكنيسة المقدسة.

*****

هذه هي باختصار سمات وفضائل شعب الله التي ينبغي أن يجاهد كل مؤمن لكي يحيا بها ليستحق أن يكون ضمن شعب الله، رعية الله المقدسة، ويبقى في بيت الآب، وينال الميراث الذى لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل المحفوظ له في السموات(١بط١: ٤). آمين.

ثانياً: الكرامة المتساوية لشعب الله

الكنيسة كشعب الله، تُدعى أيضاً "إسرائيل الجديد"؛ ولكن بدعوة إلهية جديدة، هي أن تعلن للعالم العلاقة الجديدة أو العهد الذي عقده الله مع الجنس البشرى **"في المسيح يسوع"**. ووحدة شعب الله الجديد لم تعُد قائمة على أية روابط قَبَلية كما كان في العهد القديم. بل بالعكس، فإن شعب ا لله أصبح منفتحاً "لكل الأمم". إنه مؤسس على "عهد" أو "ميثاق"، معقود من جانب الله، ومع العالم أجمع، ومختوم – أي مضمون – بدم ذبيحة المسيح على الصليب.

فلكي تشترك في عضوية هذا الشعب، أي لكي تصير عضواً في جسد الكنيسة، لابد أن تؤمن وتقبل هذا العهد[١] الجديد. وقبول هذا العهد **يبدأ** بقبول سر المعمودية **ويتجدد** في الاشتراك في "كسر الخبز"، و"كأس البركة"، أي الاشتراك في وليمة "الإفخارستيا" التي قال عنها المسيح ليلة خميس العهد: "هذه الكأس هي **العهد الجديد بدمي**" (لوقا ٢٢: ٢٠).

فالعمل الذى يجتمع حوله شعب الله ليتذكروا ويجددوا ويثبتوا في عهدهم مع الله هو اجتماعهم الأسبوعي حول "وليمة الأكل والشرب" من جسد المسيح ودمه، أي تناولهم من سر الإفخارستيا.

فالكنيسة كشعب الله ليست مؤسسة ولا هيئة دينية ولا هيكلاً رئاسياً ولا بناية ومكاتبَ أو أية تنظيمات اجتماعية مما يميز الأشكال التنظيمية لتجمعات البشر في المجتمع. إنها شعب ا لله الملتئم حول "كسر الخبز وكأس البركة" اللذين هما بالتحديد "جسد المسيح" و "دم المسيح" ضمان وعلامة العهد الجديد. إنهم "أبناء الله المتفرقين" الذين يجتمعون "إلى واحد" (يو ١١: ٥٢) ، الذي هو المسيح عمانوئيل الكائن معنا على المذبح.

وقد أحس المسيحيون الأوائل في أورشليم – وكان جُلُّهم من اليهود – بهذا الوضع الجديد الذى وصفه سفر أعمال الرسل هكذا: "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة

---

(١) العهد الجديد تَمثّل في مجيء الإبن وتجسده. وهذا هو الذي جعل الإبن "بكراً بين إخوة كثيرين". وبسبب التجسد، أصبح العهد هو جسد المسيح نفسه وصار "الأمم شركاء في الجسد" (أفسس ٣:٦) أي شركاء في العهد الجديد. لذلك فالمعمودية والمسحة والإفخارستيا هي التي تكوِّن الصلة المباشرة والسرية في جسد المسيح ودمه، أي في العهد الجديد.

وكسر الخبز والصلوات ... وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة"(٢: ٤٢،٤٦).

وكان إحساسهم الغامر وفرحهم وهم يتناولون من سر الإفخارستيا، راجعاً إلى أن هذه الوليمة الإفخارستية تمثل وتحقق مجدداً في كل قداس إلهي فصحهم الجديد، أي عبورهم الجديد من الموت إلى الحياة الذي أتمه المسيح بصليبه وبقيامته من بين الأموات. ولكنه ليس عبوراً منحصراً في أوضاع مادية، بل عبورهم إلى الحياة الأبدية بذبيحة الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح المقدَّمة للآب.

أما النتيجة المباشرة لهذا الاجتماع الإفخارستي فهي: "شعب مجتمِعٌ يصير واحداً مع الله الآب والابن والروح القدس، في وحدة على مثال وحدة الثالوث".

ويصف القديس كيرلس الكبير هذه الوحدة هكذا، عندما يتأمل في صلاة المسيح الشفاعية في يو١٧: ٢٠-٢١:

[يأخذ المسيح، كمثال، الوحدة الجوهرية التي كانت له مع الآب وللآب معه، ليصور بها المحبة والتناغم والوحدة التي تحدث حيث يوجد الاتفاق الحقيقي والعميق. إنه يشير إلى رغبته في أنه كما يوجد اتحاد قوى جوهري في الثالوث، هكذا يريدنا أن نمتزج بعضنا بالبعض، **حتى يُرى كل جسد الكنيسة كأنه شخص واحد**، متحركاً في المسيح، من خلال وحدة الشعبين(*)، نحو كيان واحد كامل.

وهذا هو ما قاله القديس بولس حينما كتب لأهل أفسس: "لأنه هو سلامنا، الذى جعل الاثنين واحداً، وفي جسده - لحماً ودماً - نقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة. مُبطلاً بجسده ناموس الوصايا والفرائض، لكي يخلق في نفسه من الاثنين إنساناً واحداً جديداً، وبهذا يصنع سلاماً، أي يصالح الاثنين مع الله في جسد واحد من خلال الصليب، مُنهياً على العداوة" (أف٢: ١٤-١٦ - الترجمة من الإنجيل حسب النص)]

القديس كيرلس الكبير في شرح إنجيل يوحنا ١٧: ٢٠-٢١.

(*) أي شعب الله القديم وشعب الأمم الأخرى.

الروح القدس ومكانته في الكنيسة (شعب الله):

إن الروح القدس حلَّ يوم الخمسين على شعب الله الجديد الذى كان مجتمعاً في العلية في أورشليم منتظراً تحقيق وعد المسيح الذى وعدهم به مراراً، آخرها عند صعوده: "..أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى . لأن يوحنا عمَّد بالماء وأما أنتم **فستتعمَّدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير**" (أعمال الرسل١: ٥). وقد كانت المعمودية بالروح القدس لشعب الله الجديد لازمة وضرورية، حتى يقدس الروح القدس الكنيسة، أي يفرزها ويخصصها لله "شعباً مستعداً" (حسب النبوة في لوقا١: ٧)، وثانياً لكي يجعل لكل من يؤمن به قدوماً بالمسيح في هذا الروح الواحد إلى الآب، فتتحقق الغاية من دعوة شعب الله وتقديسهم له.

وعن دور الروح القدس في حياة ودعوة شعب الله، يقول **القديس إيريناوس**:

[لأن عطية الله قد استؤمنت للكنيسة، كما استؤمنت نسمة الحياة للإنسان المخلوق، حتى بنوال كل الأعضاء هذه العطية تصير حية. وهكذا انسكب علينا العامل على شركتنا مع المسيح، أعنى الروح القدس، عربون الخلود، والمقوِّي لإيماننا، والسلم الذى به نصعد إلى الله...

لأنه حيث تكون الكنيسة، فهناك يكون روح الله؛ وحيث يكون روح الله فهناك تكون الكنيسة، وكل نوع من النعمة. والروح هو الحق] - كتاب ضد الهرطقات([٣]).

كرامة شعب الله:

من أجل كل هذا فإنه يوجد "شعب "مختار في المسيح" واحد"، "رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة" (أفسس٤: ٥)، و"لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح، **ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى. لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع**. فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم..." (غلاطيه٣: ٢٧-٢٩).

([٣]) **Sources Chrétien. 34.398** والنص عن:
Thomas Halton, *THE CHURCH,* M. G., Wilmington, Delaware, p. 38,39

يتبع هذا أن هناك "**كرامة متساوية**" لدى كل عضو في شعب الله، كرامة ومجداً موهوبَيْن من الله، بسبب انتساب هذا الشعب للمسيح، الابن الوحيد، الذى سبق و"أخذ من الله الآب كرامة ومجداً" (٢بط١: ١٧). لذلك، ففي إطار "شعب الله" لا يوجد تفاوت في الكرامة لعضو على عضو طالما أن الكرامة والمجد الممنوحَين لشعب الله هما، أساساً، كرامة "ممنوحة" و"مُفَاضة" على الذين صاروا أبناءً لله بالنعمة من "كرامة ومجد" ابن الله اللتين نالهما من الآب باعتباره ابناً بالطبيعة.

وعن هذه **الكرامة المتساوية** لأعضاء شعب الله، يتكلم **القديس يوستينوس الشهيد:**

[- المسيحيون يُعتبرون إسرائيل الحقيقي، فهم نسل إسرائيل (يعقوب) المولودون من الروح بالإيمان.

- والمسيح هو رأس هذا الجنس الجديد المولود من المسيح بالماء والإيمان والخشبة التي حملت سر الصليب.

- هذا الشعب، الكنيسة، التي فيها كل الناس يصيرون واحداً، يشتركون في اسمه.

- فإلى هذه الكنيسة أتى المسيح مانحاً "**كرامة متساوية**" لكل من يحفظ وصاياه.]

القديس يوستينوس الشهيد(٤)

و القديس يوستينوس يعلن هذه الحقيقة ليعرِّف العالم بالمسيحية، أن تعاليمها وأسرارها ليست قاصرة على النخبة أو على رجال الدين أو على الفلاسفة. ولكن كل مسيحي مدعوٌّ أن يعرف الله ويتعلم الإيمان، بل ويجعل من واجبه الأساسي أن يُسلِّم التعليم الذى تلقاه إلى كل من يقبل أن يصير هو أيضا بدوره تلميذاً للمسيح.

وهذا التكليف يشمل الجميع في شعب الله، سواء المفرزين لخدمة المذبح، أو غير المتقلدين لرتبة في خدمة المذبح. فشعب الله يشمل الجميع، ويعبِّر عن هذا **القديس كيرلس الكبير** في قُدَّاسه المنسوب إليه:

(٤)الحوار مع تريفو – ١٢٠: ٣؛ ١٣٥: ٣، ٦؛ ١٢٨، ٤٢: ٣، ٦٣؛ ١٣٤: ٣

[يا الله الذى أحبنا وأنعم علينا **برتبة البنوة** لكي نُدعى أبناء الله. **نحن** (الكهنة) **وهم** (بقية شعب الله) وارثون لك يا الله الآب، وشركاء في ميراث مسيحك]

صلاة خضوع للآب بعد التناول

وعلى أساس هذه "**الكرامة المتساوية**" يبدأ الرسل في دسقوليتهم يوجهون تعاليمهم إلى شعب الله، محددين لكل قسم منه "رتبته" التي قسمها له الله هكذا:

[... قررنا هذه الدسقولية الجامعة فيها. وسمينا الرتب كاستحقاقها، كمثل المساوين هكذا أيضاً الكنيسة، وقد علّمنا كل واحد أن يقف بشكر فيما قُسِم له من قِبَل الرب:

الأسقف كالراعي، والقسيسين كمعلمين، والشمامسة كخدام، والايبودياكونين كأعوان، والأغنسطسيين كقُراء، والأبصلتسيين مرتلين بفهم، والفيلوبونسيين (المتطوعون لخدمة والاهتمام بمباني وأدوات الكنيسة المقدسة)، والقَومَة (البوابون)،

وبقية الشعب مستمعين لكلام الإنجيل وعاملين الكلمة بحرص].

الدسقولية (المقدمة)

وهنا يسمى الرسل أصحاب خدمات المذبح بأسمائهم سواء المندرجين ضمن الكهنة مثل الأسقف والقس والشماس، أو غير المندرجين مثل الإيبودياكون والأغنسطس ..الخ، ثم يقول في النهاية "بقية الشعب"، مما يجعل كل أصحاب الدرجات الكهنوتية مندرجين أصلاً ضمن الكنيسة "شعب الله". لذلك لا يصح التفريق بين قسمين في الكنيسة بهذه الصورة: إكليروساً وعلمانيين، لأن الإكليروس هم أصلا ضمن "شعب الله" وكلمة "علمانيون" ليست الوصف الصحيح لـ "بقية الشعب" لأن المسيحيين بمقتضى معموديتهم ومسحهم بالزيت المقدس قد صاروا أعضاء في شعب الله، أو بالتعبير الكنسي القبطي "لائيكوس"، أي أعضاء في "اللاؤس-شعب الله" أصحاب **"رتبة البنوة لله"، وشركاء عهد الله الجديد وخلافة مسيح الله** حسب تعبير القداس الكيرلسي.

العلاقة بين رتب "شعب الله":

على أن هذا " **التساوي في الكرامة**" لرتب شعب الله المختلفة، لا يمنع من، بل يستوجب تنظيم العلاقة بين الرتب وبعضها البعض. وما يهمنا في هذا القسم الأول من البحث: "شعب الله" أن نبين العلاقة التي رسمها الرسل للشعب تجاه رتب الأساقفة والقسوس والشمامسة هكذا:

فبعد أن يسرد الرسل القوانين الموضوعة للأسقف والقسوس والشمامسة في ما يختص بشروط رسامة كل منهم، ومهامه وتفاصيل خدمته وتحذيراته المتكررة من الأخطاء والعثرات التي يمكن أن يتردى فيها أثناء خدمته، بعد أن يسرد كل ذلك في فصول متتالية (من ٣-٥)، يبدأ في سرد:

واجبات الشعب تجاه خدام المذبح:

١ - تقديم النذور والعشور والبكور إلى رئيس الكهنة المسيح والذين يخدمون له.

٢ - معرفة خدام المذبح وأعمالهم وأولهم:

- **الأسقف**: هذا هو الذى يخدم لكم الكلمة ، هذا هو معلم العدل. هذا هو أبوكم بعد الله. الذى ولدكم مرة أخرى من قِبَل الماء والروح بالبنوة.
- **والشماس**: يخدمه بطهارة وعدم لوم في كل شئ كما يخدم المسيح.
- **والشمَّاسة**: لتكن مُكرَّمة لديكم... وخارجاً **عنها لا تأتي أية واحدة من النساء إلى الشماس أو الأسقف لتسأل عن أمر متعلق بدرجته.**
- **والقسوس**: فليكونوا لكم كمعلمين بمعرفة الله لتقبلوا إليكم كلمة الإيمان المستقيم والتعليم المخلِّص الذى يبشرونكم به.
- والأرامل **والأيتام**، احسبوهم مثالاً للمذبح.
- **والعذارى**، فلْيَكُنَّ مُكَرَّمات مثال المذبح والبخور.

وباختصار، تأمر الدسقولية عن كل واحد في الرتب البيعية، لِيُعْطِهم أعضاء الشعب الكرامة التي تجب لهم إما بتقديم القرابين أو من حاجات هذا الدهر.

٣ - الحذر من **كلام الدينونة** على خدام المذبح في تدبيرهم تجاه توزيع الصدقات على

المساكين:

[لتحذر أن تحاسب الأسقف، ولا تتأمل تدبيره، لا بأي نوع أو في أي زمان أو أعطى لمن، أو في أي موضع، أو كان قد دبَّر جيداً أو ردياً أو في الواجب. لأن الرب الله هو الذى يحاسبه، الذى أعطى له التدبير وجعله مستوجباً للكهنوت، وهذا المكان العالي المقدار].

...ولكن الحذر من الراعي غير الصالح
(أو مسئولية شعب الله عن سلامة التعليم والرعاية في بيعة الله)

لكن هذه الفضيلة "عدم الدينونة" لا تعنى سكوت الشعب، شعب الله، عن المساس بوديعة الإيمان أو سلامة التعليم، أو الفساد في رعاية رعية الله. **فرعية الله عاقلة، وليست بكماء** - كما تقول الدسقولية. ففي الفصل الرابع تحذر تعاليم الرسل الشعب من **"الراعي الشرير"** وتحمِّل شعب الله المسئولية، واضعة إياهم هكذا:

[لأن خرافي وكباشي **خليقة عاقلة وليست غير عاقلة (أو ليست بكماء)**. فلا يقول عضو شعب الله **إني خروف ولست براع وليس لي عمل**. لأن الخروف إذا لم يتبع الراعي الصالح، فهو يكون طعاماً للذئاب ليهلكوا - فهكذا أيضا من يتبع الراعي الشرير، فإن موته ظاهر قدامه، وهو يهلك من قِبَلِه (أي بسببه). **لأجل هذا يجب علينا أن نهرب من الرعاة المهلكين.**

فأما الراعي الصالح فليكرمه الشعب بالأحرى، ويحبه ويخافه كأب ورب وسيد ورئيس كهنة لله ومعلم للعدل... وهكذا أيضاً الأسقف، فليحب العلمانيين لأنهم أولاده]- الدسقولية: ٤: ٣، ٣١،٣٢

وهنا نقف عند هذه الكلمات: **[ولا يَقُلْ عضو شعب الله إني خروف ولست براع وليس لي عمل]**، لنتأمل في دور شعب الله في القيام بالدعوة الرسولية، أي الكرازة وخدمة كنيسة الله. فإن كل شعب الله مُلقَى عليهم الواجب المقدس من أجل امتداد تدبير خلاص الله لكل البشر، في كل عصر، وفي كل مكان من العالم، ومن أجل سلامة البنيان الكنسي وسلامة تدبير البيعة بالاشتراك مع الإكليروس. وهذا هو موضوع الفصل القادم: **الدعوة الرسولية لشعب الله.**

ثالثاً: الدعوة الرسولية لشعب الله

[فلا يقُلْ عضو شعب الله إني خروف ولست
براعٍ وليس لي عمل.]

الدسقولية

إن كل شعب الله، يحمل واجباً مقدساً للعمل من أجل امتداد تدبير الله لخلاص كل جنس البشر، في كل عصر، وفي كل أنحاء العالم.

ويفسر **القديس يوحنا ذهبي الفم** بقوة مثل الخميرة والعجينة (مت١٣: ٣٣)، ليبين دور شعب الكنيسة في نشر الإنجيل:

[لأنه كما أن الخميرة تخمر عجيناً كثيراً هكذا أنتم سوف تغيرون العالم أجمع... ولا يستكثر أحد على نفسه ذلك لأنه أقلية. لأن قوة الإنجيل عظيمة هي. وما يتخمر، سوف يُخمِّر بدوره الآخرين.

فإن كان اثنا عشر قد خمروا العالم أجمع، فتخيل مدى ضعفنا لأننا ونحن كثيرون في العدد، لم نستطيع أن نخمر ما لم يتخمَّر بعد!]

تفسير إنجيل متى – العظة ٤٦: ٢

هذا التساؤل من القديس يوحنا ذهبي الفم في القرن الرابع يرجع إلى أن المسيحيين – ومنذ بدء المسيحية – يحملون رسالة ودعوة رسولية للكرازة بالإنجيل ونشر الإيمان. وذلك يرجع إلى اللقب الذى يحمله كل مسيحي وهو:

المسيحي تلميذ للمسيح:

هذا اللقب يناله المسيحي بمقتضى أمر الرب لتلاميذه الاثني عشر: "فاذهبوا **وتلمذوا** جميع الأمم" (متى٢٨: ١٩). ثم بعد كرازة الرسل، "تكاثر **التلاميذ**" (أع٦: ١، ٧). وأصبح يُطلَق على المسيحيين لقب "**تلاميذ**" (أع٩: ١، ١٩: ١، ٩: ٣٦) "وكان في يافا **تلميذة** اسمها طابيثا" ....الخ).

وتداول هذا الاسم إلى كنيسة الأجيال اللاحقة لعصر الرسل. ونجد القديس يوستين الفيلسوف المسيحي والشهيد يعتبر نفسه ضمن الذين يُسمَّون **"تلاميذ"** للتعليم الحقاني والطاهر الذى للرب يسوع([1]). وهو مقتنع بأنه من المستحيل أن يمارس الفلسفة([2]) دون أن يكون تلميذاً لمعلم آخر.

أما المؤلف المجهول لكتاب "الرسالة إلى ديوجينتس" ، فهو يؤكد أن المسيحيين بالنسبة للعالم بمثابة النفس بالنسبة للجسد وهم الذين يحفظونه (٦: ٧)، وأنهم بعد أن نالوا كرامة متساوية واستناروا، صاروا هم بدورهم نوراً للعالم ومصدراً للعطايا الممنوحة لرفقائهم من بنى البشر، عن طريق نمو شعب الله.

وللقديس يوستينوس رأي بأن وجود المسيحيين في العالم يؤخر الدينونة الأخيرة للعالم. ذلك لأن الله [يعرف أنه في كل يوم فإن من يتعلمون اسم المسيح، ويتركون طريق الشر، ينالون مواهب، كل واحد بحسب ما يوجد مستحقاً لنوالها، فواحد ينال روح الفهم، وآخر روح المشورة، وواحد ينال روح القوة، وآخر موهبة الشفاء، واحد ينال روح النبوة، وآخر موهبة التعليم، وهناك من ينالون موهبة مخافة الله()]([3]).

أما القديس إيريناوس (أسقف ليون بفرنسا في القرن الثالث) فهو يَعمَد كثيراً إلى إطلاق لقب **"تلميذ"** على المسيحيين. وأحيانا يميزهم باسم "التلميذ الحقيقي" تمييزاً عن الهراطقة. وهو يرى – مثل يوستينوس– أن التلاميذ الحقيقيين هم الذين نالوا في اسم يسوع المسيح نعمة التبني لله، ويعملون من أجل خلاص سائر البشر، بل ويقودونهم إلى اعتناق الإيمان والانضمام إلى الكنيسة.

ومثل يوستينوس أيضاً، فهو يقول إن التلاميذ يوظِّفون المواهب التي نالوها، من أجل خير

([1]) الحوار مع تريفو١٧: ١؛ ٣٥

([2])كانت المسيحية في الأجيال الأولى تسمى "الفلسفة" أي الفلسفة الحقيقية بالنسبة للفلسفات الزائفة الأخرى التي كان يزخر بها المجتمع الروماني.

() وموهبة مخافة الله هي الموهبة المعطاة للمسيحيين المدققين في سلوكهم المسيحي وفي ممارساتهم لفروض العبادة القانونية وزهدهم الشديد للعالم وتنفيذهم الحرفي لوصايا المسيح. ومن هؤلاء ظهر النساك الأوائل الذين سُمُّوا فيما بعد "رهباناً" أي "من يرهب الله" أو من يخاف الله أو من يتقي الله. وكان في العهد القديم مثيل لهؤلاء مَنْ سُمُّوا "أتقياء الله" أو "متقو الرب".

([3]) الحوار ٣٩

الأمم، وبهذا فهم يعطون مجاناً ما نالوه مجاناً.(٤)

وتلاميذ الرب (أي الرسل) وتلاميذ الرسل (أي المسيحيون)، كلاهما يبشرون ويبذلون، وكلاهما تلاميذ روحيون وحقيقيون، ويعترفون بنفس الإله الواحد وبابنه يسوع المسيح(٥).

وهكذا فإن المؤمنين شعب الله مؤتمنون على الكرازة بالإنجيل بحسب المواهب المعطاة لهم كما ورد في نص القديس يوستينوس سابقاً وهنا سنستعرض بعض هذه المواهب وأولها:

المساهمة في خدمة التعليم:

وأمامنا نموذج لمعلم من القرن الثالث هو "**أوريجانوس**". وهو لم يكن يحمل درجة كهنوتية، ولكنه كان يحمل لقب "معلم" **Didaskalos**، وهو لقب لموهبة كانت ضمن مواهب الروح القدس المعطاة لأعضاء من شعب الله الجديد (رو١٢: ٧).

وقد كان أوريجانوس مُكرَّماً ومُشيراً للمسيحيين وكبار رجال الإكليروس في كافة كنائس العالم. وكان يعظ في كنائس أورشليم وقيصرية في حضور بطاركتها ورؤساء أساقفتها (ألكسندر أسقف أورشليم، وثيؤكتيستوس أسقف قيصرية). إلا أنه واجه صعوبات جمة مع رئيس كنيسته في الإسكندرية البابا ديمتريوس الكرام، مما دفع هذا الأخير إلى الحكم بحرمانه محتجاً بأنه علّم وهو ليس كاهناً، وعلّم في حضرة أساقفة في قيصرية.

وقد أثار هذا الموقف الغريب تعليقات المؤرخين والكنسيين سواء المعاصرين لهذه الأزمة أو اللاحقين لها. ففي كبادوكيا (شمال تركيا)، وفي بداية القرن الثالث، كان أعضاء شعب الله المثقفون يقومون بمهمة التعليم ليس فقط في مدارس الموعوظين، بل اؤتمنوا أيضاً على إلقاء العظات في الكنائس. وفي القرن الرابع علّق المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري على هذا الوضع، قائلاً بأن البابا ديمتريوس رفض منح أوريجانوس امتيازاً سبق أن تمتع به معلّمون من أعضاء الشعب في كنائس أخرى في الإسكندرية ذاتها، وأن البابا ديمتريوس رفض رسامة أوريجانوس قساً، بينما اختار تلميذ أوريجانوس "هيراكلاس" للقسوسية وحرم أوريجانوس منها. وكان أوريجانوس قد ائتمن تلميذه "هيراكلاس" على تعليم مبادئ الإيمان للموعوظين

---

(٤) ضد الهراطقة ٢: ٣٢: ٤؛ ١.
(٥) ضد الهراطقة ٤: ٣٢: ١؛ ٢.

في مدرسته اللاهوتية بسبب تزايد أعداد المُقْبلين إليه، وتفرغ هو لتعليم الطلبة المتقدمين في العلوم اللاهوتية. فرسم البابا ديمتريوس تلميذ أوريجانوس وامتنع عن رسامة معلمه. لذلك فحينما عرض أسقف قيصرية على أوريجانوس أن يرسمه قساً في إيبارشيته لم يمانع هذا الأخير من قبول الرسامة.

وحينما تفرغ أوريجانوس لتدريس العلوم اللاهوتية المتقدمة، استطاع أن يستثمر موهبة التعليم التي عنده كمعلم **Didaskalos**، في إعداد تلاميذه الذين خرج من بينهم بطاركة وأساقفة أفادوا شعوب كنائسهم فيما بعد.

أهمية وجود المعلِّمين في الكنيسة:

ويعلل العلاّمة **أوريجانوس** ضرورة وجود رتبة المعلمين **Didaskalos** في الكنيسة من غير الكهنة قائلاً:

[إني أعترف بأن أداء وظائف الكهنوت شيء، وأن يصير الإنسان متعلماً جيداً وكاملاً في كل الأمور شيء آخر](٦).

وفي القرن الثاني تظهر لنا وظيفة "معلم الموعوظين" وهو من غير حاملي أية رتبة كهنوتية، وقد يكون حاملاً للقب "أناغنوستيس" أو "إيبي ذياكون" (ويسمى حاملو هذين اللقبين بكلمة "كنايسي"). وكلا اللقبين ليسا لرتبة كهنوتية، وبالرغم من هذا كان لهذا المعلم أن يعلم الموعوظين مبادئ الإيمان المسيحي ما يؤهلهم للمعمودية. وكان له أيضاً أن يضع يده بالبركة على رأس الموعوظ بعد انتهاء الصلاة الخاصة بالموعوظين في الكنيسة تمهيداً لإنصرافهم قبل قداس المؤمنين، كما في النص التالي من **قوانين الرسل ال ٧١**:

ق **٢٧**[الذين يدخلون جدداً ليسمعوا الكلام، فليأتوا بهم أولاً إلى المعلمين من قبل أن يدخل كل الشعب]

ق**٣٢**[من بعد الصلاة إذا وضع المعلم اليد على المتّعظين فليصلي ويصرفهم، إذا كان كنايسي (أي أناغنوستيس أو إيبي ذياكون)، أو علماني فليفعل هذا]

---

(٦) **Homilies on Joshue 16: 1-2**

وقد وضعت قوانين الرسل احتمال أن لا يكون الأسقف أو القس متمكناً من التعليم الصحيح (قانون ١٣: "**وإن كان لا يعرف أن يفسر الكتب..**". وهذا الإحتمال كان قبل توفر إمكانيات العلم اللاهوتي في كافة الكنائس وسهولة التبادل الثقافي والاطلاع على مؤلفات اللاهوتيين في كل المسكونة). وفي الوقت نفسه وفرت الفرصة لتلافي هذا النقص-إذا وُجد، إذ أمرت أن يكون الأناغنوستيس (أو القارئ) جيد التعلُّم وكفؤاً في التعليم (قانون ١٤: "**وأن يقرأ جيداً ويعرف أن يعمل بما يقرأه، ويملأ مسامع الآخرين، ويعرف ما يقوله**")، لكي يساعد الأسقف أو القس في مهمة التعليم. بحيث أنه (أي الأناغنوستيس) لا يكتفي "بالقراءة" فقط في الكنيسة بل يمكنه أن يفسر النصوص التي يقرأها وقد يلقى العظة أثناء ليتورجية الكلمة. وهذا ما نعرفه من صلوات رسامة الأغنسطس هكذا:

[عبدك هذا فلان الذي دعوته إلى الأناغنُسطسية املأه من كل حكمة وكل فهم ليتلو أقوالك الإلهية...
وليبشر شعبك بأوامرك ويعلّمهم كلامك المقدس الذي به يكون الخلاص والنجاة لأنفسهم...
امنحه حكمة **وروح النبوة** ليتلو أقوالك المقدسة لشعبك...]

وهذه هي الوصية التي تُتلى على الأغنسطس يوم رسامته عن مهامه:

[فيجب عليك أن تتعلم واحداً فواحداً من فصول الكتب المقدسة أنفاس الله التي اؤتمنتَ عليها **كي تعظ بها الشعب لأن هذا أمر عظيم يحتاج من ينتصب له أن يكون كالمصباح المضئ على المنارة لكي تملأ مسامع سامعيك مما تقرأه عليهم**]

مخطوطة الإفخولوجيون – مصباح الظلمة

وهكذا كان للأناغنوستيس أيضاً مركزه وكرامته في الليتورجيا إذ كان مكانه أحياناً بعد القسوس وقبل الشمامسة(٧).

---

(7) **Apostolic Church Order, 9.**
ولقد اتخذت الكنيسة القبطية في أواخر القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين موقفاً مشابهاً، حينما كان الذين يفسرون ويعظون في الكنائس وعاظ ومعلمون من أعضاء الشعب أُقيموا فيما بعد بدرجة "أناغنوستيس" واعتلوا منابر الكنائس وقاموا بتعليم الأطفال والشباب وعموم الشعب مبادئ الإيمان المسيحي. ومن أعظم وأشهر حاملي رتبة

(بقية الحاشية في أسفل الصفحة التالية)

وفي القرن الثالث نقرأ في رسائل القديس كبريانوس عن ما يسميه: "**الأناغنوستيسيون–المعلمون**" (الرسالة ٢٩). فهذا الوضع كان سائداً في شتى الكنائس.

الكرازة بالإنجيل بالحياة:

إن شعب الله لم يكن سلبياً في خدمة الكرازة بالإنجيل. ويعبِّر **القديس أغسطينوس أسقف هيبو** في شمال أفريقيا (القرن الخامس) عن ثقته في شعب الله في كنيسته بهذه الكلمات المنيرة:

[هل تظنون أننا وحدنا، نحن الذين نقف أمامكم الآن، الذين نكرز بالمسيح، وأنكم لا تكرزون به أيضاً؟ فكيف إذن، خبروني، نرى أناساً يأتون إلينا طالبين أن يصيروا مسيحيين، ونحن لم نَرَهُم من قبل ولم نعرفهم ولم نكرز لهم أبداً؟

إن الكنيسة كلها تبشر بالمسيح و"السموات تخبرُ بعدله" (مز٩٦: ٦)]

القديس أغسطينوس– عظات على المزامير ٩٦: ١٠

ليس فقط الكرازة لغير المؤمنين:

بل والكرازة للمسيحيين بالاسم:

توصي الدسقولية أعضاء الكنيسة من غير حاملي رتبة الكهنوت:

[وأنتم أيضاً يا أعضاء شعب الله ، إصنعوا سلاماً مع بعضكم ، ولتكونوا حريصين، إذ أنتم فهماء القلوب ، **أن تُنموا الكنيسة وتردُّوا إليها الذين يُظن بهم أنهم بُعداء منها وتعزُّونهم** . فإن لكم أجراً عظيماً بحسب وعد الله القائل : " إذا جئت بالكريم من غير المستحق – أي إذا جعلت غير المستحق حجراً كريماً – فأنت تصير مثل فمي " أرميا ١٥ : ١٩](٨).

(بقية الحاشية من الصفحة السابقة)

يفسرون ويعظون في الكنائس وعاظ ومعلمون من أعضاء الشعب أُقيموا فيما بعد بدرجة "أناغنوستيس" واعتلوا منابر الكنائس وقاموا بتعليم الأطفال والشباب وعموم الشعب مبادئ الإيمان المسيحي. ومن أعظم وأشهر حاملي رتبة الأناغنوستيس في عصرنا الحديث الأناغنوستيس الدكتور وهيب عطاالله جرجس (نائب رئيس اللجنة العليا لمدارس الاحد ووكيل الكلية الاكليركية حتى عام ١٩٦٣ وحالياً نيافة الأنبا اغريغوريوس أسقف التعليم العالي والثقافة القبطية).

(٨) الدسقولية ١٠ : ٩.

وهذا التوجيه الرسولي يقابله في العهد الجديد وصية القديس يعقوب الرسول في رسالته:

- " أيها الاخوة ، إن ضل أحد بينكم عن الحق ، فرده أحد ، فليعلم أن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلّص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا " (يع ٥ : ١٩) .

ويذكر التاريخ أن المسيحيات والمسيحيين كانوا قادرين على تحويل المسيحيين بالاسم إلى مؤمنين بالفعل. وفي كتابات الشاعر المسيحي أفسونيوس المولود في بوردو (بفرنسا) سنة ٣١٠م نقرأ سيرة تيريزا زوجة صديقه الحبيب باولينوس، التي لعبت دوراً حاسماً في تجديد حياة زوجها باولينوس السناتور الأرستقراطي المسيحي (بالاسم فقط) ليبيع بعد ذلك كل أملاكه في فرنسا ويهجر اسم عائلته المشهورة ويستقر في أسبانيا متعبداً لله هو وزوجته .

ولكن تيريزا لم تجبر زوجها على هذا، ولكنها أقنعته وساندته وعاونته في طريق اهتدائه إلى الحياة المسيحية الحقيقية.

- **نماذج من كرازة أعضاء شعب الله:**

+ كان من بين المثقفين الذين آمنوا بالمسيح في صدر التاريخ المسيحي من كانوا شعراء. هؤلاء استخدموا موهبتهم الفنية في الكرازة بالمسيح ومن بين هؤلاء الشاعرة بروبا **Proba**، وهي إحدى سيدات المجتمع الأرستقراطي الغربي، اسمها الكامل فلاتونيا بيتيتيا بروبا، التي ترجمت أجزاء من الكتاب المقدس على هيئة قصائد شعرية على نسق أشعار فرجيل. وقد مدحها الكثيرون في عصرها على هذا العمل الأدبي الأكاديمي الرائع. وبالرغم من أنه لم يكن سهلاً أن نجد وصفاً لصلب المسيح بأشعار مثل أشعار فرجيل، لكن بروبا أدت هذه المغامرة بنجاح، حيث قرأ شعرها نبلاء ومثقفو روما الذين طالما تربوا وتهذبوا هم وآباؤهم على شعر فرجيل، فوجدوا فيه لمسات من الحق المسيحي مصوغاً في أقوال شعرية أدبية عالمية جعلهم يقبلون حقائق الوحي الإلهي على أنه "أقدم إلهامات بشرية سابقة عليه".

+ ومثلها أفسونيوس المولود في بوردو بفرنسا في عام ٣١٠، العصر الذى فيه كانت القوى الدينية في فرنسا تتحرك في اتجاه المسيحية. وقد كان أولاً أستاذاً جامعياً ثم دعاه الإمبراطور فالنتينيان عام ٣٦٤م ليكون مربياً لابنه جراتيان. ولما ماتت الإمبراطورة عام ٣٨٣ عاد إلى بوردو حيث وزع وقته بين قرض الشعر وحياة الريف وحياة المدينة العظمى روما. وهو يصف حياته في أشعاره بأنه كمسيحي كان يصلي بانتظام كل صباح، رافضاً الآلهة الوثنية، وداعياً باسم المسيح المصلوب القائم من بين الأموات. وقد استنبط فكرة مميزة عن

اللاهوت والسلوكيات المسيحية لاشك أنها أرضت الكثيرين من بني جلدته الرومانيين الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية حديثاً. وفي قالب الشعر الفرجيلي المميز سرد أحداث الإنجيل كما خصص أوقاتاً محددة كل يوم للصلوات ذات الطابع الميستيكي العميق.

+ **باولينوس** الذى كان تلميذاً لأفسونيوس، لكنه حوَّل مثله الأعلى إلى الاتجاه الرهباني، كذلك صديقه برودنتيوس، اللذين وُلدا في غضون القرن الرابع من عائلات شريفة النسب.

وبينما لم ينتظر باولينوس صديقه برودنتيوس، فإن برودنتيوس استمر لفترة من الزمن يحمل لقب "سناتور" أي عضو في مجلس الشيوخ الروماني – وهو أعلى لقب سياسي يمكن أن يحصل عليه مواطن روماني. لكنه امتعض من **نيميسيوس** الذى كان يتلذذ باضطهاد كبار القوم في روما، فباع كل أملاكه في فرنسا واتجه إلى أسبانيا ليعتزل مع زوجته هناك، حيث مارس حياة الصلاة والصوم المسيحيين، وألف ترانيم عديدة دخلت ضمن كتب الصلوات الكنسية الرومانية.

- **أعضاء في شعب الله**

يبشرون ويحوِّلون بلاداً بأكملها إلى المسيحية:

منذ البدء وتلاميذ المسيح كانوا منخرطين في عملية البشارة بالمسيح. لم تكن هناك تعليمات ولا تدريبات يؤدونها لكي يصيروا كارزين ناجحين، لكن النعمة التي نالها كل مسيحي في المعمودية، كان لابد من توصيلها لكل فرد في الجنس البشرى. وبحسب رواية العلاَّمة أوريجانوس فإن كلسوس اليهودي اشتكى من الخدمة الكرازية التي كانت بين النساء والأطفال وكان يقوم بها أناس عاديون حتى من أدنى طبقات المجتمع. ويقتبس **أوريجانوس** عن كلسوس الوثني:

> [في البيوت العادية، كان هناك صُناع الأحذية، وغازلو وناسجو الصوف، وأناس أُميون وعاديون من كل الأصناف الذين بالرغم من أنهم لم يكونوا يجرءون على فتح أفواههم أمام أسيادهم، إلا أنهم مختبرون وحكماء بالروح، فإذا تصادف أن تقابلوا مع أطفال في البيت أو نساء من نفس مستوى تعليمهم البسيط، **فكانوا يفتحون أفواههم متحدثين بعجائب الله** مُدَّعين (بحسب تعبير المقاوم اليهودي) أنهم الوحيدون الذين يعرفون معنى الحياة وأن الذين يؤمنون بكلامهم سوف يعيشون سعداء مع عائلاتهم..] **أوريجانوس** – ضد كلسوس ٣: ٥٥.

ولكن كرازة المؤمنين لغير المؤمنين لم تكن قاصرة على غير المتعلمين. بل امتدت بواسطة المؤمنين المثقفين – مثل لكتانتيوس وغيره من المثقفين – إلى الطبقات المثقفة في المجتمع الروماني.

• **المرأة المسيحية تبشر بالمسيح:**

والمرأة المسيحية كانت وظلت ومنذ عصر الرسل تؤدى دوراً إيجابياً في الكرازة بإنجيل المسيح. ولا عجب فأول مَنْ أعلنت بُشرى القيامة ورؤيتها المسيح القائم من بين الأموات عياناً بياناً هي المرأة "ومريم الجدلية" (يو٢٠: ١٨). وكانت النساء ضمن المجتمعين في العلية بعد صعود المسيح، ونلن الروح القدس مثلما ناله الرجال تماما. ويذكر سفر الأعمال أسماء التلميذات الأوائل **ليديا** بائعة الأرجوان أول مَنْ آمنت ثم بشرت بالمسيح في أوروبا (أع١٦: ١٤). **وطابيثا** في يافا بفلسطين (أع٩: ٣٦)، **ونساء شريفات** عدد ليس بقليل في تسالونيكى (أع١٧: ٤)، **وفيبى** شماسة كنيسة كنخريا (رو١٦: ١)، وأسماء أُخر كثيرة وردت في رسائل القديس بولس الرسول. وبالإضافة إلى ذلك فهناك معلمات الحياة الروحية النسكية: ثاؤدورا وسنكلتيكي وثاليدا وسارة وبيلاجية وغيرهن. ومن النساء الشهيدات أنسطاسيا شماسة المسجونين. ومن النساء اللواتي خدمن القديسين ميلانيا الكبيرة وميلانيا الصغيرة، ومن النساء القبطيات السيدة ترفة في القرن الثاني عشر، التي أقامت من مالها الخاص كنيسة باسم القديس أبو نوفر السائح، وبنت أعلاها محلاً فسيحاً ليكون ديراً للراهبات.

والنساء المسيحيات أدَّين دوراً خاصاً في الكنيسة مع باقي أعضائها في الكرازة بالإنجيل واللواتي أدين هذه المهمة بالذات كن من النساء الشريفات (الأريستوقراطيات).

• ففي روما، كانت هناك مجموعة من مثل هاتيك النساء اللواتي **كن يجتمعن معا حول العلاَّمة جيروم يتعلمن، بينما في الريف كُنَّ يجتمعن ليقرأن الكتب الروحية التقوية.**

• وهناك وصف كتبه "سيدونيوس أبوليناريس"، من القرن الخامس، وهو أحد رجال الدولة الرومانية والذي آمن بالمسيح وصار أسقفاً، يتكلم فيه عن **الكتب المسيحية التي كانت توجد دائماً في متناول يد السيدات بجانب مقاعدهن في مكتبة القرية** التي كان يعمل فيها، وكذلك كتب الأدب المسيحي التي كانت في أيدي الرجال المسيحيين المترددين على المكتبة (الرسالة٢: ٩: ٤).

• وقد نجحت هؤلاء النساء المسيحيات **ليس فقط في تحويل رجالهن إلى المسيحية، بل كن**

أيضاً يعلِّمن أبناءهن الإيمان المسيحي ويقنعنهم بالمعمودية أو بالزواج من فتيات مسيحيات، هذا في وقت كانت فيه الإمبراطورية مليئة بالوثنيين والوثنيات حيث لم تكن الديانة الوثنية قد أُلغيت تماماً. لكن عن طريق هؤلاء النسوة المسيحيات دخلت الطبقة الأريستوقراطية الرومانية إلى المسيحية.

- **النساء المسيحيات ودورهن ليس فقط في هداية غير المسيحيين**

  بل وتجديد المسيحيين بالاسم:

ومن الممكن القول أيضاً بأن أولئك المسيحيات نجحن ليس فقط في هداية غير المؤمنين إلى مسيحيين بل وأيضا في تجديد حياة المسيحيين بالاسم إلى مؤمنين حقيقيين مخلصين.

وهناك مثل لذلك حالة "آفسونيوس"، حيث **نجحت "تريزا" زوجة صديقه باولينوس في تجديد حياة زوجها** دون أن تجبره على ذلك، بل بالأحرى ساعدته وعضدته في مسيرة حياته الجديدة التي اختارها حينما باع كل أملاكه وعاشا هما الاثنين حياة نسك تُحتَذَى.

وهناك مثل آخر، ولكنه يتصل بنساء القصور الملكية. فإن "**كلوديت**" زوجة "كلوفيس"، نجحت في جعل أبنائها يتعملون، في وقت كان فيه ملك الفرانك المتعجرف أبعد ما يكون عن قبول الإيمان بالمسيح (عن كتاب غريغوريوس من تورز في تاريخ الفرنك ١: ٢٨-٣١). ثم أتت حفيدته "**برتا**" لتتزوج من ملك الأنجلوساكسون وقد اشترطت أن تُعطَى لها الحرية في الاستمرار في ممارسة ديانتها المسيحية. ثم استطاعت بعد ذلك أن تحوِّل زوجها الملك إلى المسيحية (بيدِ، التاريخ الكنسي ١: ٢٥، ٦٢).

- **النساء القبطيات**

  ودورهن في الكرازة بالإنجيل

أما في بلادنا المصرية فيخلد التاريخ السويسري ذكرى القديسة المصرية **فيرينا** التي كانت تعمل كممرضة مرافقة للكتيبة العسكرية الرومانية المسماة " الكتيبة الطيبية" (أي التي كل أفرادها من مدينة طيبة – الأقصر حالياً).

وقد نشأت **القديسة فيرينا** في مدينة كركوز (بمركز قوص بمحافظة قنا)، ثم التحقت بالعمل مع الكتيبة الطيبية وسافرت معها عندما أصدر الإمبراطور مكسيميانوس أمره إلى هذه الكتيبة بالارتحال إلى منطقة ما بين الحدود البلجيكية والفرنسية والسويسرية الآن. ولما أباد هذا الإمبراطور رجال الكتيبة عن بكرة أبيهم بسبب رفضهم أمراً أصدره للأوثان لأن كلهم

كانوا مسيحيين، ترك الممرضات وشأنهن. فعاشت القديسة فيرينا في سويسرا في بلدة زورزاخ حيث عكفت على تعليم أهالي تلك المنطقة مبادئ النظافة وحسن الهندام، وفي الوقت ذاته كانت تبشرهم بالمسيحية.

وكان لعمل هذه المرأة القبطية في الكرازة بالإنجيل الفضل الأول في تحول شعب هذه البلاد للمسيحية(١).

وفي تاريخ كنيستنا القبطية أدت المرأة القبطية دوراً كرازياً ودفاعياً عن الإيمان قوياً وفعَّالاً، إما بالخطابة أو بالاستشهاد، مثل كاترين التي قارعت الفلاسفة اليونانيين الوثنيين في الإسكندرية، والأم دولاجي من إسنا وأولادها السبعة الشهداء، والقديسة رفقة، وغيرهن المئات ممن يذخر بأسمائهن وسيرهن العطرة كتاب السنكسار وكتب تاريخ الكنيسة.

- **الإرساليات المسيحية الأولى**

للبلاد الوثنية:

١ ـ يُعتبر البابا الإسكندري القديس أثناسيوس الرسولي أول من أرسل إرسالية تبشيرية للبلاد الوثنية، وذلك برسامته أول مبشر مسيحي (لمملكة أكسيوم) ، الشاب **فرومنيتوس** الذى بشر أهالي هذه المملكة بالمسيحية بينما كان أسيراً هناك. فإنه كان هو ورفيقة إديسيوس في طريقهما مع خالهما للتجارة حينما غرقت السفينة التي يركبونها فاستطاعوا أن ينجوا على شواطئ إثيوبيا.

وحفظتهما العناية الإلهية، فنجيا من مذبحة رهيبة قُتل فيها ركاب السفينة الناجون، أما هما فعُفي عنهما لكونهما صغيريْ السن. وسرعان ما أُعجب الملك بفرومنتيوس فعيَّنه في البلاط الملكي، حيث مارس مهمة رئيس الحكومة، ولما مات الملك سألته الملكة أن يساعدها في تدبير شئون المملكة لحين بلوغ ابنها الأمير ولى العهد سناً يمكنه فيه أن يحكم المملكة. ومنذ ذلك الوقت استطاع فرومنتيوس أن يبشر بالمسيحية بمساعدة بعض التجار المسيحيين. وحينما نما الأمير الطفل، كانت المسيحية قد انتشرت في مملكة أكسيوم. وعاد فرومنتيوس إلى الإسكندرية التي كانت المركز اللاهوتي الرئيسي للمسيحية في الشرق آنذاك، حيث سأل البابا

(١) راجع *قصة الكنيسة القبطية*، إيريس حبيب المصري، صفحة ١٣١ – ١٤٤.

أثناسيوس أن يرسل لمسيحيي إثيوبيا أسقفاً، وكان فرومنيتوس هو أول أسقف يُرسم لإثيوبيا حيث عاد لأكسيوم ليكمل عمل الكرازة بالإنجيل ويقوم بتأسيس الكنيسة هناك. وهكذا بدأت الكرازة بالإنجيل على يد عضو في شعب الله، الذى انتهي به الأمر أن يُرسَمَ أسقفاً على هذه البلاد. (روفينوس في تاريخه الكنسي ١: ١١).

٢.ويُعتبر البابا الروماني غريغوريوس الكبير أول من أرسل رسمياً مسيحيين من غير حاملي الدرجة الكهنوتية للتبشير بالمسيحية. وقد فعل ذلك لأول مرة عام ٥٩٦م. فإن الكنيسة تؤمن بأن الكرازة هي واجب مُلقى على عاتق المسيحيين كلهم، وعليهم جميعاً أن يقوموا به كلما تسنح الفرصة بذلك.

٣.وكما صوَّر المؤرخ الكنسي القديم روفينوس قصة تبشير إثيوبيا على يد الشاب فرومنتيوس، صوَّر قصة تجديد القبائل الإيبيرية (جيورجيا الآن) بواسطة امرأة مسيحية كانت سجينة هناك واسمها كما سجلته المخطوطات القبطية(١٠) القديسة "**ثيئوجنوستي Theognosti**"، التي كانت **ناسكة**. هذه المرأة **قضت أياماً وليالي في الصلاة لله**، ثم شفت ابنة الملكة، التي تجددت وآمنت بالمسيح ثم آمن الملك أيضاً بالمسيحية وبعدها آمن الشعب كله. ويسرد روفينوس كيف كانت هذه المرأة المسيحية تبشر:

[كانت تُعلِّم عن المسيح الإله وتعرِّفهم بطقوس الصلاة والعبادة على قدر ما كان مسموحاً لامرأة أن تتكلم بهذه الأمور].

٤.وبنفس الطريقة كان تعميد كلوفيس ملك بلاد الفرنك عام ٤٩٨م بإيعاز من زوجته **كلوديت** تمهيداً لتعميد ٣٠٠٠ محارب أيضاً وتأييد الشعب للمسيحية. وذلك تم في اجتماع عام عقده الملك. ثم تبع ذلك دخول القوط في المسيحية. وكان هذا بدء انتشار المسيحية في أوروبا الغربية.

وتظهر غيرة المسيحيين والمسيحيات أعضاء شعب الله في الكرازة بالإنجيل حيثما سنحت لهم الفرصة من نداء القديس يوحنا ذهبي الفم لشعبه في أنطاكيه حينما قال لهم:

---

(١٠) لقد سجلت المخطوطات القبطية قصة هذه الإمرأة السجينة. والمحفوظ من هذه المخطوطات القبطية أجزاء متناثرة في متاحف ومكتبات روما وباريس وموسكو والقاهرة. راجع *قصة الكنيسة القبطية*، الكتاب الثامن، لإيريس حبيب المصري، ص ٥٦-٥٨؛ وذلك بجانب المصادر اليونانية واللاتينية والجيورجية والأرمنية التي ذكرت سيرة هذه الكارزة المجاهدة.

[أريدكم أن تكونوا جميعكم معلمين. لا تنصتوا فحسب لعظاتنا!.. أخبروا بتعاليمنا للآخرين!.. هلم اصطادوا الذين هم في الزلات، حتى يسلكوا هم أيضا في طرق الحق] – العظة على سفر التكوين

أعضاء شعب الله
والمشاركة في سياسة وتدبير شئون الكنيسة:

لقد كان لشعب الله منذ عصر الرسل دور إيجابي فعال في اتخاذ القرارات الكنسية سواء العقائدية منها أو الإدارية أو التنظيمية. وهذا الواجب والحق معاً وبآن واحد، المنوطان بأعضاء شعب الله أن يشاركوا في سياسة وتدبير كنيستهم([1])، يرجع إلى حقيقة هامة هي أن انتماء المسيحي إلى الله وإلى كنيسته يرجع أصلاً إلى "**اختياره**" و"**دعوته**" الإلهيين ليكون ميراثاً للرب. وكلمة "ميراث" هي "كليرونوموس" والتي اشتُقّت منها كلمة "إكليروس". فالمسيحيون كلهم هم ميراث الله، وهكذا تلقبهم ختام صلوات البصخة: "**بارك شعبك (لاؤس) بارك ميراثك (كليرونوميا)**"، ويسميهم قداس القديس كيرلس الكبير "**وارثون لك يا الله وشركاء في ميراث مسيحك (كليرونوموس)**".

وبهذا الاختيار الإلهي للمؤمنين لم يعد بينهم فروق أو تمايز إذ "ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى". أما السبب في ذلك فهو: "**لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.. لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح**" (غلاطية ٣: ٢٦-٢٨). هذه المساواة في الكرامة البنوية لله بين المؤمنين جميعاً لا يعطلها تعدد المواهب بين أعضاء شعب الله كما يقسم الروح لكل واحد باعتبارهم أعضاء في جسد المسيح، ولكن بالأحرى يُعليها ويثبتها. وبهذه المساواة في الكرامة ينتمي المسيحيون كلهم، بكافة مواهبهم، إلى الكنيسة وإلى شعب الله "**كمدعوين ومختارين**" وأيضاً "**مُعيَّنين سابقاً**" (أفسس١: ١١). لذلك فإن ما يعطي الشرعية والأهلية للمسيحي لانتمائه للكنيسة ولشعب الله، ليس أي تأييد بشري من سلطة كنسية أو من طبقة أعلى، بل هي الدعوة والاختيار الإلهيين اللذين نالهما المؤمن في سر المعمودية وسر مسحة الروح القدس (أو سر الميرون المقدس).

([1]) الأنبا يوانس أسقف الغربية، *باقات عطرة من سير الأبرار والقديسين*، ص ١٩٣و١٩٤.

+ وعلى أساس هذا الانتماء الذى يتمتع به المسيحي داخل الكنيسة كعضو في شعب الله المختار والمفرز من وسط العالم، يظهر دور الشعب منذ عصر الرسل في الحفاظ على الإيمان **(كما في مجمع أورشليم الأول** – أعمال٥ – وعلى الأخص الآيات التي تبين اشتراك المؤمنين في هذا المجمع: عدد٢٢، ٢٨)؛ واختيار الخدام (أعمال٦: ٥)، وفي الصلاة من أجل الرسل (أعمال١٢: ٥-١٧؛كولوسي٤: ٣)...الخ.

+ وقد ظل هذا التقليد سارياً في الكنيسة على مدى الأجيال، وفي كنيستنا القبطية الأرثوذكسية يتجسد هذا التقليد بأروع صوره، إذ يشارك الشعب الإكليروس في كل ما يختص بسياسة وتدبير الكنيسة وخدمتها والاهتمام بمقدساتها وصونها والحفاظ عليها. وإذا راجعنا تاريخ الكنيسة القبطية في كتابات مؤرخيها الأوائل وعلى الأخص **ساويرس ابن المقفع** في كتابه المشهور: ***تاريخ البطاركة*** لوجدنا ذلك واضحاً في سيرة كل بطريرك من بطاركة الكرازة المرقسية.

+ **وفي كنيسة شمال أفريقيا** نجد نموذجاً فريداً لاهتمام الأسقف المتقدم بين أساقفة هذا الإقليم والمسمى "البابا" بمشاركة الشعب له في كل شئون إدارته وتدبيره الكنيسة، مُقدِّماً المبادرة منه شخصياً ومُشجِّعاً للشعب على أداء دوره الكامل في ذلك.

+ **فمن رسائل القديس كبريانوس الأسقف في قرطاجنة** المتقدم بين أساقفة أفريقيا في القرن الثالث، نأخذ انطباعاً بتقديره العظيم لدور الشعب كما نرى من الأمثلة التالية:

+ ففي الرسالة الرابعة عشرة يضع لنفسه قاعدة منذ بدء أسقفيته **أن لا يتخذ قراراً دون أن يأخذ مشورة الإكليروس، ويسأل موافقة الشعب** (رسالة١٤: ٤).

+ وقد كان للمؤمنين دور يؤدونه يصفه العالم الآبائي **V. Saxer** (١٢) بأنه **"دور لا يمكن سلبه من الشعب** جرياً وراء منفعة شخصية لأيٍّ من الرعاة". وكان كثيرون من الكهنة في كنيسته قد ارتدُّوا تحت وطأة الاضطهاد، وبعد زوال فترة الاضطهاد هذه رأي القديس كبريانوس أن يستشير الشعب في الصفح عنهم وعودتهم لممارسة كهنوتهم (الرسالة٣١: ٦:

---

(12) V. Saxer, Vie Litur. et quoti. à Carthage, cited in Alexandre Faivre, *The Emergence Of the Laity in the Early Church*, Newyork, 1990, p. 111.

٢).

+ **وفي مراسلات أسقف روما كرنيليوس مع كبريـانوس** يتضـح أن نفـس التقليـد كـان متبعاً في كنيسة روما حيث كانت قرارات الأسقف الروماني مرهونة "بالموافقة الحاسمة لعمـوم الشعب المؤمن". وكان يقصد أعضاء الشعب من غير المتقلدين الرتبة الكهنوتيـة وكـان منهـم المتزوجون، وكان يقصد أيضاً المعتبرين نـاضجين سـواء في العمـر أو في المواهـب، أي أراخنـة الشعب. ففي حضور هـؤلاء الأراخنـة كـانت قـرارات الحرمـان مـن الكنيسـة أو العفـو عـن المحرومين تتم برأي الشعب. ولم يكن الأمر مجرد موافقة شكلية على سبيل المجاملة للرئيس، بل كان الشعب يبدى أحيانا رأياً مخالفاً لرأي القديس كبريانوس.

+ وقد حدث فعلاً أن اتخذ القديس كبريانوس – الذى كان يحمل لقب "بابا" بين أساقفة كنائس شمال أفريقيا – اتخذ قراراً مخالفاً لرأي الشعب، لكنه ندم واعترف بأنه كان على خطـأ حينما تجاهل معارضة شعب كنيسته لأحد قراراته (الرسالة ٤٩).

+ وفي كنيسة روما قام أساقفتها برسامة **نوفاتيان أسقفاً** بالرغم من معارضة الشعب لهذه الرسامة، كما يقرر ذلك المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري (تاريخ الكنيسة ٦: ٤٣: ١٧). لكن أصبح نوفاتيان فيما بعد أحد رؤوس الهرطقات الذين أزعجوا الكنيسة في القـرن الرابع. وهذه مجرد أمثلة للنتائج التي تترتب علـى تجـاهل أو تحـدي رأي الشـعب سـواء في الرسـامات الكهنوتية أو في قرارات الحرومات.

الأراخنة وممثلو الشعب
ودورهم في المشاركة في صياغة القرارات الكنسية:

وهنا يثور سؤال هـام : **مـا المقصـود "بالشـعب"؟ هـل هـم جمهـور المؤمنـين علـى وجـه العموم، المهتمون بالشئون الكنسية العامة وغير المهتمين؟ العارفون والمدققـون في الشـرائع والقوانين وغير العارفين؟**

تشير كل النصوص ذات الأصل الروماني اللاتيني، إلى أن المقصود بالشـعب هـم الممثلـون للشعب الذين لهم دور ما في خدمة الكنيسـة والمعرفـة والاهتمـام بشـرائع وقوانـين الكنيسـة، هؤلاء هم الذين يُسأل رأيهم وتؤخذ وجهات نظرهم مأخذ الاهتمام والجد. وتذكر نصـوص كتابات القديس كبريانوس هذا المفهوم حين حديثه عن الشعب، وكلمة "الشعب" تعني لـدى

القديس كبريانوس – بحسب رأي العلماء المدققين([13])، نخبة الشعب والأعضاء البارزين في الكنيسة، وذوي المشورة الحسنة والحكمة المشهود لهم.

+ ثم يثور سؤال آخر هو حينما كان يؤخذ رأي الشعب أو ممثليه هل كان ذلك بعد إصدار القرارات الكنسية أو قبل ذلك؟ أي هل كانت موافقة الشعب على القرارات إجراءً شكلياً أم كانت لازمة لإصدار القرار.

+ باستقراء العلماء([14]) لنصوص كتابات الآباء الذين ظهر من بين ثناياها هذا الموضوع، يتضح أن موافقة الشعب لم تكن شكلية البتة، بل كثيراً ما كان الشعب يأخذ دوره الإيجابي والفعال في عملية صياغة القرار الكنسي.

+ فإن أعضاء الشعب البارزين كثيراً ما كان حضورهم فعالاً نشطاً في المناقشات التمهيدية التي كانت تجرى للتمهيد لإصدار القرار الكنسي في مجامع الأساقفة، المكانية منها على الأخص، أو أثناء صياغة ومراجعة النصوص التي ستتبناها المجامع كم سيتضح بالتفصيل في فصل "*المجامع المقدسة*"([15]).

+ والمعروف أن الأساقفة بعد عودتهم من المجامع إلى شعوبهم، كانوا يعرضون القرارات على شعب إيبارشياتهم الذى كان يُدعَى إما للموافقة لتصير هذه القرارات ذات صفة شرعية أو كثيراً ما حدث أن اعترض الشعب على قرارات مجامع حضرها أساقفتهم، وتوقف سريانها بسبب هذا الاعتراض.

وعندنا أمثلة لذلك:

١. **مجمع خلقيدونية** (المعتبر مسكونياً لدى الكنائس البيزنطية الشرقية)، لكن كنائس مصر وإثيوبيا والمشرق رفضت قرارات هذا المجمع والنتائج التي ترتبت عليه، مما أثار حرباً شعواء على شعوب هذه الكنائس، وحدث ما حدث من مآسٍ واضطهادات ذاق فيها الشعب القبطي وشعوب كنائس المشرق الأمرَّين.

٢. ومثله أيضا ما حدث في **مجمع فلورنسا** سنة ١٤٣٩م. الذى عقده الكاثوليك في

([13]) نفس المرجع السابق.

([14]) **Alexander Faivre, op. cit., p. 112, 130**

([15]) راجع الفصل الخاص بالمجامع المقدسة في القسم الثاني من هذا البحث الخاص بالإكليروس.

فلورنسا وحضره بعض بطاركة الكنائس الشرقية، لكن شعوبهم لم توافق على قرارات هذا المجمع، بعد عودة بطاركتهم حاملين قرارات هذا المجمع. وكان الهدف من هذا المجمع تحويل كنائس الشرق إلى كنائس تابعة لكرسي روما والاعتراف بعصمة البابا الروماني وباقي الهرطقات الرومانية التي برزت إلى الوجود بعد انشقاق الكنائس الكبير في القرن الخامس.

٣. بل كثيراً ما حدث أن أجمع الشعب على اختيار أساقفة وبطاركة لم يكن أحد يظن أنهم يكونون أساقفة وبطاركة صالحين. وكما يتضح من استقراء تاريخ الكنائس فقد كان للشعب رأي حاسم في فرض الحرمانات ورفعها، بالرغم من أن الأسقف هو وحده الذى يملك سلطان الحل والربط، لكن كان الأساقفة الصالحون يستشيرون أعضاء الشعب في ذلك.

الطريقة التي تصرف بها القديس بولس الرسول في عقد الحرمان ثم حل الحرمان في كورنثوس:

ولنا في الطريقة التي تصرف بها القديس بولس الرسول في توقيع الحرم على عضو كنيسة كورنثوس، ثم في رفع الحرمان عنه أبلغ دليل على أن حرمان أحد أعضاء كنيسة الله في أي مكان لابد أن يتم بالمشاركة في الرأي بين الأسقف والشعب، ثم رفع الحرمان لابد أن يكون بموافقة الشعب، أو بطلب الشعب لكي يرفع الحرمان عن العضو المحروم:

١ - **توقيع الحرمان** - "قد حكمت باسم ربنا يسوع المسيح، إذ **أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح** ....."(١كو٥: ٤).

أي أن حكم الحرمان صدر باتفاق الرسول مع **الكنيسة المجتمعة**، وبسبب هذا الاتفاق بين الرسول والشعب تحل قوة ربنا يسوع المسيح **لكي يصير الحكم بالحرمان ذا سلطان إلهي نافذ.**

ثم:

٢ - **حل الحرمان** - "والذي تسامحونه بشيء فأنا أيضاً . لأني أنا سامحت به إن كنت قد سامحت بشيء **فمن أجلكم** بحضرة المسيح" (٢كو٢: ١٠)

أي أن **الحكم بالحل من الحرمان** الذى أوقعه في الرسالة الأولى بموجب موافقة الشعب

عليه؛ الآن وبناءً على اتفاق الشعب على مساحة المخطئ، يقوم الرسـول بـإصدار الحـل. وفي إطار الاتفاق بين الرسول والشعب، **تحققت حضرة المسيح.**

من هـذا يتضح أهميـة دور الشـعب ورأيـه، وعلـى الأخـص في قـرارات الحرمـان قبـل صدورها، وفي اتخاذ قرارات الحِل من الحرمان بناء على مساحة الشعب أو طلبه فك الحرمان. وفي هذا يتحقق حضور المسيح بناءً على وعده الصادق: "إن اتفق اثنان منكما على الأرض في أي شئ يطلبانه فإنه يكون لهما من قِبَل أبي الذي في السموات" (متى١٨:١٩).

دور الأراخنة في أوقات المحن الصعبة التي مرت بالكنيسة:

يذكر التاريخ الكنسي أنه كـان لأراخنـة الشـعب دور ريـادي في صَوْن الإيمـان أو حفـظ طهارة الكنيسة في أثناء المحن الصعبة التي حاقت بالكنيسة، أو في أثنـاء الظـروف الـتي اهتزت فيها سلامة الرعاية الكنسية. وكأمثلة لذلك:

١.فقد ذكرت الوثائق الكنسية اسم **الأرخن سانوتيوس (أو سنوتي أو شنودة)** الذى كان عميد الأقباط في القرن السابع (أثناء حبرية البابـا بنيـامين الأول الـذى عـاصر دخـول العـرب لمصر)، في أخطر الفترات الحرجة التي مرت بها الكنيسة القبطيـة. وكـان البابـا بنيـامين مختفيـاً بسبب اضطهاد وملاحقة السلطات البيزنطية لـه لمعارضتـه قـرارات مجمـع خلقيدونيـة. فتـولى سانوتيوس (وهو عضو شعب الله غير الحاصل على أية رتبـة كهنوتيـة) إدارة شـئون الكنيسـة مدة اختفاء البابا بنيامين وأحسن إدارتها، وجمع كلمة الأمة، وبما كان له في نفـس عمـرو بـن العاص، الذى فتح مصر، من منزلة، استصدر أمراً منه بتأمين حياة البابا علـى نفسـه، وهكـذا عاد البطريرك إلى كرسيه واستأنف ممارسة مهامه الرعوية وتجديد ما خربته أيدي المضطهديـن البيزنطيين، وما هدمه الفُرس أثناء غزوهم لمصر قبل الفتـح العربـي([١٦])، وذلـك بواسـطة أحـد كبار أراخنة الشعب.

٢.كما يذكر تاريخ الكنيسـة **دور أراخنـة الشـعب** في مواجهـة تجـاوزات البابـا كـيرلس

([١٦]) لجنة التاريخ القبطى، *خلاصة تاريخ المسيحية في مصر*، ١٩٣٢، صفحة ١٤٦

الثالث (في القرن الثالث عشر)، واشتراكهم مع الأساقفة في المجمع الذي عُقد في القلعة في شهر توت سنة ٩٤٧ للشهداء لإيقاف هذه التجاوزات. وتسجل اشتراك الشعب مع الأساقفة في هذا المجمع المقدس في مقدمة قرارات المجمع هكذا:

[...حضر الأب البطريرك أنبا كيرلص بطريرك المدينة العظمى الإسكندرية وما معها ومن ثبت خطه في هذا المسطور **من الأساقفة والقسوس ومشايخ الرهبان والرؤساء الشيوخ الأراخنة**. وتقرر في أمر البيعة المقدسة الرسولية القبطية بكرسي الإسكندرية أن يجري الأمر فيه على ما يأتي بيانه:](١٧).

٣. وغير ذلك الكثير ما يذخر به تاريخ الكنيسة القبطية على مدى الأجيال والعصور، من أسماء شخصيات من الشعب. بعضهم كانوا علماء في علوم اللاهوت والبعض كانوا محسنين والبعض كانوا في مراكز هامة حول الحكام وبعضهم كانوا ذوي مشورة حسنة. ولكن كلهم اشتركوا، كلٌّ حسب الموهبة التي حباه بها الله، في خدمة الكنيسة وإعطاء المشورة الحسنة لخدامها. يذكر منهم التاريخ كأمثلة المعلم جرجس الجوهري والمعلم ابراهيم الجوهري والشيخ الصفيّ ابن العسال الذي كان حاضراً مجمع بابلون التاريخي سنة ١٢٣٨م. الذي عقده المجمع المقدس والأراخنة لمعالجة مخالفات البطريرك كيرلس بن لقلق. وكان الشيخ الصفي أحد علماء الكنيسة الذين تركوا لنا تراثاً ثميناً من الكتابات اللاهوتية والقانونية الكنسية في القرن الثالث عشر. وقد عُيِّن كاتماً لسر المجمع، أي سكرتير المجمع المقدس، وهو من أعضاء شعب الله غير المتقلدين الوظائف الكهنوتية. وقد وضع هذا المجمع ضمن ما وضعه من قوانين: [عَقْد مجمع إكليريكي عام سنوياً، في الأسبوع الثالث بعد العنصرة، يضم الأساقفة، **وفضلاء الشعب**](١٨). فالشعب – كما قلنا سابقاً كانت له شركة ودور في إدارة شئون الكنيسة.

---

(١٧) *مخطوطة القوانين/النوموكانون*، قوانين مجمع القلعة، ورقة ٣٦١؛ ايريس حبيب المصري، *قصة الكنيسة القبطية*، الكتاب الثالث، ص ٢١٤، ٢١٥.

(١٨) وهيب عطاالله (نيافة أنبا إغريغوريوس حالياً)، *وظيفة الأسقف*، مجلة مدارس الأحد ٢٣:٢:٩ (فبراير ١٩٤٩)

القسم الثاني

الكنيسة جسد المسيح

أو

الإكليروس في الكنيسة

الباب الأول

رتبة الأسقف الإبيسكوبوس

أولاً: علامة وحدانية الكنيسة

[ثبِّت أساس الكنيسة: وحدانية القلب التي للمحبة فلتتأصل فينا.] من طلبات القداس الإلهي

حينما بدأت الكنائس المسيحية الوليدة خارج أورشليم تتأسس، استمدت النمط الذي كانت تسير عليه الكنيسة الأم في أورشليم. فكل كنيسة من هذه الكنائس اعتُبرت أنها هي "الكنيسة" من حيث أن اجتماع مؤمنيها يتحول إلى "جسد المسيح"، بتناولهم من الأسرار المقدسة كما يصلي الكاهن في القداس الإلهي: [**اجعلنا مستحقين أن نتناول من قدساتك ... لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً**]. فسرُّ الإفخارستيا هو الذي ينشئ الكنيسة جسداً واحداً للمسيح. وهو الختم الذي يعطي الكنيسة صفتها وقوامها وشرعيتها.

وقد نعت **القديس إغناطيوس الأنطاكي** الكنيسة في أي موضع معين بأنها "**الكنيسة الجامعة**" أيضاً. ذلك أنه في كل مرة يجتمع فيها اثنان أو ثلاثة باسم المسيح كان الرب – بحسب وعده (مت ١٨:٢٠) – يحضر وسطهم بكل ملئه.

فاجتماع كنيسة ما حول المسيح في سر الإفخارستيا، هو اجتماع حول المسيح بكل مِلْئه وكماله، فالكيان المتحول هنا لا يصير جزءاً من الجسد بل ملء الجسد نفسه.

وهكذا أصبح أمامنا ليس فقط "كنيسة الله في مدينة أورشليم"، بل وأيضاً "كنيسة الله في مدينة كورنثوس"، و"كنيسة الله في مدينة أنطاكية"، و"كنيسة الله في مدينة روما"، و"كنيسة الله في مدينة الإسكندرية"... الخ. وكلٌّ من هذه الكنائس كان معتبراً أنه "**كنيسة الله**" بسبب حضور المسيح بكامله في وسطها واتحاده بشعبها.

هذه الشركة والوحدانية في كنيسة الله، في موضع جغرافي محدد، وحول المسيح، والتي نؤمن بها ونحث أنفسنا على الحياة فيها في كل قداس إلهي، تتحقق في الواقع العملي، وعلامة ذلك أن كل مؤمن عضو في جسد المسيح الواحد له موهبته الخاصة التي نالها من الله بالسوية مع باقي الأعضاء للتعاون معاً من أجل بنيان الكنيسة المقدسة.

وهذا ما يصوره القديس بولس في الإصحاح ١٢ من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس

(١٢: ٤-١١)، وبعد تعليمه عن سر الإفخارستيا في الإصحاح الذي قبله، حول تقسيم المواهب علي أعضاء الجسد الواحد. ومنه تتضح هذه الحقائق الثابتة في طبيعة الكنيسة كما يلي:

✚ **ليست موهبة في الكنيسة بلا منفعة للجسد كله، ولا أي شخص في الكنيسة هو بلا موهبة لمنفعة الجميع.**

✚ كل عضو في جسد المسيح يشارك في **خير وصالح وبنيان الكنيسة جسد المسيح.**

✚ وكل عضو - **بمعونة وتعضيد الأعضاء الآخرين، يعطي ويأخذ**، من فيض المحبة الإلهية التي تنسكب علي الجسد كله من جراء شركة الجسد في الثالوث الأقدس الذي يموج بالمحبة الإلهية الأزلية بين الآب والابن بالروح القدس ويفيض بها علي البشرية. وهذه المحبة تنسكب علي جمهور المؤمنين باتحادهم بالرأس الذي هو المسيح "لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطي لنا" (رو٥:٥). **وهذا يتم في اجتماع المؤمنين معاً وفي مكان واحد للاحتفال بسر الإفخارستيا.**

مبدأ هذه الحياة المتحدة والمشتركة بين كل مؤمن والكنيسة يكمن في نوال كل مؤمن الروح القدس في سر المعمودية، كما أوضحنا، والذي يتثبت فيه من خلال سر المسحة المقدسة؛ وهو يستثمر هذه المسحة ويُنميها من خلال ممارسته حياته المسيحية اليومية، وذلك بالنسك، والصلاة، والتغذي بكلمة الإنجيل، وبالإيمان، والرجاء في حياة الدهر الآتي، وفي مواجهة معاناة الحياة بكل آلامها وتجاربها ومصادماتها كل يوم، حيث يقدم نفسه وجسده كل يوم ذبيحة حية مقدسة مرضية أمام الله، يحقق فيها دعوته الإلهية كعضو في شعب الله، ومع الكنيسة جسد المسيح كمملكة كهنة (رؤ ١:٦)، حيث ينضح عليهم المسيح من كهنوته ليصيروا قادرين علي تقديم ذواتهم ذبائح حية مقدسة، كل يوم، متحدة بذبيحة المسيح الطاهرة المقبولة أمام الآب. إن القديس بولس يطبق صورة الهيكل (حيث كانت تُقدَّم الذبائح الحيوانية في العهد القديم) علي الكنيسة حيث يقول للمؤمنين: "أنتم هيكل الله الحي" (٢كو٦:١٦)، كما يطبقها علي أجساد المسيحيين (١كو ٣:١٦، ١٧، ٦:١٩، ٢٠؛ أفسس٢:١٩-٢٢). حيث يدعو المسيحيين أيضاً أن يقدموا أجسادهم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتهم العقلية (أي الروحية وليس ذبائح دموية بعد) (رو ١٢:١).

وفي هذا التشبيه الجديد نكون أمام صورة رائعة للكنيسة: **مجمع "ذبائح حية"** أتت إلى الكنيسة بيت الله لتقدم نفسها لله الآب ذبائح مقبولة في ذبيحة المسيح الواحدة التي سبق أن

قُدِّمت للآب على الصليب كرائحة بخور ذكية: [هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجلة]-(ثيئوطوكية الأحد من التسبحة السنوية)، فتنال في المقابل ذبيحة المسيح كطعام سمائي يكون لها للحياة الأبدية.

فهنا على المذبح **تُقدَّم قرابين المؤمنين (الخبز والخمر)** تعبيراً وعلامة على **سبق تقديم ذبائح نفوسهم وأجسادهم**، التي أتوا إلى الكنيسة ليرفعوها إلى الآب متحدة في ذبيحة المسيح الواحدة الوحيدة والمقبولة أمام الآب. فيردَّها الله لهم خبزاً سمائياً هو جسد ودم المسيح الأقدسين هو الأجر السمائي عوض تقدماتهم الأرضية الزمنية: "اعطهم يا رب الأجر السمائي" (أوشية القرابين).

من هذه الصور المتتابعة للكنيسة، يتضح أن ما يميز الكنيسة هي تلك الروح الجامعة، روح الشركة، روح الوحدة، والتي تتلخص في كلمة ومصطلح كنسي هو :"الروح **المجمعية**" التي تجعل من الكنيسة **هيكلاً واحداً، جسداً واحداً، روحاً واحداً، ذبيحة واحدة**. وهذه هي أيضا الصفة الأولى أو العلامة الأولى لكنيسة الله التي نعترف بها في قانون الإيمان: "نؤمن بكنيسة **واحدة** مقدسة جامعة رسولية".

من هذه الروح المجمعية وعلى أساسها، يقوم نظام وترتيب الكهنوت المقدس في الكنيسة الأرثوذكسية. فبحسب حقيقة أن الكنيسة تأسست على سر وحدة أقانيم الثالوث الأقدس، **فإن طقس وترتيب الكهنوت ينبع من وحدة أعضاء الكنيسة جسد المسيح** وعلى أساسها. ووحدة الكنيسة هذه تتغذى وتتثبت دائماً على التناول من سرِّ الإفخارستيا **وهي متحدة** على هيئة مجمع (أو "**Synaxis** سيناكسيس" كما في اللغة الكنسية باليونانية).

يقول القديس يوحنا ذهبي الفم:

[الإفخارستيا هي شركة للكل. فهي **لا تُقام بالكاهن وحده بل بالشعب مع الكاهن**، لأنه يبدأ قداس الإفخارستيا ("فلنشكر الرب") فقط بعد أن يعطيه الشعب الموافقة بإعلانهم بأنه: "مستحق ومستوجب"]

(عظة على ٢كو ١٨:٣)

وفي كنيستنا القبطية لا يبدأ الكاهن القداس إلا بعد أن يتبادل مع الشعب طلب الحِلِّ. وقد رأينا في أديرتنا العامرة هذا الطقس بأجلى وأخشع بيان، حينما يتبادل الكاهن -قبل أن يبدأ

قداس الإفخارستيا– هو ومجمع الرهبان أداء المطانية بالسجود مقابل بعضهما البعض: الكـاهن الخديم مع صف الرهبان. وفي الكنائس في المدينة ما زال الكهنة الأمناء على الطقس حريصـين على أداء هذا الطقس حيث يقول الكاهن للشعب: "أخطأت سامحوني الله يحاللكم جميعاً".

بهذه الصور يمكن أن نقترب لنفهم ترتيب الكهنوت المقدس في كنيستنا الأرثوذكسية.

دعوة الكنيسة لانتخاب الأساقفة:

فالكنيسة شعب الله، ومجتمع الإيمان، ومجمع الذبائح، في موضع مكاني محدد، قد دُعُوا في تدبير الله الخلاصي أن ينتخبوا من بينهم من يكون صوتاً وفماً وأذناً ويديْن للشعب أمام الله، أي من يكون المعبِّر عن وحدة ذبيحتهم التي يرفعونها إلى الآب، وفي الوقت نفسه يكـون هـو الأداة التي من خلالها يصير المسيح حـاضراً دائمـاً وسـط شـعبه **إلهـاً وملكـاً، ورئيـس كهنـة، وفادياً، ومعلِّماً، وراعياً، ومتقبِّـلاً اعترافات شعبه وتوبتهم ومُعطياً لهم الحِـلّ من خطاياهم، ومُناولاً للمؤمنين عطاياه وأولها جسده ودمه الأقدسين. وبالتالي يكـون هـو العـامل دائمـاً على تثبيت وتحقيق وحدة المؤمنين حول شخص المسيح.**

ويقول كتاب "**الديداخيه**" أقدم وثيقة كنسية في القانون الكنسي:

[**انتخبوا لكم أساقفة**]– الديداخيه – الفصل١٥(١)

فالأسقف المنتخب سيكون هو الذي يرأس الإحتفال الإفخارسـتي لشـعب الله في الموضـع المحدد.

هذا المنتخَب لابد أن يكون متوشحاً بموهبة الروح المقدس في التدبير (١ تـي ٥:١٧)، وفي نفس الوقت يكون مدعواً من الله من خلال رضاء وإجماع الشعب الذي يُقام عليه في موضع محدد. ويظل بعد الرسامة حائزاً على عضويته في جسد المسيح، حتى يمكـن أن يُعتـبر دائمـاً – في نظر الله والشعب – الممثل للشعب وحامل قرابينهم على المذبح لتقديمها أمـام الله، وأيضـاً

---

(١) والديداخي **Didache** من مدوَّنات القرن الأول الميلادي وترجمتها "تعليم الرسـل الاثـني عشـر". ونفـس هـذا الأمـر الرسولي ورد في رسالة القديس إغناطيوس الأنطاكي (القرن الثاني) إلى أفسس ٥:٢ و ٢٠:١؛ وإلى مغنيسيا ٧:١؛ وإلى تـرال ٢:٢؛ ٧:٢ وغيرها.

المُمثل(٢) لله أمام الشعب ينقل إليهم سلام الله الحقيقي ونعمته المجدِّدة وخلاصه الأبدي.

إن موهبة "**التمثيل/أي خلعة تحقيق حضور المسيح**" هذه التي يمارسها كهنة العهد الجديد عن الله أمام الشعب هي من أخطر المواهب المعطاة للبشر على وجه الأرض، وهي تختلف كل الاختلاف عن المفهوم الوثني عن وساطة الكهان الحاجبة بين البشر والآلهة والتي يتبعها طبعاً فكرة العصمة الشخصية لهؤلاء الكُهَّان(٣). فالكهنوت في العهد الجديد(٤) تختلف عن مثيله في العهد القديم وفي الأديان السابقة. فهو أولاً **كهنوت ربنا يسوع المسيح رئيس الكهنة الأعظم والأوحد** (الذي أُقيم كاهناً ورئيس كهنة على رتبة ملكيصادق، وذبيحته واحدة، وهي تقدمة ذاته، التي قدمها مرة واحدة وإلى الأبد على الصليب). هذا الكهنوت ينضح على جسده المقدس الذي هو الكنيسة. ومن هذا الكهنوت المقدس ينال ويؤدي كهنة العهد الجديد كهنوتهم "**كوكلاء سرائر الله**" (١كو ٤:١). فهو كهنوت المسيح الناضح على جسد الكنيسة كله، وليس كهنوتاً مفروضاً من الخارج على جسد المسيح، أو متوارثاً على نسق كهنوت هارون الموَرَّث لبنيه في العهد القديم. ويؤكد هذه الحقيقة الجديدة **القديس كيرلس الكبير** عمود الدين في قُدَّاسه وهو يخاطب المسيح واصفاً الكهنوت هكذا: [**هذا الكهنوت المقدس الذي لك**]-أوشية الكهنوت، القداس الكيرلسي.

فالكنيسة كلها من قبيل اتحادها بالمسيح الكاهن الأعظم الأوحد، اختيرت لتكون "كهنوتاً مقدساً" هو كهنوت المسيح عينه (١بط ٢:٥) و "كهنوتاً ملوكياً" (١بط ٢:٩)، والمؤمنون بالمسيح "جُعلوا ملوكاً وكهنة لله" (رؤ ١:٦) من قبيل اتحادهم بالمسيح ككنيسة، أما **الكهنة المرسومون** فلأنهم يمارسون الكهنوت السرائري(٥) باعتباره هو كهنوت المسيح الناضح على جسد كنيسته المقدسة، فهم خدام "**هذا الكهنوت المقدس الذي للمسيح**".

---

(٢) لكي نفهم معنى كلمة "ممثل" الله والمسيح نذكر الكلمة الإنجليزية التي تعبِّر عن نفس المعنى الروحي هكذا: فهي **(re_present)** أي : يعيد–حضور. فالكلمة تعني الشخص الذي يعمل كخادم حضور المسيح وسط شعبه.

(٣) كما يصفهم العالم اللاهوتي **K. H. Schelkle** في كتابه: **Ministry & Minister in the NT Church**

(٤) للإستزادة من شرح هذا الموضوع، راجع بند "**أصل الوظيفة الكهنوتية للأسقف والقس**" في الفصل الأول من القسم الثاني من هذا البحث عن "رتبة البريزفيتيروس/القس".

(٥) أو "**كهنوت الأسرار الإلهية**"، حسب تعبير الصلاة الإفتتاحية من صلوات الرسامات:[**النقف وتخلم كهنوت أسرارك الإلهية**]. راجع الحاشية رقم ٨ من الفصل الأول للباب الأول: شعب كهنوتي ملوكي نبوي.

هكذا علّم الإنجيل وآباء الكنيسة والتقليد الأبوي([6]).

لذلك لا بد للحائز على موهبة خدمة الكهنوت المسيحي أن يكون متحداً حقاً بالكنيسة جسد المسيح، وبالتالي بشعب المسيح، في أُلفة روحية ومشاركة وجدانية وحياتية، مستمراً في اعتبار نفسه **"كواحد منهم"** حتى يمكنه أن يحمل بحق سلطان تمثيلهم ورفع قرابينهم واعترافاتهم أمام الله.

وهذا يعني أيضاً وبالضرورة أن يكون **"مترفقاً** بالجميع" حسب نص القانون الرسولي (٢تي ٢٤:٢)، ومثل بولس الرسول الذي قال: "كنا **مترفقين** في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها" (١تس ٧:٢)، ومثل رئيس الكهنة الذي يُشترط فيه أن يكون "قادراً **أن يترفق بالجُهَّال والضالين**" (عب٢:٥). وفي الوقت نفسه يجب أن يكون قادراً أن يكون بحق **سفير المسيح للمصالحة**، وسط الشعب، ينادي بالمصالحة بين الله وبين البشر ("نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" كو١٩:٥). أي يكون عنصر مصالحة وصانع سلام ومُبدِّد الخصام.

فلكي يكون الكاهن أو رئيس الكهنة كل هذا، يجب أن يكون في اتحاد وشركة عميقة متينة مع الله، حتى يمكنه أن ينقل إلى شعبه **مشيئة الله، ورعاية الله، ومحبة الله، وبركات الله، ومصالحة الله، ويكون أهلاً أن يكون وسط شعبه صورة الله، أي يكون شفّافاً يُظهر من خلال تواضعه وجحده لذاته حضور المسيح عمانوئيل وسط شعبه.**

هذه المبادئ هي الأساس الذي بُنيت عليها قوانين الكنيسة المختصة بترتيب نظام الكهنوت، بحيث أن التغاضي عن أيٍ من هذه الأساسيات في المبادئ لا يُعتبر مجرد تغاضٍ عن مبادئ، بل هو **مساس** بـ **"أساسات الكنيسة"** نفسها، وهذا كفيل - إن لم ينتبه آباؤها الروحانيون وأبناؤها الواعون ومعلموها اللاهوتيون ويصونوا نظام الكنيسة - بأن تتزعزع الكنيسة من أساسها. حمانا الله وحمى كنيسته من المصير المهلك الذي سبق وقضى على كنائس عظيمة في أقاليم أخرى وعلى مدى التاريخ حين **تهاونوا في هذا الأمر**.

([6]) راجع تعليم الكنيسة وأقوال الآباء عن هذا الوصف في الجزء الأول من هذا البحث ***"الكنيسة شعب الله - شعب ملوكي كهنوتي نبوي"***.

المبادئ التي تقوم عليها أساسيات قيام الكنيسة:

إن هذه الأساسيات تتلخص في المبادئ الآتية التي سوف نرددها في الفصول اللاحقة ونطبقها على القوانين الكنسية المختصة بترتيب الكهنوت في سياق هذا البحث، لذلك على القارئ أن يرجع إليها دائماً:

- الكنيسة هي جسد المسيح والكرمة الحقيقية المتجسد. أي شعب الله في موضع محدد الملتئم معاً والمجتمع حول والمتحد بجسد المسيح ودمه.
- نحن أعضاء المسيح، أو الأغصان البشرية للأصل الإلهي – الكرمة الحقيقية– الذي هو المسيح.
- **كل عضو أو فرع له موهبته وعمله في الكنيسة، وكل المواهب تؤول إلى بنيان جسد المسيح. ومن بين هذه المواهب موهبة التدبير والرعاية التي ترتبط بموهبة خدمة الكهنوت.**
- **وموهبة خدمة كهنوت المسيح تنبع من وحدة شعب الله في موضع جغرافي محدد TOPOS الذي ينتخب المرشح للكهنوت ويتوحد معاً في اختياره،** ذلك لأنه – أي الكاهن المنتخب – يحمل صفة التمثيل المزدوج: تمثيل الشعب في موضع جغرافي محدد أمام الله، وتمثيل الله أمام الشعب في هذا الموضع. فلابد من رضاء وإجماع الطرفين (أي الله والشعب) على قيامه ليكون تمثيله صحيحاً وبحق. ولابد من تمتع الكاهن المنتخَب بالاتحاد والشركة والمعايشة مع الطرفين ليمكنه أن يأخذ ويعطي من الطرفين وإلى الطرفين.

فالكنيسة هي إكليروس وشعب. ولا قيام للواحد بدون الآخر. بل قيام الكنيسة هو بعضها البعض حسب نص القانون الرسولي القائل:

> **[...لأن قيام الكنيسة هو بعضها بالبعض. فلو لم يكن "علمانيون" فعلى من يكون الأسقف والقسيس].**

الباب ٤٩ من قوانين قيام الكنيسة

هذا النص يحمل معاني كثيرة ومعالم أكثر عن طبيعة الكنيسة. فقيام الكنيسة هو بالإكليروس والشعب معاً. والكاهن (أسقفاً كان أو قساً) هو بشعبه، والشعب بأسقفه على حد التعبير المشهور للقديس كبريانوس والذي صار مبدءاً هاماً في حياة الكنيسة: [هذا هو ما

يكوِّن الكنيسة: الشعب المتحد برئيس كهنتهم والرعية التي تتبع راعيها. لذلك يجب **أن تَعْلَم أن الأسقف بكنيسته والكنيسة بأسقفها**.] الرسالة٦٦:٨

على أن الكاهن (ونحن نركز هنا -في الباب الأول من هذا القسم من البحث- على الأسقف لأنه المعتبر دون باقي رتب الكهنوت في ترتيب بنيان الكنيسة أنه "الثاني بعد المسيح" و "الثاني بعد الرسل"، حسب تعبير قوانين ترتيب الكهنوت) يأخذ بمقتضى صفته التمثيلية مركز التقدم والرئاسة والأوَّلية. ولكن هذا التميز بالنسبة لباقي أعضاء الجسد ليس تميزاً من جهة طبيعة شخص الكاهن، بل فقط من جهة نوعية الموهبة المعطاة له، والتي تظهر وتُمارَس فقط أثناء قيامه بخدمته الليتورجية الكهنوتية وداخل مجال خدمته الرعوية لكنيسة الله. لذلك فهو يظل عضواً في شعب الله، ويظل طبعاً واقعاً تحت الضعف البشري عينه، **فليس في الكنيسة الأرثوذكسية أي عصمة شخصية للكهنوت تحت أي ادعاء أو أي مسمًّى**. والكنيسة كلها - إكليروساً وشعباً - مسئولة أمام الله أن تكون يقظة وحارسة وحافظة للإيمان والنظام في الكنيسة مع الكاهن وبالتنسيق معه في محبة ووحدة واحترام وثقة متبادلة واتضاع ووداعة من كل جانب تجاه الآخر.

لذلك برز الاهتمام الشديد والدقة المتناهية في اختيار الأسقف:

لذلك، وبسبب هذا الوضع الرئاسي الشديد الحساسية، فإن آباء الكنيسة وقوانين الكنيسة كانوا يؤكدون على ضرورة التزام الدقة المتناهية والشديدة في انتخاب الأسقف. ووضعوا لهذا الانتخاب المعايير والتحديدات الكثيرة من جهة السن والعلم والحكمة والخلق الشخصي وحسن الشهادة حتى من الذين هم من خارج، والأهم من كل ذلك الحياة الروحية الباطنية العالية القائمة على الذخيرة الوافرة من الحياة المختبرة **الطويلة في عدد السنين، والعميقة في نوعية الحياة النسكية** التي عاشها والتي تشهد لها حياة متجردة من مقتنيات الدنيا غالبة لشهوات النفس والجسد، حتى يستطيع أن يؤدي الوظيفة الرئاسية دون الوقوع **في كارثة الكبرياء والغرور والتسلط**، التي هي أولى دركات السقوط والهلاك المميت سواء له أو للشعب على حد سواء.

- ولذلك كان القديسون يهربون من تقلد هذه الوظيفة؛

- أما شعب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الواعي لتراثه والمحب لكنيسته والصادق في رؤيته والمخلص للقديسين الذين يعيشون بين جنباته، فكان يصمم على تعقُّب واختيار هذا النوع

النادر من الناس، أي القديسون الهاربون من الرئاسة وحب الكرامات والمتكآت الأولى. وقد انطبع هذا السلوك التقوى لشعب الله في الكنيسة القبطية على نص خالد نجده مسجلاً في طقس انتخاب وإقامة ورسامة الأسقف يشهد على هذا السلوك الشعبي المتوارث، كما سيظهر في الفصول القادمة. وتاريخ الكنيسة القبطية المستقيمة الرأي حافل بأمثلة هؤلاء القديسين في سجل تاريخ آبائها البطاركة وأساقفة الكنيسة، وهو مرجعنا الوثيق لهذه الحقيقة التي تعبِّر عن سمات الشخصية الأصيلة للشعب القبطي على مدى الأجيال.

ثانياً – ترتيب قيام (انتخاب) الأسقف وقسمته أو رسامته

المرجع:

من أهم المراجع المعتبرة أساساً للتشريع الكنسي القبطي ولترتيب الكهنوت في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كتاب التقليد الرسولي للأسقف الروماني هيبوليتس (عاش حوالي سنة ٢١٥ م.) والمسمي في كتب ومخطوطات الكنيسة باسم "ترتيب نظام الكهنوت" لمؤلفه "أبوليدس" (النطق العربي لكلمة هيبوليتس). ويُعتبر كتابه هذا أحد أقسام مخطوطة القوانين الكنسية المحفوظة بمكتبة البطريركية، ومعظم مكتبات الأديرة.

بعض التعريفات والمصطلحات الهامة

١. كلمة "إبيسكوبي Episcopei":

تعني حرفياً "النظر من أعلي" أو بلغة المخطوطات الكنسية العربية "الإشراف أو المراقبة(١) من أعلي"، وهي الوظيفة التي اشتقت منها كلمة إبيسكوبوس "**Episcopos**" أي "أسقف" (وهي النطق العربي للكلمة اليونانية) والتي تعني الخدمة الأسقفية وما يقوم به الأسقف من رعاية النفوس التي يؤتمن عليها حين رسامته.

٢. مفهوم أساسي في فهم ترتيب نظام الكهنوت:
الرب يسوع المسيح هو أصل ورئيس الأسقفية:

"الأسقفية" هي أصلاً خدمة ومهمة وعمل الرب يسوع المسيح التي تنبأ عنها الأنبياء في العهد القديم. إذ تنبأوا عن مجيء الراعي الذي "سيشرف أو يطّلع" أو "ينظر من أعلي" علي نفوس رعية الله. وهذه الأفعال الثلاثة هي ترجمة كلمة إبيسكوبي **Episcopei** وإن كانت

---

(١) "المراقب" هو الذي كان يجلس على أعلى مكان من سور المدينة لكي يراقب وينذر الذين يحرسون الأسوار.

تترجم أحيانـا في الكتـاب المقـدس بكلمـة "**يفتقـد**" أو "**يلاحـظ**"، كمـا سنري في النصـوص الكتابية والإنجيلية الآتية:

نبوة حزقيال ٣٤:١١، ٢٢-٢٥

-"هاأنذا أسأل عن غنمي **وأفتقدها** (الكلمة اليونانية هي فعـل الأسـقفية "**Episcopsomai**" **أي الافتقاد**)، كما **يفتقد** الراعي قطيعه"..."وأقيم عليها راعيـاً واحـداً فيرعاهـا عبـدي داود، هو يرعاها وهو يكون عليها راعياً. وأنا الرب أكون لهم إلهاً وعبدي داود رئيساً في وسطهم"

إذن، يكون الله هو الإله، والمسيح هو الراعـي والأسـقف الممسـوح بـالروح القـدس (أي المسيَّا الذي كان ينتظره شعب الله)، الذي يفتقد شعبه.

وفي العهد الجديد يستعير القديس بطرس الرسول من هذه النبوة لقب المسيح "الأسـقف". وهو يذكِّر المؤمنين بها حين يقـول: "أنكـم كنتـم كخـراف ضالـة، لكنكـم رجعتـم الآن إلى **راعي نفوسكم وأسقفها**" ١بط٢:٢٥). وللقسوس يحثُّـهم أن يرعوا رعية الله التي في أمـانتهم "نُظَّاراً" (أي "إبيسكوبوس" بمعني نوع العمل وهو الافتقاد والإشراف علي النفـوس) لا علـى مثال الرعاة الأردياء، بل بالاختيار وبنشاط، وكأمثلة للرعية، مذكِّراً إيـاهم بمـن هـو رئيسـهم الرب يسوع المسيح: "ومتى ظهر **رئيس الرعاة** تنـالون إكليـل المجـد الـذي لا يبلـى" (١ بـط ٥:١-٤).

ويأتي القديس بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين ليسـتعير مـن نبـوة أخـري في العهـد القديم، ولكنها نبوة تحمل الوجه السلبي للرعاية:

نبوة زكريا النبي ١١:١٦

-"فقال لي الرب خذ لنفسك، بعد، أدوات راعٍ أحمق لأني هاأنذا مُقيـم راعيـاً في الأرض لا يفتقد (إبيسكوبي) المنقطعين ولا يطلب المنساق ولا يجبر المنكسر، ولا يربِّي القـائم. ولكـن يأكل لحم السمان (يسلب أموال الرعية)، وينزع أظلافها (أي يجردها من حريتها في المسيح)"

يوجه القديس بولس الرسول رسالته إلي العبرانيين الذين يعرفـون هـذه النبـوة ذات الوجـه السلبي عن الراعي "الأحمق" فيقول:

"لذلك قوِّموا الأيادي المسترخية والرُّكب المخلعـة واصنعـوا لأرجلكـم مسـالك مسـتقيمة لكي لا يعتسف الأعرج (يعـرج أو ينحـرف عـن الطريـق) بـل بـالحري يُشـفي... **ملاحظين** (**Episcopountes**) إبيسكوبونتِس، **مفتقدين**) لئلا يخيب أحـد مـن نعمـة الله" (عـب١٢:١٢-

١٥).

فبدلاً من الراعي الأحمق في العهد القديم الذي لا يجبر المنكسر، يأتي راعي العهد الجديد "**راعي الرعاة الأعظم**" ليقوِّم الركب المخلعة، ويمارس الأسقفية (أي **مهمة الافتقاد والملاحظة Episcopountes**) لئلا يخيب أحد من نعمة الله.

وهكذا يدُعي الراعي المسيحي أسقفاً، ليس كمجرد لقب، بل كقائم بعمل ومهمة "**راعي الرعاة الأعظم**" ربنا يسوع المسيح، نالها منه **بالوكالة له**، ليعطي عنها حساباً في اليوم الأخير (مت ٢٥: ١٩).

وبناءً على هذا المفهوم الإنجيلي، يأتي التقليد القانوني الكنسي في مقدمة كتاب "ترتيب قيام الكنيسة" ليذكِّر الجميع أن رأس الطغمة (**Tagma** تعني "رتبة") الكهنوتية هو الرب يسوع المسيح نفسه:

[الأول في الطغمة هو رأس الكهنة، وهو الوحيد، يسوع المسيح من حيث بشريته، الذي لم يغتصب لنفسه كرامة ولكن صُيِّر كاهناً مؤبداً]

هذا هو أساس ورأس ومرجع خدمة الأسقفية وأصل الكهنوت المسيحي، **ربنا يسوع المسيح**. لذلك فالراعي والأسقف في الكنيسة إنما هو بمثابة الخادم والوكيل والمؤتمن على تكميل أسقفية المسيح - له المجد - علي كنيسته، لذلك فهو يتمثل في شخصه شخص المسيح راعي الرعاة العظيم وأسقف النفوس ورأس الكهنة، مُخفياً ذاته، باذلاً إياها، ليُظهر المسيح أمام الشعب. فالأسقف هو الأداة البشرية لحضور وظهور ربنا يسوع المسيح رئيس الكهنة وراعي الرعاة الذي أتى إلى خرافه ليفتقدها ويخلصها ويشفيها، بحسب النبوات.

٣. تاريخ ومعنى وضع اليد على رأس المنتخب للكهنوت:

وضع اليد طقس قديم قِدَم كنيسة العهد القديم، وكان يُكنى عنه أحياناً بكلمة "مَسْح" مثلما مسح صموئيل شاول ملكاً ثم داود (صموئيل الأول ١٠: ١؛ ١٦: ١٣). ولكن "وضع اليد" ذُكر صريحاً حينما اختار موسى يشوع وأمره الرب: "**ضَعْ يدك عليه**" (العدد ٢٧: ١٨). وكان يُمارَس على خُدَّام الهيكل الذين يقومون بالخدمة الكهنوتية، ثم صار

يُمارَس على "شيوخ–بريزفيتيروس"([2]) المجامع اليهودية حيث كانت توضع عليهم أيادي الشيوخ المرسومين السابقين **بقصد أن ينقلوا إليهم "الروح" الذي حلَّ على موسى ومنه على كل شيوخ إسرائيل** (كما في سفر العدد ١١:١٧).

وهكذا أصبح وضع اليد طقساً حتمياً لكل خادم سيقوم بخدمة (**أو ليتورجية**) في مجال العبادة الإلهية.

ومن هنا أصبح وضع اليد لرسامة الإكليروس المسيحيين المدعوين من الله والمفرزين ليخدموا **ليتورجية الإفخارستيا**، بالأساس، هو استمرار لتقليد إلهي قديم قِدَمَ بدء تدبير خلاص الله للبشرية منذ العهد القديم ليتأهلوا للقيام بهذه الخدمة أو "**الليتورجية**" المقدسة.([3])

وبحسب شرح معلمنا **القديس يوحنا ذهبي الفم**، فإن وضع اليد، في الواقع وفي حقيقته السرية يمثل:

[وضع يد الله غير المنظورة التي يرمز لها الفعل الخارجي]

العظة الرابعة عشرة على سفر أعمال الرسل: ٣

هذا الشرح ينطبق على وضع اليد سواء أيدي الأساقفة على رأس الأسقف الجديد أو وضع يد الأسقف على رأس القس الجديد.

٤. معنى كلمة "ليتورجية"

كلمة "**ليتورجية**" لها معنى خاص منذ ما قبل المسيحية. ولكن ما يهمنا هنا أولاً هو معناها في الكتاب المقدس (الترجمة السبعينية) أو في كنيسة العهد القديم. فهي استخدمت كترجمة لكلمة "خدمة" **نيابة عن أو باسم الشعب ولكن في إطار العبادة المنتظمة والطقسية**

([2]) راجع طقس شيوخ المجمع اليهودي في الباب الأول من القسم الثالث من هذا البحث.

([3]) وهنا لا بد من التفريق بين وضع يد الأسقفية أو القسوسية للرسامة **Cheirotonia** (الشرطونية – شيروطونية) وبين وضع اليد للبركة (**Cherothesia** الشيروثيسيا) على رأس المعمَّد بعد جحده للشيطان واعترافه بالإيمان (حيث يصير بعد مسحه بالزيت المقدس عضواً في جسد المسيح الناضح عليه كهنوت المسيح)، ومثل بركة المسيح للأطفال (كلمنضس في كتابه المربي١:٥)، ووضع اليد على الموعوظين (كما في قداس سيرابيون ٤)؛ ووضع اليد على رأس التائب المعترف وهو يتلقى صلاة الحل من الكاهن (مجمع نيوقيصرية ٩، الدسقولية ٢:١٨:٧، ٢:٤١:٢)، ووضع يد الكاهن على المريض في سر مسحة المرضى.

في هيكل أورشليم. وقد استُعيد استعمال هذه الكلمة في كنيسة العهد الجديد سواء في الإشارة إلى خدمة الكهنوت الأعظم لربنا يسوع المسيح (عبرانيين ٨:٦)، أو إلى خدمة خدام كنيسة العهد الجديد (أعمال١٣:٢؛ رومية١٥:١٦)، أو لأي "**خدمة**" لله سواء تُقدَّم لله مباشرة أو للناس من أجله وبدعوة منه (فيلبي ٢:٢٥؛ رومية ١٣:٦).

وفي ترتيب خدمة قداس الإفخارستيا تقول الدسقولية إن لكل قسم من شعب الله ليتورجيته المنوط به القيام بها: الكهنة لهم ليتورجيتهم أي دورهم في إقامة الليتورجية، والشمامسة لهم ليتورجيتهم أي المردات والأعمال المنوط بهم أداؤها، والشعب له ليتورجيته أي الصلوات والمردات الخاصة به. ولا يمكن إقامة ليتورجية الإفخارستيا بدون أي قسم من الشعب بليتورجيته.

٥. الفرق بين "الإقامة" و "الشرطونية"

ولا بد في هذا المجال من التفريق بين "**الإقامة**" وبين "**الشرطونية**"،

١. **فالإقامة هي الانتخاب والاختيار** الحر للأسقف الجديد، والتي تسميها اللغة اليونانية (**Katastasis** كاتاستاسيس)، وتتضمن عمليات الترشيح للمستحقين للرتبة، وإجراء الانتخاب الشعبي بطريقة قانونية حرة صحيحة تتحقق فيها إرادة الشعب فعلاً، وهذه يسميها كتاب الرسامات: "**اصطفاءً حسناً**" أي اختياراً صحيحاً، ثم تصديق السلطات الكنسية أي المجمع المقدس وأسقف الكرسي الرسولي المتقدِّم. ومن بين شروط **الاصطفاء الحسن** امتلاء المرشَّح من الروح القدس ومواهبه. فالشعب يقيم بالاختيار الذين لهم مواهب في الخدمة، والشرطونية تأتي لكي تختم على ما رآه الشعب.

٢. وأما **الشرطونية فهي القسمة أو التكريس أو الرسامة**، والمسماة باليونانية "**Cheirotonia** شيروطونية" والتي أُخذت منها الكلمة المعرَّبة "شرطونية" وترجمتها: "**وضع اليد**".

والشرطونية هي أهم مرحلة في رسامة الأسقف أو القس أو الشماس، بينما في بعض درجات الشموسية مثل الإيبيذياكون والأغنسطس والأبصلتس لا يُشَرْطنون أي لا توضع عليهم الأيادي عند الرسامة، بل فقط يُقامون أو "يختارون" بالاسم. وكذلك رتبة الأرملة والعذراء حيث يصف القديس بولس وضع هذه الرتبة بأنه "اكتتاب" (١تي٥:٩).

وبهذا، فإن انتخاب الأسقف أي إقامته لا يكفي ليصبح الشخص المختار أسقفاً، بل لابد

من **الشرطونية** والتي تتمثل في "**وضع الأيادي**" عليه، أي أيادي الأساقفة السابقين عليه، لكي بوضع الأيادي، وبصلاة الكنيسة أي الأساقفة والشعب الذي انتخبه وأُقيم هو عليه، يحل عليه نفس الروح القدس الذي حل من قبل على الرسل قديماً ليعطيهم السلطان والقوة على الخدمة، وهذا هو أساس وأصل التعاقب الرسولي الذي يحمله الأساقفة في الكنيسة: حلول نفس الروح القدس الذي حل على الرسل يوم الخمسين، بصلاة الكنيسة أي الأساقفة والشعب الذي انتخبه، وبوضع أيدي الأساقفة الذي نالوا قبله نفس الروح القدس بتسلسل رسولي يرجع إلي الرسل أنفسهم. ومعروف أن الرسول الذي أطلق شرارة الروح الرسولية في كنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية هو **القديس مرقس الرسول والإنجيلي والشهيد** (استشهد سنة ٦٨م.).

٦. معنى "القسمة":

في الكتب الكنسية مثل كتاب الرسامات الكهنوتية وكتب قوانين الكنيسة، يُطلق على عملية "الرسامة" للدرجات الكهنوتية لفظ "**قسمة**" (**مثل "قسمة" الأسقف أو القس أو الشماس**). وهذه الكلمة العربية ليست غريبة عن المفهوم اللاهوتي الكنسي للرسامة. ولهذا رأينا أن نشرح هذه الكلمة "**القسمة**" وما تتضمنه من مفاهيم كنسية هامة:

١.فمن المعروف أن رسامة شخص للأسقفية تعنى "**فرزه**"، أي انتخابه من بين أعضاء الكنيسة للتكريس لخدمة معينة، وقد وضح ذلك في سفر الأعمال ٢:١٣، حينما أمر الروح القدس أن "**افرزوا** لي برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه"، وهذا الفرز تم من بين أسماء أخرى كثيرة ذكرها هذا النص في الآية السابقة على هذه الآية "وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان. ولوكيوس ومناين .... الخ". وبعد هذا الفرز يقول النص "فصاموا حينئذ وصلّوا ووضعوا عليهما الأيادي". وبهذه الصورة نستطيع أن نرى أن هذا **الفرز** من أجل الرسامة هو في طبيعته "**قسمة**"، أي تخصيص وفرز واختيار أدى إلى "**قسمة**" بين الأشخاص.

٢. كما يمكن فهم معناها أيضاً من وصف عمل الروح القدس في توزيع المواهب الروحية على أعضاء الكنيسة بأن الروح القدس "**قسم** لكل واحد بمفرده موهبة ما" (١كو١٢:١١).

وكلمة "قسم" هنا هي الترجمة للكلمة اليونانية **diairoun** وترجمتها بالإنجليزية([4]) **divide** ومعناها "يقسم".

فقسمة الأسقف تعنى على ضوء هذين المفهومين السابقين أنها **فرز** لخدمة معينة، مما أدى إلى **قسمة (أو نصيب)** حدَّده الروح القدس لهذا الخادم المفرز لأداء هذه الخدمة الخاصة، وهو قَسَمَه بهذا عن أشخاص آخرين كان هو من بينهم.

٣.فإذا ما تقدمنا قليلاً في فحص مضمون قسمة مواهب الروح القدس لوجدنا أن مواهب الروح القدس كما تكلم عنها القديس بولس الرسول (وبالتالي كل الخدمات الكهنوتية في الكنيسة) تتحدد، ليس كل موهبة في ذاتها، بل باعتبار المواهب كلها مرتبطة بعضها بالبعض.

٤.ويجهد القديس بولس قلمه للتأكيد على أنه لا توجد موهبة قائمة وحدها بمعزل عن المواهب الأخرى. وموهبة الروح القدس الحقيقية (أي التي هي حقاً من الروح القدس)، هي التي **ترتبط وتربط نفسها بالمواهب الأخرى وبجسد المسيح كله**. فأعضاء جسد المسيح كلهم يرتبطون معاً ويعملون معاً، **وما يربطهم في هذا العمل المشترك هو "المحبة"** التي خصص لها القديس بولس الأصحاح ١٣ (بعد الأصحاح١٢ الخاص بالمواهب). فإصحاح المحبة (١كورنثوس:١٣) هو الخاتم والختم الذى يختم به القديس بولس على أصحاح المواهب (الإصحاح ١٢). حيث كان لا يمكن أن يشرح القديس بولس مواهب الروح القدس دون أن يؤكد على حتمية المحبة التي هي "**رباط الكمال**" الذي يجعل من جسد المسيح كياناً كاملاً متكاملاً بتآلف وارتباط المواهب بعضها بالبعض، وبأدائها معاً بالمحبة.

٥.إذن، **فالقسمة (قسمة مواهب الروح القدس) مرتبطة أشد الارتباط بالمحبة**. فالمقسوم الذى قُسمتْ له موهبة ما، لابد أن يعرف أنه سيمارسها بالمحبة. ولكن تجاه مَنْ ؟

فلا يمكن أن نقول "محبة" دون أن نحدد موضوع وهدف هذه المحبة. فموضوع وهدف المحبة هنا هو **الجماعة من البشر الذين قُسم لهم هذا الشخص وهم قُسموا له**. والمحبة لا يمكن أن توجَّه إلاّ نحو أشخاص بشريين محددين بهويتهم سيتلقّون هذه المحبة ويقبلونها.

([4]) نفس هذا الشرح اللاهوتي لكلمة "القسمة" بالعربية وجدناه في مثيله للكلمة بالإنجليزية "**Divide**" لدى العالم اللاهوتي الأرثوذكسي: **John Zizioulas, *Ordination and Communion*, Study Encounter, WCC, Vol. VI .No. 4 1970, p. 188**

فالقسمة، مثلها مثل الزواج، وكما يشرحها علم اللاهوت الكنسي (الاككليزيولوجى)، هـي **عهد ارتباط سرِّي** بكيان محدد من البشر، (في سر الزواج يكون هو الزوج بالزوجة، وفي سر الكهنوت الكاهن بالجماعة المسيحية في إيبارشية ما الذين يكوِّنون الشركة المسيحية أو الكينونيا، وحقاً ما يُقال أن الزواج قسمة ونصيب، كذلك الأسقفية قسمة ونصيب الأسقف لشعبه والشعب لأسقفه).

٦- إذن، فالمضمون الهام للقسمة هو، **عهد الارتباط بشركة الجماعة المسيحية في موقع جغرافي معين**، أي الشعب "اللاؤس" في موضع جغرافي محدد، وهذه الشركة تسمى في العُرف الكنسي **"الإيبارشية"**. إنه عهد ارتباط مثل عهد ارتباط الزواج تماماً. شرحه علم اللاهوت الكنسي بأنه عهد زيجة الأسقف بجسد المسيح في إيبارشية، وما يترتب على ذلك من ترتيبات كنسية وتحريمات قانونية، (مثل تحريم الزيجة الثانية للمؤمن ويقابلها تحريم اقتران الأسقف بإيبارشية أخرى، وثانيها تحريم الطلاق والزواج بأخرى ويقابلها تحريم الانفصال عن الإيبارشية التي قُسم عليها والتنصيب على إيبارشية أخرى). وهي تماماً مثل المحبة في سر الزيجة، فهي محددٌ موضوعها الذى هو الشخص البشرى المحددة هويته الذى سيرتبط بالشخص الآخر المقسوم على هذه الزيجة، ولهذا الارتباط ترتيبات كنسية وتحريمات قانونية.

٧- وأيضاً أهم نتيجة لهذا الارتباط بشركة الجماعة، هي أن عهد الارتباط الذى تحمله "القسمة" **لا يكون تجاه أشياء غامضة**: أفكاراً كانت أو مُثُلاً أو خدمات أو مكاتب أو مؤسسات، أو حتى تجاه البشرية ككلٍ بلا تحديد، بل تجاه أشخاص بشريين محددة هويتهم بالموضع والموقع الجغرافي المكاني، تماماً كما تتطلب المحبة الزيجية شخصاً محددة هويته، توجَّه المحبة نحوه ويتم الإقتران به.

فالقسمة، إذن، تعبير كنسي تعنى إقامة ورسامة أسقف لرعاية أشخاص بشريين في موضع جغرافي محدَّدٌ مكانه. وبهذا يكون من المستحيل تصوُّر قسمة أسقف أو قس على لاشعب مسيحي غير محددة مدينة إيبارشيته، أو كما يقولون بالتعبير اللاتيني: **in absoluto**.

وهي بالتالي طقس شركة، أي طقس تشترك فيه الكنيسة كلها: الشعب أي شعب الإيبارشية، والمرشح الذي انتخبه شعب الإيبارشية، وموافقة الأساقفة السابقين عليه.

بهذه المفاهيم الأساسية، يمكننا أن نتقدم إلي فحص ودراسة:

المعاني المنطوية في صلوات قسمة (تكريس) الأساقفة:

إن صلوات القسمة كما أوردها لنا القديس هيبوليتس (أو أبوليدس حسب التسمية في المخطوطات) تفرق بين عملية **الإقامة** (**Katastasis** كاتاستاسيس)، وبين عملية **القسمة أو التكريس** والمسماة باليونانية "**Cheirotonia** شيروطونية". والشرطونية - كما قلنا - هي أهم **مرحلة** في رسامة الأسقف، وذات **طقس** مقدس مهيب، ولها **أثر** خالد إلي الأبد في شخص الأسقف، لا يمحي. لذلك حرمت قوانين الكنيسة **تكرار** "**وضع اليد**" علي الأسقف، تماماً مثلما حرمت **تكرار** "**المعمودية**" بالنسبة للمؤمن. كما يقول القانون ٤٨ من مجموعة قوانين الكنيسة على يد إقليمنضس وعددها ٥٦ قانوناً محرِّماً ومعاقِباً تكرار وضع اليد على الأسقف أو القس أو الشماس:

[لأجل من يُقسم دفعتين - إذا نال أسقف أو قسيس أو شماس قسمتين (أي وضع اليد بالنسبة للرتبة الواحدة) فليُقطع هو والذي قسمه.]

١ - مقدمة القانون: انتخاب الأسقف بإجماع الشعب :

[الأسقف يُختار من كل الشعب]

القانون الثاني من كتاب أبوليدس عن قوانين الكنيسة

[يجب للأسقف أن يُقسم وبأمر كل الشعب اصطفا (اختياراً) حسناً مقدساً في كل شيء هذا إذا ذكر ورضيهم (أي إذا ارتضوا به). فليجتمع كل الشعب والقسوس والأساقفة الذين يجتمعون في يوم الأحد.

وليسأل الكبير الذي فيهم القسوس والشمامسة ويقول: هل هذا الذي ارتضيتموه أن يكون لكم رئيساً؟ فإذا قالوا نعم فليسألهم ويقول: هل هذا يستحق هذه التقدمة الجليلة؟... فإذا أجابوا كلهم معاً وقالوا إنه هكذا بحق وليس بمراءاة، والله الآب والمسيح والروح القدس الحاكم لهؤلاء، فليُسألوا أيضاً ثالث دفعة: هل هو مستحق هذه الرياسة؟... فإذا قالوا ثالث دفعة أنه مستحق، فليصافحوه بأيديهم كلهم...]

عن قوانين الرسل - القانون ٥٢

٢ - اجتماع الشعب والإكليروس يوم الأحد لقسمة الأسقف:

[وفي الأسبوع الذي يقسم فيه يقول كل الشعب إنا نؤثره، وحينما يُقدَّم اسمه ويُري أنه لاقى القبول العام، يُصدق علي هذا الاختيار باجتماع الشعب والقسوس معاً في يوم الأحد مع الأساقفة]

القانون الثاني من قوانين أبوليدس

٣ – طقوس التكريس:

[ويضع الأساقفة عليه الأيادي.

بينما يقف القسوس وكل الشعب، ويكون سكوت في كل الرعية.

ويقول الكل عليه :"يا الله قوِّ هذا الذي أعددته لنا"] – نفس المرجع السابق

[وليأخذ كبير الأساقفة أسقفين آخرين معه. وبقية الأساقفة كلهم قيام والقسوس علي المذبح يصلون بسكوت والشمامسة يمسكون الأناجيل المقدسة وهي مرفوعة علي رأس من يقسمونه.]

القانون ٥٢ من قوانين الرسل

طقس وضع اليد (أخطر وأقدس لحظة في رسامة الأسقف):

[ويجعل (كبير الأساقفة) يده علي رأسه ويصلي ويقول]

القانون الثاني من قوانين الرسل

٤– صلاة القسمة ووضع الأيادي:

[يا الله أبا سيدنا يسوع المسيح
أبو الرحمات وإله كل عزاء
الساكن في العلا والناظر إلي المتواضعين.
العالم بكل شيء قبل أن يكون.
أنت الذي أعطى القوانين البيعية (قوانين الكنيسة) بابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا والروح القدس،

الذي سبقتَ ورسمتَ منذ البدء طقس الأبرار، منذ إبراهيم الأسقف الكبير.
والذي تقيم الرئاسات والسلاطين.
والذي لم يترك موضعه المقدس بغير خدمة (ليتورجية)،
الذي سُرَّ أن يتمجد في أصفيائه.
انظر علي فلان عبدك
أَفِضْ عليه قوتك وروحك القادرة (الروح الرئاسي – المزمور ٥٠)
هذا الذي دفعته (أعطيته) للرسل المقدسين، بواسطة سيدنا يسوع المسيح ابنك الوحيد، هؤلاء الذين أسسوا الكنيسة في كل موضع، كرامة ومجداً لاسمك القدوس.
لأنك أنت العارف بقلب كل أحد.
اجعل له أن يرعى شعبك بلا خطية.
وأن يستحق أن يرعى رعيتك العظيمة المقدسة.
وأن تجعل سيرته أعلي من كل شعبه بلا اعتراض.
وأن تجعله محسوداً (منظوراً إليه نظرة القدوة) بالصلاح من كل أحد.
وأن تقبل صلواته وقرابينه التي يرفعها لك نهاراً وليلاً، وتكون رائحة ذكية.
وتعطيه، يا رب، الأسقفية وروحاً رحيمة وسلطاناً لغفران الذنوب.
وتعطيه قوة أن يحل كل رباط ظلم الشياطين ويشفي المرضي.
وأن ترضض (تسحق) إبليس تحت قدميه سريعاً.
بسيدنا يسوع المسيح هذا الذي من جهته المجد لك معه والروح القدس إلي الأبد آمين
ويقول كل الشعب آمين.
وبعد هذا يلتفتوا إليه كلهم ويقبِّلوه بسلام لأنه يستحقه]

القانون الثالث من قوانين أبوليدس

وفي مخطوطة القرن الثالث عشر ومخطوطة ابن كبر تحدد الصلوات اسم **المدينة** التي يُرسم عليها الأسقف الجديد وذلك تنفيذاً لمقررات المجامع المكانية والمسكونية بتحديد حدود خدمة الأسقف:

[ندعو صفي الله فلان أسقفاً في الواحدة المقدسة الغير المنحلة كنيسة الله الغير المنظور والحي التي لمدينة الأرثوذكسيين المُحبة للمسيح فلانة وتخومها...]

مخطوطة القرن الثالث عشر ومخطوطة ابن كبر

وبعد ذلك:

[والشماس يأتي بالقرابين مع القسوس ويكمل القداس الإلهي]

المبادئ التي نستنبطها من صلوات القسمة :

الجزء الأول من الصلاة يعبِّر عن المبدأ الأساسي والحاكم لكل التقليد الليتورجي:

إنه الله نفسه الذي أسس ونظم وأمر بالعبادة الحقيقية التي تُقدَّم له. كما قال رب المجد للمرأة السامرية "الله يطلب (أو يبحث عن) هؤلاء الساجدين بالروح والحق" (يو٤:٢٣). فمنذ تأسيس العالم، والله هو الذي يرتب للناس كيفية عبادته.

وما التجسد إلا التعبير النهائي لهذا التدبير، والفداء هو الذي يكمل ويقدس العبادة لله. والعبادة لله هي النهاية والغاية لكل الوجود البشري. والعبادة التي تؤديها الكنيسة على الأرض "في كل موضع" إنما تؤديها "كرامة ومجداً لاسم الله القدوس"، وهي تعبِّر بها في إطار الزمن عن العبادة الكاملة الحقيقية في السماء.

في هذا الوضع والإطار من العبادة الكاملة الحقيقية التي رتبها الله نفسه للكنيسة، يمكننا أن نري مكان رتبة الأسقف. فلن يمكننا أن نفهم الجزء الأول من الصلاة، إلا إذا رأينا الأسقف ومهامه وعمله في إطار هذه العبادة الإلهية التي رسم الله نفسه قوانينها وحدودها.

المحاور الثلاثة لكيان الكنيسة المنظور:

الكنيسة كجماعة مؤمنين متحدة بالروح القدس في المسيح وحوله، ترتكز في كيانها المنظور على ثلاثة محاور متحدة ومترابطة معاً، لا غنى لأحدها عن الآخر ولا غنى عن أيٍ منها لقيام كيان الكنيسة:

المحور الأول: المذبح المقدس:

وهو الشيئ الوحيد من دون الخلائق المادية (غير العاقلة) الذي يُمسح بالزيت المقدس ويكرَّس لله. والزيت المقدس، كما يصفه **ديوناسيوس الأريوباغي**، "**يمثل المسيح**". وهذا

الموضع المقدس هو علامة سرائرية محسوسة دائمة ومستمرة على حضور الله وسط الخليقة: **"هوذا كائن معنا على المذبح عمانوئيل إلهنا"** (القسمة–القداس الإلهي).

لذلك فمن على المذبح تبدأ كل خدمة ليتورجية وكل عبادة مسيحية، وتفيض –كما من ينبوع– كل بركة وكل عطية تأتي من الله للبشر. فهذا المذبح الحجري بعد مسحه بالزيت المقدس، يمثل يد المسيح(°) نفسه التي تبارك وتقدس القرابين الموضوعة عليه والتي تعطي عطية الحياة الأبدية للمؤمنين.

لذلك فالمذبح في الكنيسة الأرثوذكسية هو مركز وقوة حياة الكنيسة كلها.

المحور الثاني: الأسقف:

فهو الذي يقوم بتكريس المذبح. والأسقف هو مثال المذبح. فالطبيعة البشرية هي المدعوَّة أصلاً أن تكون هيكلاً لله، ومذبحاً للآب السماوي، والكاهن هو ذبيحة حية لله. والأسقف الذي يكرس المذبح، هو نفسه لا بد أن يكون بالدرجة الأولى مذبحاً وهيكلاً وذبيحة لله ليكون صورة حقيقية للمذبح والهيكل الماديين.

المحور الثالث: شعب الله

والشعب هو الذي أُقيم المذبح من أجل أن تُرفع عليه قرابينه. وكما الأسقف، كذلك الشعب مدعوٌّ أن يكون قرباناً مستعداً لأن يحل عليه روح الله القدوس تماماً كما يحل على القرابين الموضوعة على المذبح، لأن القرابين الموضوعة على المذبح هي باكورة قربان الإنسان نفسه الذي يقدِّمه لله كل يوم.

هناك، إذن، علاقة باطنية أساسية بين المذبح، والأسقف، والشعب، وهذه الثلاثة تشترك في مركز واحد لها هو **المسيح**. فكما المذبح "**يمثل المسيح**"، كذلك الأسقف يمثل المسيح، كذلك الشعب المجتمع والمتناول من الأسرار المقدسة يتحول بتناوله من الجسد المقدس إلى **جسد المسيح**. فالثلاثة المحاور مرتبطة بعضها بالبعض في **المسيح**: فالأسقف لا يُتصور أن يكون

(°) يذكر تاريخ الرهبنة القبطية أن البابا بنيامين الأول (٦٢٥–٦٦٤ م)، شاهد يد المسيح تمسح معه مذبح أنبا مقار في ديره بينما كان يكرِّس هو هيكل الكنيسة التي أقامها الرهبان. راجع الأب متى المسكين، *الرهبنة القبطية*، الطبعة الثالثة ١٩٦٥، ص ٤٢٤

أسقفاً بدون مذبح "يلازمه" (عب ٧: ١٣)، أو دون شعب يُقسم له وعليه ليرفع قرابينه على المذبح ويوصِّل له عطايا الله ("...الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أعمال الرسل ٢٠:٢٨)، والشعب لا يُتصور أن يتقدس ويقدس ذبيحة أجساده بدون أن يقدسها على المذبح في ذبيحة المسيح الواحدة بيد الأسقف "حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدَّساً بالروح القدس" (رو١٥:١٦)، والمذبح لابد من كاهن ليرفع القرابين عليه باسم الشعب. وكل هذه الثلاثة تصل إلى كمالها وتوفي حقها في سر الإفخارستيا سر الأسرار. وبدون أحد هذه الثلاثة لا يمكن إكمال سر الإفخارستيا، وبالتالي.لا يمكن قيام الكنيسة، وبالتالي أيضاً لا يصير الشعب جسد المسيح.

أما الجزء الثاني من الصلاة فتحدد:

معالم ومهام الأسقف وأداؤه:

وهذه المهام ذات علاقة مزدوجة:

- الأسقف يقف ممثلاً لله أمام الكنيسة،
- وممثلاً للكنيسة أمام الله.

أو كما يصفه هيوليتس بتحديد أكثر أنه يمارس مهام ربنا يسوع المسيح نفسها التي هي:

- كراع صالح لرعية الله في مدينة أو موضع ما محدد.
- ككاهن يستعطف الله بقرابين الكنيسة.

هيوليتس ليس وحده الذي ينظر إلى الأسقفية بهذه النظرة إلى مهام الأسقفية. (كأمثلة: **ترتليانس** في كتابه عن المعمودية فصل ١٧ - **والقديس كبريانوس** في رسالة ٦٦- وغيرهما من القديسين وعلي الأخص الذين كتبوا عن الكهنوت مثل **القديس يوحنا ذهبي الفم والبابا الروماني غريغوريوس الكبير**). ولكن ما فعله هيوليتس هو أنه صاغ هذه المهام في صلاة قسمة الأسقف.

من أجل هذه المهام يحتاج الأسقف إلى مطلب هام **أن يكون هو المختار حقاً وبصدق من شعبه وكنيسته** (وبتعبير صلاة الرسامة "**اصطفا حسناً**")، وبهذا وحده يمكنه أن يقف باسمهم أمام الله ليسترضي وجهه، وأمام العالم ليعلن تدبير الله لخلاص العالم من خلال الكنيسة التي

يمثلها. بهذا أيضاً تصبح الكنيسة هي أيقونة جسد المسيح وسط العالم، ويصبح الأسقف (إما بشخصه أو بالقسوس الذين ينوبون عنه في كنائس الإيبارشية):

• خادم الأسرار الإلهية لشعبه.

• المعلم الذي ينطق بالتعليم الصحيح خلال الاحتفال الإفخارستي بذبيحة المسيح، مما يجعله الحارس للتقليد الصحيح والمتكلم باسم شعبه المؤمن وكنيسته بالتقليد الإنجيلي والكرازة الرسولية والعقيدة الأبائية التي تسلموها من الآباء والتي يؤمنون بها.

• ثم هو الذي يقيم ويكرس الدرجات الكهنوتية اللاحقة في الرتبة من أجل خير وصالح رعيته.

• ثم هو ممثل كنيسته وشعبه أمام سائر الكنائس والإيبارشيات في العالم كله ليساهم في إعلان جامعية الكنيسة.

• والقائم علي حفظ السلام والوحدة في كنيسته.

• وموزع صدقات وعطايا شعبه على المحتاجين.

•وحامل القلب المحب المترفق بشعب الله، وطالب الحِل من الله لشعبه، من الخطايا ومن كل رباطات الشيطان، والمُصلّي على المرضى لشفائهم.

• وأخيراً، هو مركز وقطب الوحدة من خلال تعددية المواهب الروحية بين أبناء شعبه، أي الذي يحتضن ويجمع سائر المواهب والطاقات والوزنات ويؤالف بين مختلف الآراء والأفكار بين أبناء شعبه، ليجعل الكل - ليس صوراً متكررة لشخصية واحدة - بل صورة للثالوث الأقدس المتميز الأقانيم ولكن المتساوين في الجوهر والواحد في الذات الإلهية بحسب تعليم القديس إغناطيوس الأنطاكي (القرن الثاني).

ومن التأكيد علي حتمية الاختيار والانتخاب الشعبي للأسقف (كما في مقدمة الصلاة)، يمكن أن نستنبط أن ترتيب نظام الكهنوت المسيحي يقوم على المبدأ القانوني الكنسي:

• **وحدة الأسقفية في موضع معين** (أي إيبارشية واحدة لأسقف واحد، وأسقف واحد لإيبارشية واحدة).

• وبالتالي فلا يوجد في النظام الكنسي الرسولي الأوضاع التالية:

١ .ممارسة أساقفة لسلطان الأسقفية دون أن يكونوا مرسومين علي شعب في مدينة أو

موضع ما، ضداً للمبدأ القائل: [**إن لم يكن علمانيون، فعلي من يكون الأسقف والقسيس**] - القانون ٤٩ من قوانين الرسل علي يد إقليمنضس.

٢.أساقفة معاونون أو مساعدون، أو أي مسمًّى آخر له اسم الأسقف بجانب أسقف الإيبارشية. تحقيقاً لمبدأ رأس واحد في الإيبارشية الواحدة (القانون ٨ مجمع نيقيه).

٣.انتقال أسقف من كرسي إلى كرسي آخر. (القانون ١٥ من قوانين مجمع نيقية المسكوني، والقانونان ١٤ و٣٦ من قوانين الرسل، ٢١ و٢٢ من قوانين مجمع أنطاكيه المسكوني)، وعلى الأخص من كرسي مدينة ما إلى مدينة الكرسي الرسولي.

أهم وأول سند في الخدمة الأسقفية:

وكما يتضح من الجزء الأول من صلوات القسمة، فإن أقوي وأول ما يتشح به الأسقف ليتمم وظيفته هو "القوة والروح القادرة - أو الروح الرئاسي" وهو **الروح القدس** نفسه الذي أكمل به الرب مهامه ومسحته بالروح القدس تجاه كنيسته، والذي سكبه علي رسله القديسين الذين أسسوا الكنائس في كل موضع. والروح القدس يعمل من خلال الرسامة بسبب وعد الرب أنه سيكون مع كنيسته وفي كنيسته يقودها ويرشدها ("ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" - مت ٢٠:٢٨؛ "أُرسل الروح القدس إليكم... ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق" - يو ١٦:٧،١٣). وهنا تظهر العلاقة الوثيقة في الرسامة بين الأسقف والرسل الأطهار والمسيح له المجد. وهي العلاقة المسماة بـ "**التعاقب الرسولي**".

هذه العلاقة تتمثل أول ما تتمثل في نوال **نفس الروح القدس** الذي حل على الرسل يوم الخمسين، بما يحمله من ثماره التسعة (غلاطية٥:٢٢)، والثلاثة (أفسس ٥:٩).

المعنى الروحي الكنسي للتعاقب الرسولي:

هناك عمق روحي في مفهوم التعاقب الرسولي. فلا يمكن تحقيق التعاقب الرسولي بمعزل عن الوحدة في التعليم، والجامعية أي سلامة البنيان الكنسي([٦]) غير المنقطعة في الكنيسة. كما

([٦])صفة الجامعية **Katholiki**، من بين معانيها: الصحة والسلامة أي عدم الكسر وانعدام المرض والعلل.

لا يمكن أن نفصل التعاقب الرسولي عن الحياة الروحية الرسولية التي تعيشها الكنيسة على مدى الأجيال. فالتعاقب الرسولي الذي يحمله الأسقف هو في إطار وحدة شعب الله في الإيبارشية مع أسقفه، وفي إطار أرثوذكسية التعليم، ووجود حياة روحية رسولية للشعب. فمثلاً في حالة اعتلاء أسقف كرسي الأسقفية بدون رضاء الشعب مثلاً، لا يكون جوهر المشكلة أن هذا التصرف يمثل كسراً للقوانين الكنسية فقط، بل إن الحالة الروحية للكنيسة نفسها هي التي تهتز وتتأثر لأي تعدٍ وكسر لقوانين الكنيسة، إذ تتعرض الكنيسة في هذا الوضع إلى الإنقسام والتحزب داخل الكنيسة مما يُضعف وحدة الكنيسة ويُفقد التآلف بين الأسقف وشعبه، وهذا يعني عزلة الكنيسة وتغربها عن الحياة الرسولية. لأن التعاقب الرسولي تأسس أصلاً على الوحدة والألفة بين الراعي والشعب، اللتين هما ضمان جامعية الكنيسة أي سلامة البنيان الكنسي، ما لا يمكن أن يتحقق في أجواء الانقسام والتشتت والتشيُّع والشجار والخصومات.

والمعنى الثاني هو أن التعاقب الرسولي ليس فقط تسلسل الماضي، والأمانة للتقليد لا تعني التصميم والعناد من أجل كل ما هو قديم. بل التقليد الرسولي في عمقه وحقيقته هو الحياة الروحية الصحيحة. إنه التدفق المستمر للحياة الروحية من مرتفعات علّية صهيون يوم الخمسين. والأمانة للتقليد بهذا المعني تربطنا بالقديسين الذين تعاقبوا على مر العصور، وتجعلنا شركاءهم في القداسة والعلم والنسك والتسبيح والصلاة والمحبة ومنهج التدبير وسياسة الكنيسة، وتحفزنا على أن نمتد ونكمل ما مارسوه هم من حكمة وتعليم وإبداع وصلاة وسيرة. فسلطان التعليم المعطي للأسقف هو هذا كله وواضح أنه يجب أن يُمارَس في إطار شعب الله الذي يحيا الحياة الروحية الرسولية داخل الكنيسة التي انحدرت إليه من الرسل من خلال الأساقفة السابقين.

- فالتعاقب الرسولي قائم على استمرار مزدوج:
- **استمرار غير منقطع للحياة الروحية** التي هي دوام اقتناء والامتلاء من الروح القدس من خلال الأسرار والصلاة والنسك،
- **واستمرار تعاقب خدام كهنوت المسيح في الكنيسة** الذين يُقامون ليحيَوا أولاً هذه الحياة الروحية، ثم ليرعَوها ويشجعوها ويقدموها للشعب بالتعليم الصحيح وتقديم الأسرار الإلهية.

- لذلك فالتسلسل الرسولي هو **تسلسل للحياة الروحية**. والحياة الروحية تنتعش بسيادة المحبة على القلوب، ولكن تنكمش وتتعثر في صخب المجادلات الغبية والعراك والتنافر بين الأشخاص، وفي هذه الحالة يتحول التعاقب الرسولي إلى مجرد عُقد يتحلى به الأسقف من الخارج دون فاعلية داخل الكنيسة.

- أما **سلطان التعليم** فهو لا يعني أن التعليم قاصر على الأسقف بمعزل عن شعب يحيا الحياة الرسولية ويؤمن بتعليم الرسل ويعتنق عقيدة الآباء. بالعكس فليس في الكنيسة انحصارية. فليس في كنيستنا الأرثوذكسية ما في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من تقسيم الكنيسة إلى كنيسة معلمة متكلمة (الإكليروس) وكنيسة متعلمة منصتة صامتة (الشعب). كما ليس في كنيستنا ما لدي البروتستانت من مقولة "كلنا كهنة" حيث تسود البلبلة الفكرية التعليمية وتتعدد المذاهب والشيع. ولكن كنيستنا الأرثوذكسية تؤمن بأن الأسقف هو الذي يملك وحده سلطان التعليم والتحدث باسم الكنيسة في الأمور الإيمانية والعقائدية فقط(٧)، ولكن في إطار كنيسة وشعب يحيا الحياة الرسولية. والشعب الحي بالروح مدعوٌ، لا أن ينصت فحسب، بل وأن يفهم ويتعلم ويزداد علماً ودراسة لإيمانه المسيحي من مصادر وينابيع الدراسة والعلوم الكنسية، لكي يمكنه أن "يثبت في الحق"، وبالتالي هو مدعو أن: "عظوا أنفسكم كل يوم بهذا الكلام" (عب٣:١٣)، "تتذكرون كل حين بهذه الأمور" (٢بط١:١٠)، "واعظين بعضنا بعضاً" (عب١٠:٢٥)، "معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً" (كو٣:١٦).

---

(٧) ولكن دون الآراء السياسية، إذ لا يليق أن يقتحم رجل الدين مجالات الآراء السياسية التي يُمكن أن تُحسب على الكنيسة كلها. والإدلاء بالآراء السياسية أصبح له أصوله ومعاييره وأدواته العلمية التي لا تتوفر لرجل الدين بل ولا تتناسب مع طبيعة الدين ذاته. وحتى لو قيل إن هذا الرأي هو رأي شخصي، فإن المبدأ الكنسي هو أن رجل الدين -بعد الرسامة- لم يعد له أن يتكلم باسم نفسه أو برأي شخصه، لأنه تكرس لكي لا ينطق إلاّ بشريعة الله التي أُفرز لكي ينطق بها. والكنيسة (كإكليروس) تؤدي واجبها تجاه الوطن من خلال شعبها (الكنيسة كشعب الله) حينما يتعلمون مبادئ الإنجيل جيداً ويعرفون كيف يحوّلون إيمانهم المسيحي إلى مواقف وطنية بالمساهمة في ترقية الحياة الإنسانية والتزام الفضائل المسيحية في مجتمعهم. أما في المحافل العامة، فهي تنادي بالسلام والمحبة والتحاب بين الأفراد والشعوب، ولكنها لا تحبذ الحرب بأي شكل ولا لأي سبب ولا تقترحه كوسيلة لحل المشكلات. فهي صوت المسيح المنادي بالسلام وبردّ السيف إلى الغمد (يو ١٨:١١). لكنها تشجب العدوان والظلم والاستغلال بكل ما أوتيت من نفوذ وتأثير وقوة روحية وأدبية بين الناس ولدى الحكام. راجع مقال:

Politics and Christian Faith, **The Greek Orthodox Theological Review, 37,1-2, 1992, p. 99-103**

للأب الدكتور إمانوئيل كلابسيس أستاذ مساعد العقائد وعميد الكلية اللاهوتية اليونانية في أمريكا ونُشر في المجلة الرسمية للمعهد.

• فخدمة الوعظ والتعليم والإنذار والتذكير التي يقوم بها أعضاء موهوبون من شعب الله بعضهم للبعض (مثل خدمة الوعظ وتعليم وتربية النشء والشباب والافتقاد وخدمة الأرامل والأيتام والتعليم بالكتابة والتأليف والنشر الخ.) إنما هي أقوي عضد وسند للأسقف في مهمته وسلطانه في التعليم والافتقاد، لأنها -أي خدمة أعضاء الشعب لبعضهم البعض- هي كمن يحرث الأرض ويُقلِّبها ويجعلها أرضاً صالحة لانتشار بذار التعليم الذي يؤديه الأسقف بمقتضى "موهبة الحق الذي لا يخطئ" التي عنده، ولرعاية شعب الله في الإيبارشية المؤتمن عليها.

يخاطب **القديس يوحنا ذهبي الفم** شعبه في أنطاكية قائلاً:

[أريدكم بل وأحثكم أن تكونوا معلمين. لا تكونوا مجرد مُنصتين فقط لعظاتنا. بل أذيعوا تعليمنا للآخرين! هيا اصطادوا الذين هم في الخطأ حتى يسلكوا هم أيضاً في سُبُل الحق]

العظة الثامنة على سفر التكوين

وباختصار، فالتعاقب الرسولي يتحقق من خلال الكنيسة الجامعة في موضع ما، أي شعب الله المؤمن الإيمان الرسولي وعلى رأسه الأسقف، والمجتمع حول ذبيحة الإفخارستيا. وأمامنا مثل واضح هو رسائل الرسل التي كانت تُوجَّه إلى: **شعب الله في الكنائس** (وفي رسالة فيليبي فقط أضاف "وأساقفة وشمامسة") - راجع افتتاحيات رسائل القديس بولس الرسول (ما عدا الرسائل الرعوية التي كانت تُرسل إلى رعاة الكنائس بأسمائهم) وكذلك رسائل باقي الرسل.

ثالثاً – الأسقف في مدينة كرسيه

هذه الشركة المتينة بين الراعي وشعبه – كما أوضحناها في الفصلين السابقين تُستعلن وتتجلى بأقدس وأوضح صورة حينما يجتمع الأسقف مع شعب إيبارشيته (إما بشخصه أو من خلال القسوس كلٍ في كنيسته ودائرته الرعوية) ليحتفلوا بالإفخارستيا. فالأسقف وهو يرأس الاجتماع الليتورجي يكون بمثابة الأداة المنظورة التي تجعل **المسيح حاضراً كرأس**[1] **الكنيسة ورأس الجسد**، وبالتالي مركز الوحدة بين المؤمنين. والأسقف بهذه الصفة مسئوليته جد خطيرة فهو يقف أمام المذبح ليرفع قرابين واعترافات شعبه كممثل لهم أمام الله، ثم ليناولهم عطية الله لشعبه – وهي الجسد والدم الأقدسين – باعتباره **ممثل**[2] المسيح الذي يحل بروحه القدوس ليوزع عطاياه علي شعبه، فيكون الكاهن حاجباً نفسه ليُظهر حضور المسيح الشخصي الحقيقي.

ولأن أداء سر الإفخارستيا ليس قاصراً علي الأسقف وحده بل ومعه الشعب أيضاً، فبينما الأسقف يرأس الخدمة الليتورجية، لذلك فكل الصلوات التي يرفعها باسم الشعب هي بصيغة المتكلم الجمع (نحن)، ويرد الشعب مُصدِّقاً ومؤمِّناً علي صلواته بكلمة "آمين". ثم بينما يكون الأسقف هو أول المتناولين من "الخبزة الواحدة" أو "القربانة الواحدة" ومن نفس الكأس الواحد جسد المسيح ودمه الأقدسين، ثم من بعده يتناول الشعب من نفس القربانة ونفس الكأس، فإن الوحدة الجمعية للكنيسة تُستعلن بوضوح هكذا: **شعب الله الواحد في المدينة**

---

(1) المسيح هو رأس الكنيسة الحاضر دائماً وسط شعبه بمجده ومجد أبيه والروح القدس. وهو منظور بالإيمان. لذلك فإن تعبيرات مثل "**رأس الكنيسة المنظور**" و "**نائب المسيح على الأرض**" التي يطلقها الكاثوليك على بابا روما غريبة عن إيمان الكنيسة الأرثوذكسية وفهمها لدور الكهنوت في الكنيسة (راجع كتاب الصخرة الأرثوذكسية تأليف حبيب جرجس، الطبعة السابعة ١٩٩٤، ص ٢٤)، لأن **حضور النائب يعني غياب المنوب عنه**، وهذا ضد إيمان الكنيسة بأن: "**عمانوئيل حاضر في وسطنا الآن**"، "**هوذا عمانوئيل كائن معنا الآن على المذبح**" (من ألحان ومردات القداس الإلهي) في كل مرة تجتمع فيها الكنيسة حول ذبيحة الإفخارستيا. كما أنه حاضر في كل مؤمن بالروح القدس الذي سكن فيه بفعل سر المسحة المقدسة: "المسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم" (١يو ٢:٢٧)؛ "**المسيح فيكم** رجاء المجد" (كو١:٢٧). ففكرة "**النيابة عن المسيح**" غير موجودة في مفهوم وتعبيرات تدبير نظام الكهنوت في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وعموماً في الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية. فالكاهن هو خادم حضور المسيح بمجده وسط شعبه.

(2) أنظر الحاشية رقم ٢ في الفصل الأول لفهم معنى لفظ "تمثيل الأسقف للمسيح": أي "**يعيد حضور المسيح**"، أي يعمل كـ "**خادم حضور المسيح وسط شعبه**."

الواحدة متحداً بالأسقف الواحد، حيث تُستعلَن الكنيسة أيقونة جسد المسيح ورأسه المسيح، متآلفاً بالمحبة والوحدة التي تحققت الآن بالتناول من شركة الجسد الواحد والكأس الواحدة. "فإننا نحن الكثيرين "خبزة" واحدة جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبزة الواحدة" (١كو١٠:١٧)

وفي إطار هذه الوحدة، تظهر سمات الخدمة الأسقفية، إنها خدمة الأب للمؤمنين، والإبيسكوبوس الناظر من أعلي المفتقد لنفوسهم. فهو الراعي، ومعلِّم كلمة الله، وشارح الأسفار المقدسة، الذي يحل أبناءه التائبين من الخطايا، والذي يصالح ويشجع النفوس، ويطرد الأرواح الشريرة، ويعمِّد، ويشفي، ويصلي عن شعبه، ويعول الأرامل واليتامى والمحتاجين ويزور المحبوسين، ويرسم للرتب الكهنوتية ليخدموا الاحتياجات الروحية لشعبه. كل هذا بالإضافة إلى أنه يحتضن ويسهل ويشجع خدمة مواهب أعضاء الجسد الواحد الذين يتعبون من أجل خدمة الكنيسة بكافة أوجه الخدمة فيها. إن خدمة الأسقف يمكن أن تُجمَل في هذه الكلمات:

"لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح" (أف٤:١٢).

مهام الأسقف

إن الأسقف يستمد مهامه من المهمة الأولي التي ذكرناها آنفاً وهي الخدمة الكهنوتية(*)، أي رفعه القرابين باسم الشعب ونواله عطايا الله لتوزيعها على الشعب، وينبثق منها مهام الرعاية. وتتركز هذه المهام فيما يلي:

١. *الأساس الكنسي لخدمة الإكليروس: الشركة:*

إن الأساس الكنسي الذي تقوم عليه خدمة أي "رئيس" أو "مدبر" في الكنيسة، هو الشركة مع رفقائه وشركائه في الخدمة الرسولية، كما يوضحه القانون الرسولي ٢٠ من القوانين الثلاثين:

(*) راجع بند *"أصل الوظيفة الكهنوتية للأسقف والقس"* في الفصل الأول من الباب الثاني "رتبة القس البريزفيتيروس".

[في الشركة:

- وأن لا يعمل الرئيس ولا المدبِّر في كنيسة الله شيئاً من الأعمال، ولا يتقلب (يتخبط) في أحكام الشعب (أي إصدار الأحكام الجزافية أو المتسرعة أو غير العادلة على أفراد الشعب)،
- إلا بمشورة أصحابه الذين هم في الكنيسة قبله (أي أعضاء الإكليروس القدامى وذوي الحكمة والمشورة الحسنة)،
- وأن يكونوا معه (عدم الإنعزال عن قدامى الإكليروس وحكمائهم)،
- وهم القائمون بالصلاة معه (أي أن الشركة معهم تكون في إطار الصلاة)،
- وما يتفق عليه رأيه ورأيهم جميعاً فيما يقع فيه رضا الله، **وصلاح الشعب** (أي أن اتفاقهم يكون محكوماً بهذين الشرطين)، **وواجب الديانة** (أي واجبات وأصول التدبير الكنسي حسب التقليد الكنسي الصحيح)،
- ولا يكون في حُكْمه **إساءة** لبعضهم (أي تحريم الإساءة للآخرين بكافة صورها، **العلنية** منها: كما في الصحف والمطبوعات والأحاديث العامة والخاصة وما شابهها، وغير **المباشرة** مثل المقاطعة والتجاهل والاستبعاد من مراكز الخدمة والتأثير)،
- ولا خلاف لهم في **تجاوز الحق** إلى غيره (أي لا يختلفوا على ما يُقِرُّه الحق الكنسي).]

ويتبع هذا النص الحكم على من يخالف هذه الشروط:

- [فمن هذه صفته، فلْيُفرَزْ (أي فليُنَحَّى).].

هذا المبدأ الواضح الصريح: الشركة مع شركائه الذين سبقوه، يَسري على كل رئيس ومدبر يُقام في الكنيسة، وهو الذي يحكم تصرفاته وأحكامه وتدبيره وقراراته. وسنرى فيما بعد أن "**الشركة**" يجب أن تكون هي نهج خدمة الأسقف ومهامه التي أُنيط به القيام بها.

وفي ظل هذا المبدأ:

+ لا وجود في الخدمة الإكليروسية في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أي اتجاه نحو التسلط، أو الانفراد بالرأي، أو تجاهل أهل الخبرة والعلم والأقدَمية في الكنيسة، أو الإساءة

لأي أحد منهم. بل بالحري "**الإتفاق**" فيما بينهم في إطار عدم تجاوز "الحـق" الكنسي في أي أمر من أمور التدبير في الكنيسة.

٢. مهمة الرعاية:

واضح أن العمل الأول للأسقف وقبل أي عمل آخر هو **الرعاية الروحية**. ومهما تنوعت وتكاثرت الخدمات، **فالرعاية الروحية** لنفوس الشعب مَن أجل خلاصهـم الأبـدي تظـل هـي العمل الأول والرئيسي للأسقف، والذي ليس هو مُطالباً أمام الله بأكثر وخلاف هـذا العمـل الحيـوي. ولا عجـب، فهـو العمـل الـذي أتـى المسيح نفسـه "**راعـي نفوسـنا وأسـقفها**" (١بط٢:٢٥) مـن أجلـه وبـذل ذاتـه علـي الصليـب "ليجمـع أبنـاء الله المتفرقـين إلي واحـد" (يو١١:٥٢). وعند صعوده إلى السموات أوصـى تلاميـذه بهـذا العمـل، والتلاميـذ بدورهـم أقاموا الخدام (أي الإكليروس) لتكميل نفس العمل.

وتوصي الدسقولية الأسقف بمهمة الرعاية انطلاقاً من حقيقة أن رئيس **الأسقفية هو الرب يسوع المسيح نفسه هكذا:**

[والواجب عليكم أيها الأساقفة أن تكونوا متعـاهدين (أي مسئولين عـن ومفتقدين ومهتمين بأمر) الشعب **لأن أسقفكم أنتم أيضاً هو المسيح. فكونـوا أيضـاً أسـاقفة صالحين لشعب الله، ليبارك (المسيح) عليكم...**

اجلس هكذا في الكنيسة لتُبشر بالكلمة، ... أحكـم يـا أسـقف بسـلطان كمثـل الله لكن الذين يتوبون اقبلهـم إليـك، لأن الله إلـه الرحمـة. انتهـر الذيـن يخطئـون، أدِّب بوداعة الذين لا يريدون أن يرجعوا. عزِّ التائبين ليثبتوا في أعمالهم الصالحة.

فإذا أخطأ أحد... فاطلبه أنت كراعٍ مترئف وحريص، راعٍ يعدُّ الخراف ويسـأل عـن الخروف الذي يعوزه، مثل الرب إلهنا وأبينا الصالح الذي أرسل ابنـه الحبيـب الراعـي الصالح مخلصنا ومعلمنا يسـوع الـذي قـال إنـه يـترك التسـعة والتسـعين علـى الجبـل ويمضي ليطلب الضال، فإذا وجده حمله علـى عاتقـه وردَّه إلى داخـل القطيـع بفـرح

معنى "أنت هو الكاهن إلى الأبد" (مز١٠٩:٤)، و "أنا هو الراعي الصالح" (يو ١٠:١١):

وليس عبثاً، ولا على سبيل المجاملة والتكريم، يُتلى أمام الأسقف نص المزمور ١٠٩:٤ **"أقسم الرب ولن يندم أنك أنت هو الكاهن إلى الأبد على طقس مليكصادق"**، أو يتلو الأسقف على مسامع المؤمنين كلمات المسيح له المجد عن نفسه **"أنا هو الراعي الصالح"** (يو ١٠:١١)، بل إن هذين القولين يُقالان في إطار الخدمة السرائرية التي يؤديها الأسقف، فهما لا يوجَّهان لشخص الأسقف أو يصفان خدمته قبل رسامته، بل بعد رسامته. لأنه بعد الرسامة لم يعد في شخصه منفصلاً عن شخص المسيح (الذي **هو وحده الكاهن الأعظم إلى الأبد والراعي الصالح الأوحد الذي يبذل نفسه عن الخراف**). فكلمات هذا المزمور هي نبوة من العهد القديم عن عمل المسيح الكهنوتي في تقديم ذاته ذبيحة لله أبيه، وكلمات إنجيل يوحنا هي وصف المسيح لنفسه كراعٍ أتى من السماء ليرد الخروف الضال الذي هو البشرية، وهذه الكلمات تذكِّر الأسقف وتذكِّر الشعب كليهما، بأن شخص **"رئيس الكهنة الأعظم"** و **"الراعي الصالح"** و **"الأسقف الكبير"** و **"الأول في رتبة الكهنوت"** **هو الرب يسوع المسيح**، الذي يطلُّ من خلال شخص الأسقف على شعب الله ورعية الله بل وعلى العالم أجمع(٤). فكل سكنات الأسقف وحركاته وذهابه وإيابه ونشاطه وأحاديثه، إنما يجب أن تكون هي التعبير عن شخص **"الأسقف الكبير الذي هو الناظر على الكل وعلى وجه كنيسته المقدسة في كل حين، الإله ربنا يسوع المسيح"** كما يذكر بالنص كتاب ترتيب نظام الكهنوت الفصل ٦ من مخطوطة القوانين الكنسية.

هدف الرعاية الكنسية:

وتشمل الرعاية أولاً وأهم من كل شيء، **تأهيل المؤمنين للتقدم لسرِّ الإفخارستيا**، سر الأسرار، والذي هو سر الوحدة مع المسيح في الكنيسة، وسر استعلان الكنيسة أيقونة جسد

---

(٣) وليم سليمان، *تعاليم الوصل*، مقتطفات من صفحات ٣٨٦ - ٤٤٠

(٤) قيل عن المتنيح البابا كيرلس السادس أنه حينما كان يقرأ هذه الآية "أنا هو الراعي الصالح" كان يسبقها بقوله: "يقول السيد المسيح". وهذه محاولة لتثبيت أفهام الشعب نحو من هو الراعي الصالح الحقيقي.

المسيح الواحد، من خلال تجمُّع والتئام المؤمنين معاً حول عمانوئيل، وتحقيقاً لصلاة الكاهن في أوشية الكنيسة:

[اجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع قديسيك الذين أرضوك منذ البدء. أذكر يا رب **سلامة كنيستك الواحدة** الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية]

فهذا هو **سر سلامة الكنيسة وأساس قيام الكنيسة** واستعلانها جسد المسيح: **سر الإفخارستيا** الذي يهب القداسة والطهارة للمؤمنين الذين يكوِّنون الكنيسة جسد المسيح، ففي هذا الالتئام معاً والاتحاد في جسد المسيح يكمن حفظ سلامة الكنيسة، أي دوام اتحادها بالله. ومن أجل هذا الغرض المقدس والغاية والقصد الإلهيين، يمارس الأسقف رعايته للمؤمنين، وفي سبيل ذلك يقوم بالتعليم والوعظ والافتقاد وممارسة سر الصلاة لله من أجل طلب الحِل من الله للمؤمنين التائبين من خلال توبتهم واعترافهم، وفي سبيل هذا أيضاً يمارس التأديبات الكنسية للتائبين المعترفين ليتقدموا وينموا في حياة القداسة والطهارة والبر ومخافة الله.

بهذه الرؤية الكنسية الروحية يتقدم الأسقف لرعاية نفوس شعب المسيح وقطيع المسيح في مدينة ما أو في موضع ما الذين أؤتمن عليهم.

٣. قواعد ومفهوم سلطان الحِل والربط في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

أولاً: الأساس الكتابي لسلطان الحِل والربط:

منذ البدء والكنيسة تعطى الأهمية القصوى لممارسة سلطان مغفرة الخطايا وللطريقة التي تمارس بها هذا السلطان، لأن هذا السلطان كان وما يزال في نظر الكنيسة مرتبطاً بجوهر الإيمان المسيحي بحيث لا يمكن إدراك وفهم هذا الإيمان بدون ذلك السلطان:

١. التزام المؤمن بالبعد عن الخطية:

فإن قيامة ربنا يسوع المسيح ينظر إليها المؤمن المسيحي على أنها إبادة وإبطال الموت، بل

وأيضاً إبادة للخطية التي فقدت سلطانها بإبطال سيادة الموت على البشر. لذلك، فقد أصبح الانفصال عن الخطية مطلباً أولياً وأساسياً من قِبَل المؤمنين به، مثله مثل مطلب الاعتراف بقيامة المسيح. وسر المعمودية كان معتبراً بوضوح لدى الآباء والكنيسة الأولى أنه شَطَر هذا العالم إلى عالمين: العالم الخارجي عالم الخطية والموت، والكيان الجديد الذى ساد على الخطية والموت. وعلى المسيحي بعد معموديته ألا يرتد ثانية إلى عالم الخطية والموت.

وهكذا صار الاختبار الإيجابي للخلاص، أي السلوك بحسب وصايا المسيح هو العلامة الأولى للمسيحي على معموديته. لكن هذا الاختبار لا يعني ولا يفيد أن الخطية قد انتهت بطريقة سحرية من العالم والمؤمنين بمجرد المعمودية، بل إن المؤمنين أصبحوا مطالبين بالحذر والاحتراس من التجارب، أي من غوايات الخطية. إذ هكذا علمنا المسيح في الصلاة الربانية أن يصلي المؤمنون لكي ينجيهم الله من التجارب (أي من غوايات الخطية)، ولكي يغفر الله لهم ما أخطأوا به إليه كما يغفرون هم لمن أخطأ إليهم.

٢. المغفرة للآخرين شرط أساسي لمغفرة الله لنا:

ومن هنا أتت تحذيرات ونداءات الرب يسوع للتابعين له بأن يمارسوا المغفرة ليس فقط لإخوتهم بل وأيضاً لأعدائهم، بحيث أنه بمغفرة المسيحي لأخيه يعلن عن إيمانه بغفران الله لخطايا العالم وبرجائه في رحمة الله يوم الدينونة. وبهذا الإيمان والرجاء تتدعم الكنيسة وتزداد اتحاداً بالرب الذى أتى ليطلب الخطاة ليخلِّصهم، ومن هنا أتت المغفرة المتبادلة بين المسيحيين بعضهم للبعض كتأكيد لمغفرة الله لهم. وعن هذا الطريق يعلن المسيحيون أن سلطان المغفرة قد أتى وأن سلطان الخطية قد ولّى.

- "لا يمكن إلا أن تأتي العثرات .... احترزوا لأنفسكم، **وإن أخطأ إليك أخوك فوبّخه، وإن تاب فاغفر له**. وإن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم ورجع إليك **سبع مرات في اليوم قائلاً أنا تائب فاغفر له**" (لو١٧: ١-٤). ونفس القول ورد في:(متى١٨: ٧،١٥،٢١-٢٢)
- "واغفر لنا ذنوبنا **كما نغفر نحن لمن أخطأ إلينا**" - الصلاة الربانية

٣. واعتراف المخطئ وتوبته:

ولقد رأت الكنيسة الأولى في مطالبة المسيح بمغفرة الخطية أنها لا تعني التساهل إزاء الخطية أو التغاضي أو التغافل عنها. بل إن استعداد غفران الخطية لابد أن يقابله لدى المخطئ الاعتراف بها والإقلاع عنها. لذلك كانت كلمة المسيح للمرأة الخاطئة: "اذهبي **ولا تخطئي أيضاً**" (يو٥:١٤،٨:١١)، مُلازمة ومُقترنة بغفران المسيح للخطية "وأنا أيضاً لا أدينك". فاستعداد الإقلاع عن الخطية وإن كان ليس ثمناً للغفران، ولكن بمجرد نية الإنسان بعدم الرجوع للخطية هو الذى يجعل غفران الخطية حقيقة واقعة، أو هو الذى يؤدى إلى النتيجة الحتمية ألا وهي غفران الله للخطية.

ومن هنا أتت خدمة الأسقف والقس (٢تي٤:٢؛ تيطس٢:١٥) للتحذير والحث والوعظ للخاطئ لكي يقلع عن خطيته ويتوب عنها، كجزء لا يتجزأ من واجب الرحمة والمغفرة له، وهذا واجب يجب أن يسود بين "الاخوة" أيضاً، بحيث أنه إذا لم يكن ندم وتوبة عن الخطية فلن يكون مغفرة لها. وليس في الكنيسة حدود لهذه المغفرة، طالما أن قرار الغفران هو قرار الله وأن سلطان المغفرة هو سلطان الله، ولكن مؤيداً ومثبتاً باختبار شركة الحياة المقدسة داخل الكنيسة.

٤. الحِل من الخطية هو الموهبة الجديدة المعطاة للبشر في المسيح:

هذا الغفران الذى تمارسه الكنيسة للخطاة التائبين هو الإمكانية الجديدة المعطاة للبشر في العهد الجديد، بخلاف ما كان سائداً في العهد القديم (فاليهود لم يتعودوا أن يروا إنساناً يغفر الخطايا). لكن "ابن الإنسان أُعطى سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا" (متى٩:٦)، وهو بدوره "أعطى الناس (الكنيسة) أيضاً سلطاناً مثل هذا" (متى ٩:٨)، "الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء" (متى ١٨:١٨).

٥. والكنيسة تمارسه وهي مجتمعة بحضرة المسيح:

وهذا يعني أن سلطان المغفرة المُعطَى للبشر أُعطي لهم ككنيسة، كجماعة مجتمعة، اتخذت قرارها روحياً أي بالروح القدس (أي بالشركة مع الله وبحضور المسيح وسط الكنيسة - متى١٦:١٧، ١٨:٢٠)، واتخذته بحسب أمر الله لهم، الذي قَبِل توبة التائب حسب وعده ونعمته المجانية، وعلى الكنيسة الآن أن تحِلّه ليستطيع أن يعود ليمارس حياة الشركة في

الكنيسة من خلال التقدم لسرِّ الإفخارستيا، والله في السماء يؤيد ويعطي الشرعية للقرار بسبب هذا الإجماع والاتفاق بين الجماعة: "إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شئ يطلبانه فإنه يكون لهما من قِبَل أبي الذي في السموات. لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (متى ١٨:١٩و٢٠) – هذه الكلمات نطق بها المسيح في سياق منحه سلطان الحِل والربط للرسل وهم على هيئة كنيسة، وليس لفرد وحده. فحكم الكنيسة بالحل والغفران هو طاعة أمر الله الحاضر بروحه وسط الجماعة المجتمعة والمتحدة بالروح القدس، أي المتحدة بمشيئة الآب.

٦. طاعة مشيئة الله هي التي تعطي الشرعية للحِل والربط:

ويُجمع آباء الكنيسة الأرثوذكسية (اللاهوتيون منهم والنُسَّاك) أن ما يعطي الشرعية لممارسة الربط والحِل هو أن يكون الحِل أو الربط طاعةً لله وبحسب مشيئته. وأن لا شرعية لأي قرار بالحِل أو الربط لا يكون موافقاً لمشيئة الله.

- يقول **القديس كيرلس الكبير** عامود الدين في تفسيره(٥) لنص كلمات المسيح للرسل بتقليدهم سلطان الحِل والربط:

- [مَنْ الذي يحق له أن يغفر تعديات الخطاة التي يرتكبونها ضد الشريعة الإلهية، إلاّ واضع الشريعة نفسه؟ لذلك فهذه الكرامة التي قلّدها المخلِّص لتلاميذه إنما يجب أن تكون متوافقة مع طبيعة الله. لذلك فقد رأى الرب أن الذين قبلوا منه الروح القدس الذي هو إله ورب، يكون لهم أيضاً السلطان أن يغفروا ويربطوا الخطايا، بمعنى أن **الروح القدس الذي يسكن فيهم هو الذي يحل ويربط الخطايا بحسب مشيئة الله، بالرغم من أن الفعل يتم من خلال الواسطة البشرية**].

القديس كيرلس الكبير

تفسير إنجيل يوحنا ٢٢:٢٠

- إذن، فالذي يحل ويربط هو **الروح القدس، وبحسب مشيئة الله**، والكاهن هو الأداة أو الواسطة البشرية.

---

(٥)***On the Gospel Acc. to John*, book XII, p.661**

وهذا يظهر جلياً في صلاة التحليل التي يصليها الكاهن في بداية القداس: [يكونون محاللين من فم الثالوث الأقدس **الآب والابن والروح القدس**]-تحليل الخدام

- **وفي مخطوطة المعلم والتلميذ** التي تحوي مبادئ فن وعلم الطب الروحاني (غالباً يرجع نساختها إلى القرن الثالث عشر)، يؤكد الكاتب أن ممارسة الحِل والربط يجب أن تكون، **ليس بحسب مشيئة البشر، بل بناءً على مغفرة الله لهم:**

- [لأن الكهنة ليسوا هم آلهة، فيتصرفوا في مغفرة خطايا الخطاة كما يريدون.

... بل حيثما استحقوا من الله الغفران حينئذ يحلونهم.

- ... لأن الخاطئ هو ميت بالخطية، ولا يستطيع أن يُحيي الميتَ غير المسيح بن الله الحي، لأنه هو الذي بصوته أيضاً أحيا الخاطئ الميت بالخطية (يقصد إقامة المسيح لعازر من الموت). **وعند ذلك يأمر الرب الكهنة أن يحلوه من خطاياه ويُطلقوه يمضي إلى الملكوت الأبدي** (مثلما أمر المسيح تلاميذه أن يحلوا لعازر من أكفانه بعد أن أقامه حياً).]

مخطوطة الاعتراف – الرأس السابع (منسوخة في القرن ١٣ تقريباً)

ومن هذه الشواهد الإنجيلية والتفسيرات الآبائية، تتضح سمة سلطان الحلّ والربط في الكنيسة، أنه:

✦ سلطان مُعطى للكنيسة لتمارسه بحسب مشيئة الله وليس بمشيئة إنسان، وليس ليمارسه فرد بمفرده (كما يظن الاخوة الكاثوليك أنه مُعطَى لبطرس الرسول[٦] ولخليفته البابا الروماني)،

✦ وهو مُعطَى للكنيسة التي لا تستمد حكمها من "لحم ودم" (أي من مشيئة وهوى بشريين) ولكن من مشيئة "الآب الذى في السموات"، كما شهد بذلك المسيح في متى

([٦]) وهذا السلطان المُعطى لبطرس الرسول في قيصرية فيلبس (متى ١٦: ١٨) لم يُعطَ له كمن يحوز السلطان بمفرده دون الرسل، لكنه أُعطي له كإعلان أن سلطان المغفرة قد أصبح منذ الآن ممنوحاً للبشر أيضاً. لذلك أُعطي هذا السلطان فيما بعد للرسل مجتمعين أي وهم على هيئة كنيسة، مرتين: مرة قبل الصليب (متى ١٨: ١٨) ومرة بعد القيامة (يو ٢٠: ٢٣). فسلطان الحل والربط معطى للكنيسة لتمارسه ككنيسة وليس كفرد مطلق.

١٧:١٦. وهذا يستدعى اجتماع الكنيسة كجماعـة متحـدة بالمسيح وبمشيئة الآب بـالروح القدس لكي تحل وتربط الخطايا. وواضح جداً الحكمة من ذلك وهي أن حكم الجماعة أكـثر أماناً وضماناً لعدالة ونزاهة الحكم، من حكم الفرد الذي هو معرَّض أن يكون حُكمه مستمداً "من لحم ودم"، مشوباً بالهوى والمشيئة والانفعالات البشرية.

وبناءً على ذلك، يتضح من كلمات المسيح له المجد المختصة بسلطان الحلّ والربط ومن تفسير واختبار آباء الكنيسة ومعلميها الروحيين واللاهوتيين ما يلي:

أ. إن **الجماعة المسيحية** لها الدور الأساسي في الحكـم بـالربط ثـم بـالحِلِّ. وكمثـال لهـذا مـا حدث في كنيسة كورنثوس([٧]) (١كو٥،٢كو٢).

ب. إنها الكنيسة مجتمعة (في اجتماع الرسـل) هـي الـتي تقلـدت هـذا السـلطان الخطـير. والكنيسة الأرثوذكسية لا تؤمن بأن تقليد هذا السلطان لبطرس أولاً يلغى أو يقلِل من تقليـده لباقي الرسل الآخرين وهم على هيئة كنيسة. لذلـك فـلا شـرعية لربَـط أو حِـل يصـدره فـرد بمفرده من ذات نفسه، منفرداً، بمعزل عن الكنيسة مجتمعة، أو بمعزل عن، أو ضـد، نيتهـا تجـاه هذا الأمر، أو بتجاهل حكمها النزيه الذي تصدره، بعد دراسـة وتحقيـق وفحـص وتمحيـص، وبحسب إجـراءات المحاكمـة المقـررة في الدسـقولية وقوانـين الرسـل وقوانـين المجـامع المقدسـة المسكونية والمكانية.

ج. إن السمة الروحية للكنيسة قائمة على **الحضور الشخصي للمسـيح والكنيسـة مجتمعـة**، كما هو واضح من وعد المسيح: "حيثما **اجتمع** اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكـون وسـطهم" (متى١٨: ٢٠).

د. المهمة ملقاة أصلاً على الكنيسة المجتمعة، وهي التي تحث أولاً الخـاطئ علـى التوبـة([٨]) قبل إصدار حكمها النهائي بالربط إذا لم يتُب. والطلبة التي يطلبها الكاهن من الله:[سهِّل لنا طريق التقوى]، لا يجب أن يقابلهـا مـن الكـاهن أي تصعيـب أو تعجيز للتوبـة أمـام الخطـاة

([٧]) ارجع إلى بند *"الطريقة التي تصرف بها القديس بولس الرسول في عقد الحرمان ثم حـل الحرمـان في كورنثـوس"*، الفصل الثالث "الدعوة الرسولية لشعب الله" من القسم الأول من هذا البحث.

([٨]) "وإن أخطأ إليك أخوك فـاذهب وعاتبـه" (متى ١٨ :١٥)، الكلمـة اليونانيـة المستعملة هنا **Elenchein** والمترجمـة "عاتبـه" لا تعني مجرد "العتاب" أو "التوبيخ" بل تعني "**إظهار الطريق الصحيح للشخص الـذي ضـلَّ الطريـق**"، وحثـه على التوبة.

بمطاليب وإجراءات ليست من شريعة الإنجيل و لم يأمر بها الآباء أو طاقة الخطاة، بل حسب أصول الطب الروحاني.

ه. **إن المغفرة، وليس العقاب**، هي الهدف والغاية الحقيقية من كل الإجراءات الواردة في (متى١٨:١٥-١٧). والغاية الأساسية في كل هذه الإجراءات هي **ربح الأخ المخطئ** ليعود للحق بحسب قول المسيح: "إن سمع منك فقد **ربحتَ أخاك**" (متى١٨:١٥). فيجب أن يكون كل الجهد موجَّهاً تجاه حث الخاطئ على التوبة إلى أن يتوب.

و. **إن كلمات المسيح عن معاتبة الخاطئ ثم سلطان الحلّ والربط قيلت في إطار الحديث عن الفرح بغفران الله للخاطئ التائب**، ويسبق هذه الكلمات حديث المسيح عن عودة الخروف الضال، ويتبعها مثل العبد غير الرحيم الذى لم يغفر لأخيه العبد. فكل إجراءات الحلّ والربط هدفها النهائي هو الرجاء في خلاص البشر ورجوعهم إلى الحق، ولا تحمل أي مضمون للانتقام من فاعلي الشر كما في قوانين العقوبات المدنية (١بط٢:١٤)، أو نفي واستبعاد ومقاطعة الخطاة من الكنيسة إلى الأبد مهما اعتذروا أو طلبوا الغفران.

وكل هذه الإجراءات تنصَبُّ على الحِل والربط للخطايا (أي السلوك ضداً لشريعة الإنجيل ووصايا المسيح)، وليس للآراء والأفكار الخلافية السياسية أو الإجتماعية أو حتى الدينية التي يجوز فيها الحوار والإقناع بالحجة والبرهان.

مجالس الحكم بين المؤمنين:
كيف كانت الكنيسة تصالح الخطاة والمتخاصمين قبل احتفال الإفخارستيا؟

إن وصية المسيح الصريحة والقاطعة: "فإن قدَّمتَ قربانك إلى المذبح وهناك تذكَّرتَ أنَّ لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدِّم قربانك" (مت ٥:٢٤) كانت نُصب أعين المسيحيين جميعاً، وكانت الكنيسة حريصة كل الحرص ألاّ تسمح للمتخاصمين بالتناول من الأسرار المقدسة، وذلك من خلال نداء يقوله الشماس ويأمر به المتخاصمين أن يمتنعوا عن التناول.

وكانت الكنيسة تبذل كل ما في وسعها لتصالح المتخاصمين وتسهل لهم طريق التوبة كل واحد لأخيه. لذلك فلم يكن هذا النداء يفاجئ المتخاصمين وقت التناول، بل كان هو السهم الأخير في جعبة الكنيسة. إذ كان في طقس الكنيسة القديم نظام التحكيم والمصالحة بين المتخاصمين من المؤمنين، حيث كان الأسقف يعقد ما تسميه الدسقولية "**مجلس حكم**" في

يوم الاثنين من كل أسبوع ويظل منعقداً حتى يوم السبت، وكان المؤمنون يحتكمون إلى هذا المجلس بحضور القسوس والشمامسة والشهود والأطراف المتنازعين. وكانت المحاكمة تتم على أعلى مستوى من العدالة والإجراءات التي تضمن الحكم العادل الصحيح (وهي موصوفة بالتفصيل الدقيق في الفصل الثامن من الدسقولية)، بل تنصح الدسقولية بالاستعانة بإجراءات القانون المدني الروماني، السائد في ذلك العصر، ضماناً لسلامة الإجراءات وعدالة أحكام الأسقف. بحيث إذا تصالح المتخاصمون أمام الأسقف وأزالوا الخصومة من بينهم، يعلن الأسقف السلام بينهم يوم الأحد ويُحسبون ضمن الإخوة، أي ضمن شركة الكنيسة. أما إذا امتنع أحدهم أو كلهم، فكان الممتنع يُعتبر خارج شركة الكنيسة ويمتنع عن التناول إلى أن يصطلح مع أخيه.

ثم يأتي يوم الأحد، وفي القداس الإلهي وفي **صلاة الصلح (ولهذا أُطلِق على هذه الصلاة "صلاة الصلح")**، وبعد قراءة الإنجيل في القداس الإلهي لتكلل عمل الأسقف وإكليروس الكنيسة في مصالحة المتخاصمين، حيث تصلي الكنيسة كلها، بمن فيهم المتخاصمون المتصالحون، من أجل **السلامة الكاملة والمحبة والقبلة الطاهرة الرسولية**، فيقبِّل الجميع بعضهم بعضاً قبلة السلام فيما بينهم، فيستحقون حينئذ المغفرة من الله، ويتأهلون لأن يتقدموا ليرفعوا إفخارستيتهم (أي قرابين شكرهم لله):

[لأن قربان الله هو صلاة كل واحد وشكره (أي اشتراكه في صلاة الإفخارستيا). فإن كان بينك وبين أخيك ملامة، أو لأخيك عليك (ملامة)، فإن صلواتك لا تُسمع قدام الله، وهو لا يقبل شكرك (أي قرابين الإفخارستيا وصلواتك في القداس)، بسبب الغضب الذي بينك وبين أخيك]

الدسقولية ٨: ٩١

إلى هذا الحد كانت الكنيسة مهتمة بأن يسود السلام والصلح بين المؤمنين. وكان الأسقف والقسوس والشمامسة يعملون كل ما في وسعهم ويمدون يد المعونة إلى الرعية ليسود السلام والمحبة والصلح فيما بينهم، بقصد أن يتأهلوا للدنو من الأسرار المقدسة.

✦ وأمام هذا العمل الخطير كم يجب أن يكون الإكليروس مؤهَّلين تماماً لهذا العمل، الذي هو أحد أعمال الرعاية الهامة والأساسية المنوط بالأسقف أداؤها. فما يسند سلطان الإكليروس في مصالحة المؤمنين هو قداسة الحياة وعمق واتساع خبرة الحياة الروحية للأسقف

التي يكون قد مارسها قبل توليه الخدمة الأسقفية، هذه الحياة التي يحتم القانون الكنسي شروطاً صارمة لتحقيقها، من جهة السن (أكثر من ٥٠ عاماً)، والخبرة الروحية (راهباً إسكيمياً)، والرزانة والحكمة (ترك أعمال الطفولية). كل هذا بالإضافة إلى علاقات السلام والمصالحة التي يجب أن تكون قائمة بين صفوف الإكليروس بعضهم بالبعض من جهة وبين الإكليروس والشعب من جهة ثانية، كقدوة ومثل أعلى للرعية في المحبة والسلام والمصالحة.

وقد قيل عن **القديس أغسطينوس** أنه كان يقضي النهار كله، ودون أن يكسر صومه بالأكل، في أداء هذه الخدمة لمصالحة المتخاصمين ليس بين المسيحيين فقط بل وبين غير المسيحيين([٩]).

وبسبب شهرة عدالة الأساقفة قديماً في الأحكام وحكمتهم العالية في فض الخصومات، أصدر الإمبراطور قسطنطين مرسوماً بتحويل بعض قضايا المنازعات المدنية إلى الأساقفة([١٠])، وذلك لعدالة وسرعة وسلامة الأحكام التي كانت تتم في "مجالس الحكم" التي يعقدها الأساقفة في كنائسهم لتأهيل المؤمنين للتقدم إلى سر الإفخارستيا.

كل ما ذكرناه سابقاً من واقع الكتاب المقدس واختبار الكنيسة حتى القرن الثالث، هو خبرة عالية المقدار، وكانت الكنيسة الرسولية الأولى حريصة على أدائها، حيث كان الاعتراف علنياً، وكانت مستويات الانتماء للكنيسة عالية جداً. وكان الإكليروس عموماً على أعلى مستوى من القداسة والعلم اللاهوتي والخبرة والحكمة الروحية اللازمة لرعاية قطيع المسيح.

لكن وبالرغم من منع الاعتراف العلني في الكنيسة، أصبح تطبيق هذا المبدأ: قيام الكنيسة بالحل والربط علانية، موكولاً إلى الرعاة، ولكن بشرط أن يكون ذلك بمشاورة الشعب، وأن يكونوا معبِّرين عن إجماع الشعب واتحاد رأي الكنيسة مع مشيئة الله في صدد الحرمان والحل، والتزام العدالة والموضوعية في حل المنازعات ومواجهة المخالفات الكنسية.

---

(9) **Vita Augustini, cap. xix, cited in *The Apostolic Ministry*, p.360**
(10) ***Codex Theodosianus, I, xxvii*>. cited in: *The Apostolic Ministry*, p.360**

قانون يحتم مشورة علماء الكهنة وأراخنة الشعب في الحل والربط:

وقد سجل كتاب *المجموع الصفوي* للشيخ الصفي بن العسال (من علماء الكنيسة القبطية في القرن الثالث عشر، وهو من أبرز مراجع القانون الكنسي للكنيسة القبطية الأرثوذكسية)، سجل هذا المبدأ الهام هكذا:(١)

[أن يشاور (الرئيسُ) في ما يحله ويربطه، العلماءَ الأبرارَ من كهنته وشعبه الأراخنة والقريبين من السلطنة على انفراد واجتماع. وبعد الإتفاق فيه، يعمل مكتوباً يذكر فيه السبب الداعي إليه ووجه الفائدة به، وحصول الموافقة من الكهنة والأراخنة عليه. وإن كان أمر كبير أو أمور كثيرة، فينبغي أن يجمع لأجله الأساقفة ووجوه الكهنة والأراخنة ومن عنده علم وورع، وتؤخذ خطوطهم (أي توقيعاتهم) في المكتوب، وتُنقل منه نسخ، وتُقرأ في جميع الكنائس، على الخاص والعام، في المدن والقرى.]

ولضمان حفظ هذا المبدأ في ممارسة الرعاة لسلطان الحِل والربط ممارسة صحيحة، حددت القوانين الكنسية طريقة الحلِّ والربط، ووضعت المحاذير التي يجب على الراعي الحذر منها وهو يمارس سلطان الحِل والربط، حتى لا يخرج عن القواعد الأساسية وأهمها وحدة مشيئة الشعب مع مشيئة الراعي عن طريق التشاور بينهم، وتطابق مشيئة الإثنين مع مشيئة الله. وذلك بالطرق الآتي شرحها:

ثانياً: من واقع تقليد كنيستنا القبطية وتعليمها وليتورجية صلواتها:

بالرجوع إلى تقليد الكنيسة القبطية المتمثِّل في ليتورجيتها وصلواتها وتعليم آبائها القديسين معلمي الكنيسة المعتَبَرين لديها، تتضح المبادئ الآتية:

- إن مغفرة الخطايا لا تصدر **من ذات شخص الكاهن**، لأن الخطية هي موجهة أصلاً نحو ذات الله -تعالى- لذلك فطلب المغفرة يُلتمس لا من شخص الكاهن، بل من شخص المسيح،

---

(١) *المجموع الصفوي*، صفحة٤٢٣.

- والكاهن **يطلب من الله هذا الغفران** (وليس يمنحه) وذلك بالصلاة التي يرفعها إلى المسيح -له المجد- يطلب فيها الحِل والمغفرة لنفسه وللشعب استناداً على الحقيقة الخلاصية أن المسيح سبق وأن "قطع كل رباطات خطايانا"، لذلك فهو -أي الكاهن- يلتمس من المسيح بصيغة المتكلم الجمع: [أنعم لنا بغفران خطايانا، باركنا، طهرنا، حاللنا (لنفسه ولخدام المذبح أولاً)، وحالل سائر شعبك آبائي واخوتي وضعفي]- الخولاجي المقدس صفحة ٨٢ - ٨٧.

- كما أن الحِل والمغفرة في بدء القداس الإلهي ليسا العمل المطلق للكاهن بمعزل عن الكنيسة جمعاء الحاضرة والسابقة عليه، بل هو يصدر من: فم الثالوث الأقدس أولاً، ثم من فم **الكنيسة الجامعة** (أي الكنيسة جسد المسيح)، ثم من فم الرسل وآباء الكنيسة القديسين السابقين، وأخيراً من فم الكهنة الحاضرين (تحليل الخدام - **الخولاجي المقدس** صفحة ١٢٧ - ١٣١).

- فالذي **يغفر هو: الثالوث الأقدس** - له كل المجد، ومن خلال الكنيسة الجامعة (أي الكنيسة على الأرض وفي السماء)، فالله الثالوث هو الذي يمنح الحِل لشعب الله الحاضر، بفم الكاهن، لتستطيع الكنيسة المجتمعة أن تتقدم وتحتفل بسر ذبيحة المسيح ليتناول منها المؤمنون وهم محاللون ومتصالحون مع الله ومع بعضهم البعض، خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لهم. هذا هو طقس نوال شعب الله عطية الغفران والحياة الأبدية في هذا المحفل المقدس الذي يجمع السمائيين والأرضيين المجتمعين معاً أمام عرش الله في السماء حول ذبيحة الحمل (رؤ ٥:٦-١٤)، ورأس الكنيسة في السماء الرب يسوع المسيح الجالس في يمين العظمة في الأعالي (عب ١:٣).

والإنسحاق أمام الله بالصلاة، هو المجال الذي يمارس فيه الكاهن سلطان الحل والربط:

نموذج فريد لصلاة يقولها الكاهن في إجراء سر المعمودية:

أسرار الكنيسة تؤدَّى دائماً في إطار الصلاة وبروح الإنسحاق الشديد أمام الله. وبالذات سلطان الحِل والربط (المُتضمَّن في سر التوبة والإعتراف). ونعرض هنا نموذجاً فريداً للصلاة التي يصليها الكاهن وهو يُجري سر المعمودية: فعند صلاة وضع اليد وبينما يقول المرتلون مخاطبين الكاهن: "*خلَصتَ حقاً*"، يصلي الكاهن هذه الصلاة قبل أن يشرع في إجراء المعمودية. (تأمل في روح الإنسحاق والمخافة من الله وهو يُقْدِم على إعطاء الحِل (فماذا

تكون الصلاة يا تُرى إذا كان مُقْدِماً على إنزال ربط أو حرم على أحد؟). يقول كتاب الصلوات الطقسية:

[يقول الكاهن سراً عن نفسه وهو منطرح على الأردن (جرن المعمودية):

أيها الرحيم الرؤوف المتحنن، فاحص القلوب والكُلى، الذي تعرف خفايا البشر وحدك، وليس شئ من أمور البشر غير ظاهر أمامك، بل عُراةً كلهم، ومذلولي الأعناق أمامك.

يا من يعرف الأشياء الأخرى التي لي،

لا تمقتني ولا تصرف وجهك عني، بل لتهرب عني في هذه الساعة جميع سيئاتي. يا من يغفر خطايا البشر ويُقبل بهم إلى التوبة، إغسل دنس نفسي وجسدي، وطهرني بالكمال، بقوتك غير المرئية وبيمينك الروحية،

لكي إذا ما قرأتُ لآخرين تحليلاً يطلبون مني أن أُعطيه لهم، الذي هو الإيمان الذي هيأتَه عظم محبتك للبشر التي لا يُنطَق بها، لا أكون أنا مُداناً كعبد الخطية. كلا أيها السيد الذي بلا خطية وحده، الصالح وحده، المحب للبشر، الذي لا يُرجعنَّ المذلول خازياً؛

بل كُنْ لي غافراً

وأرسِلْ قوتك من عُلُوِّك المقدس، وقوِّني لكي أعمل خدمة هذا السر العظيم السمائي...][12]

لِيُعطِ الرب خشوعاً ومخافة أمام الله لكل كنيسته، إكليروساً وشعباً، حتى يعيش الجميع مستورين برحمة الله وساترين خطايا بعضهم البعض.

---

[12] صلوات سر المعمودية، *صلوات الخدمات في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية*، مكتبة المحبة، صفحة ٤٩

مركز ودور التأديب الكنسي في مهمة الرعاية:

تصحيح مفهوم خاطئ: يظن البعض أن سلطان الحِلّ والربط موضوع في طقس الكنيسة لغرض فرض النظام في الكنيسة وتسهيل مهمة الإكليروس عن طريق التلويح بالحرم من التناول ضد كل من يعترض رأيهم. وهذا الظن أبعد ما يكون عن طقس الحِل والربط في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، كما رأينا في سياق الحديث عن أصل سلطان الحِلّ والربط في الكتاب المقدس، ومن وحي الصلاة (المنشورة أعلاه)، وكما سنرى من واقع قوانين وطقس الكنيسة.

لكن هذا المفهوم الخاطئ لهذا السلطان المُنعَم به للبشر للمغفرة غريب تماماً عن روح كنيستنا القبطية الأرثوذكسية في ممارسة هذا السلطان ضمن سر التوبة والإعتراف، لأنه هو المفهوم الذي مارسته به الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في أوروبا في القرون الوسطى مع شعبها، مما أدى إلى الثورة البروتستانتية في القرن السادس عشر وانسلاخ أكثر من نصف أتباع الكنيسة الرومانية([13]) وتكوينهم الشيع البروتستانتية القائمة على التطرف العكسي أي مبدأ الحرية في الإعتقاد والعبادة، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى حركة التحرر من الدين كلية ثم الإنقلاب ضد القيم المسيحية عموماً كما هو حادث في الغرب الآن. والكنيسة القبطية الأرثوذكسية ترفض هذين التطرفين كليهما([14]).

ما هي معالم مفهوم الحِل والربط الصحيح:

يقول القانون الرابع والعشرون من كتاب "التِطْلُسات" ([15]) أحد مراجع ترتيب نظام الكهنوت في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مطلعه:

[ليكن الرئيس يؤدب الشعب ويَعْقِلهم بالصليب لا بالحرم].

إن رعاية قطيع المسيح تكون **بالصليب**. والصليب الذي استلمه الأسقف يوم رسامته لا

([13]) Gerald Bray, *Creeds, Councils & Christ*, IVP, England, 1984, p. 198.

([14]) حبيب جرجس، *الصخرة الأرثوذكسية*، الطبعة السابعة ١٩٩٤، صفحة ٣٤ – ٣٦.

([15]) التِطلُسات كلمة يونانية **Titlos** منطوقة بالعربية وتعني رأس موضوع أو ملخص موضوع. وهي أحد أقسام قوانين الرسل.

يفارق يده. وهو يمده لتقديم البركة والحِل والمغفرة للتائبين، التي هي عطية الله للبشر بصليب المسيح. والشعب يتقدم ليقبِّل الصليب في يد الأسقف، اعترافاً منهم بخضوعهم للصليب والتزاماته (أي قبول التأديب الكنسي لنمو حياتهم الروحية)، وبالتالي التماساً لكل بركات الصليب وأُولاها: الحِل والغفران.

وهذا النص من القانون يستخدم كلمة "**يـعْـقِدهم**" وهي التعبير الروحي للتأديب الكنسي للمؤمنين، غير مُستعمِلٍ كلمة "**يحرمهم**"، لأنها لا تتناسب مع خصوصية علاقة الأسقف بشعبه.

لأن الحرم والقطع من شركة الكنيسة كلية لا يُستخدم إلا مع الخارجين عن عقيدة الكنيسة والإيمان بالمسيح – أي الهراطقة (وهؤلاء لا يجوز لأيٍ من كان في الكنيسة أن ينعت أحداً بتهمة الهرطقة إلا بموجب قرار مجمعي، وبعد محاكمة عادلة، يقوم بها قضاة كنسيون علماء في علوم البيعة متعمِّقون في العلم اللاهوتي بشهادة الثُقاة، وبناءً على أسانيد كتابية ومن التقليد، وبعد إصراره على رأيه).

أما **العقد بالصليب** فهو للمؤمنين أبناء الصليب والحاملين لصليب المسيح، ويتمثل في وضع تدريبات نسكية لأبناء الكنيسة، مثل تحديد فترات صوم أو مطانوات أو غيرهما وأحياناً التوقف عن التناول لفترة محددة وذلك حسب قواعد الطب الروحاني.

أما الحرمان التام من التناول فهو لا يُحكم به إلا في الحالات الخطيرة، وقد حددتها كتب القوانين في الحالات الآتية: خطايا الزنا والسرقة والقتل والتجديف والسحر (في حالة الإصرار عليها)، أي ليس عن أي خطية، وليس عن أية مخالفة في الرأي أو الفكر أو وجهة النظر أو الموقف في شئون الحياة المدنية أو السياسية.

الكاهن أب وطبيب للنفوس وليس قاضياً:

والعقد **بالصليب** يعني أن الذي يعقد هو الأب، وما يتبع العقد هو المصالحة حتماً، التي تُظهر، بحق، أبوَّة الله المُحبة الحانية المترفقة. وتُظهر الدسقولية وكافة الكتابات الآبائية الأسقف على أنه أيضاً "**طبيب**" وليس "**قاضياً**".

+ **وكأمثلة لهذا المفهوم الأساسي**: ما ورد من أوصاف للأسقف في الدسقولية ٨:٢٥ أنه "طبيب مشترك في الألم"، ٤٢:٤٣ و"طبيب كنيسة الرب"؛ والقديس أمبروسيوس ينصحه رئيسه قبل الرسامة بأن يتصرف: "لا كقاضٍ بعد بل كأسقف"(١٦)؛ والقديس كبريانوس لم يكن يرى في نفسه قاضياً، بل "طبيباً للنفوس". وفي رأيه أن الخطية ليست مجرد شيء قابل للحِلّ أو الربط تُغفر أو لا تُغفر، بل نجد في كتاباته التشبيهات الطبية مع مبدأ **الحِلّ التدريجي للخطية** حسب درجة الشفاء من الخطية، وهو في هذا يماثل العلاّمة أوريجانوس"(١٧).

وفي إطار سر التوبة والاعتراف القائم على هذه المحبة وذلك الحنان والترفق الأبويين، وعلى صورة الأسقف **"كطبيب مشترك في الألم وطبيب للنفوس"، يَعْقِد الأسقف**، أي يضع قانون تأديب علي التائب لنموه الروحي. والتائب بدوره يقبل التأديب ويقبِّل الصليب الذي وَضع عليه هذا التأديب عالماً أن هذا لمنفعته الروحية. وكل هذا يتم بين الراعي وبين أفراد شعبه وفي جو المحبة الحانية بين الأب وابنه أو بين الطبيب والمريض.

وبناءً على هذه التعاليم الرسولية، تمنع قوانين الكنيسة أيضاً:

- أن يقوم أسقف غير أسقف الإيبارشية أو أب غير أب الاعتراف للمؤمن أن يمارس القطع والحرم من التناول في غير أبناء شعبه وإيبارشيته،
- أو يقطع بالحرم لغير غرض التأديب الروحي والنمو في الحياة المسيحية وبغير الأصول والآداب المختصة بالتأديبات الكنسية(١٨)،
- أو يُلقي بالحرم على أحد في سَوْرة غضب، أو حسماً لمناقشة أو لخلاف في الرأي.

(القانون ١٤ من مجمع سرديكا (سنة ٣٤٤م)

- **أو أن يحرم أحداً غيابياً، إلاّ إذا امتنع عن الحضور إلى محاكمة قانونية بالرغم من إعلانه حسب الأصول (كما هو وارد في الدسقولية – الفصل الثامن).**

---

(١٦) كما ورد في وصية الحاكم العام إلى مرءوسه السابق أمبروسيوس، **Paulinus, Vita Ambrosii, iii,8, cited in** ***The Apostolic Ministry*, p. 358**

(17) Campenhausen, *Ecclesiastical Authority and Spiritual Power in the Church of the First Three Centuries*, London, 1969, p. 286, n.100

(١٨) راجع بحث "*التأديبات الكنسية*"، مجلة مدارس الأحد، يناير سنة ١٩٩٥، صفحات ٧-١٩ .

حدود ومحاذير في ممارسة التأديب الكنسي:

إن قوانين الكنيسة تضع في اعتبارها دائماً الضعف البشري الذي قد يعرض للرئيس الكنسي وهو يسوس رعيته، وبالتالي ما يمكن أن ينتج عن هذا الضعف من أذى لشعب الله، إذا لم يتحلى الرئيس بالاتضاع وجحد الذات. لذلك يضع القانون ٢٤ المذكور أعلاه تحذيراً وتحديداً لسلطان الحل والربط الذي في يد الأسقف بقوله:

[في حدود الحرم والأدب به:

ليكن الرئيس يؤدب الشعب ويعقدهم بالصليب لا بالحرم. ولا يربط ولا يحرم في غير حرم يوجب الحرم.

فإن هو حرم وربط بغير حق طلباً للتشفي من الناس، والتماساً لذُلهم وخضوعهم له، فليكن هو المربوط المحروم من الله ومن أحكامه. وهم بريئون من ذلك (الحرم). ولتقم عليه كهنته بالحق الواجب. فإن صعب عليهم ذلك، فليرفعوا أمره إلي مطرانهم الذي هو مطرانه أو بطريركه. ويقوموا عليه بالحق، ولا يَدَعوه يتعدى علي خراف المسيح الذين اشتراهم بدمه الزكي، ولا يغيظهم ويحوجهم إلي التجديف علي الله وديانته المقدسة].

تأمل في النقاط الآتية:

- "لا يحرم ولا يربط في غير حرم يوجب الحرم".

أي لا يكون الحرم من التناول إلا بسبب الخطايا المستوجبة الحرم من التناول كما ذكرناها سابقاً وإلى أن يعلن المؤمن للكاهن توبته فينال الحل عنها مجاناً، وبدون أي مقابل، غير الاعتراف السري بالتوبة، وفي الحال، بحسب أمر المسيح لتلاميذه: "مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا" (مت ١٠:٨؛ رو ٣:٢٤؛ ١بط ١:١٨؛ أع ٨:٢٠). أي أن الحرم من التناول:

- ليس عن أي خطية،
- ولا عن أية مخالفة في الرأي أو الفكر أو وجهة النظر أو الموقف.
- وتمنع الكنيسة الأرثوذكسية استخدام الحرم من التناول كسلاح لفرضِ رأي أو موقف سياسيٍ على المؤمنين. فالكنيسة الأرثوذكسية تؤمن بفصل الدين عن السياسة فصلاً تاماً وكاملاً.

- وهو إجراء إلى حين،
- ويُعقد ويُحل في إطار الاعتراف السري للمؤمن،
- وهو شخصي وليس جماعياً،
- وسري وليس علنياً.
- وهو حضوري وليس غيابياً.

– موانع الحرم: "فإن هو حرم أو ربط بغير حق طلباً للتشفي من الناس والتماساً لذلهم وخضوعهم له".

- لا يوجد في تدبير الرعاية الكنسية مقولة أن "فلان يجب أن يخضع" أو "يطيع طاعة عمياء" أو "إن عدم طاعة الرئيس الديني في غير وصايا الإنجيل هو خطية". فهذه وتلك مقولات غير واردة في الإنجيل ولا في تدبير الرعاية الكنسية، وبالتالي فهي منهيٌّ عنها إذا حدثت، لأنها مطالب غير كنسية. لأن طاعة المؤمنين الواجبة للرئيس الكنسي هي:

أولاً سلوك تلقائي من جانب الأبناء لأبيهم كرد فعل لمحبته الأبوية لهم،

وثانياً هي طاعة في الرب أي في حدود (وبدون مخالفة) وصايا الإنجيل وتقليد وقوانين الكنيسة.

وثالثاً لا يمكن أن تكون نتيجة ضغط أو تحت تهديد بالحرم، فهذه طاعة العبيد، ولا توصي بها تدابير الكنيسة، ولن يكون فيها منفعة لأحد: لا للشخص نفسه ولا للكنيسة. لأن الكنيسة لا تضم العبيد بل الأحرار المخلوقين على صورة الله ومثاله، كما أنها لا تليق بكرامة الأبوة، بل هي إهانة ما بعدها إهانة للذي "**لم يكن يهدد**" (١بط٢:٢٣) أي **الرب يسوع المسيح راعي النفوس وأسقفها ورئيس الأسقفية في الكنيسة.**

- فالطاعة للرئيس الكنسي في المسيحية تكون في حدود وصايا الإنجيل وكرازة الرسل وعقيدة الآباء وقوانين الكنيسة. وغير هذه، فهي تدخل تحت ما يسمي بالرأي ووجهة النظر والموقف، التي يجوز فيها الحوار والنقاش وتقبل تعدُّد الآراء، حيث يتحاور الأسقف فيها بروح سمحة وصدر رحب، وبأسلوب العرض لا الفرض والإقناع بالحجة لا بالقسر. وفي التاريخ الكنسي أمثلة ونماذج لآباء الكنيسة القديسين الذي مارسوا وأدَّوا خدمتهم بهذه الروح الإنجيلية والقواعد الآبائية.

• **ولكن ماذا تفعل الكنيسة في مواجهة "الحرم في غير ما يجب الحرم"؟**

• **الإجابة: "لتَقُمْ عليه كهنته بـالحق الواجـب ... الخ"**. إن ردع الرئيـس عـن ممارسته سلطان الحرم في غير ما وُضع له واجب حتمي على الإكليروس أن يتصدّوا له ويرفعـوا أمره إلى مجمع الأساقفة. وهذا أمر القانون الكنسي لهم بذلك:

• [إذا كان أسقف قد تعدى الناموس، وجار علـى شعبه ورعيتـه، و لم يكـن بتلـك الناحية رئيس عليهم يمنعه من فعل ذلك (أي لا يوجد مطران يـرأس مجموعـة مـن الأساقفة في الإقليـم)، فلكهنتـه وللمؤمنـين مـن شـعبه أن يلجـأوا في أمـر مخالفتـه للناموس إلى الأساقفة الذين من أبرشيته.

وللأساقفة سلطان أن يدعوه إليهم وأن يعظوه ثم ينظروا فيما رُفع إليهم بسببه.

فإن هو أتاهم مُقراً لهم بذنبه، فَلْيُوبَّخ على فعله، وَلْـيُعاقَبْ بمـا يـلزم ممـا قـد حددنـا بالعقوبة الشديدة في مثل ذلك.

وإن هو امتنع من الحضور، فَلْيُرسلوا إليه مرة أخرى أسقفين، وفي المرة التالية ثلاثـة. فإن هو استهان و لم يأتهم، فنأمر الجماعة المقدسة بقطعه وإسـقاطه مـن رتبتـه، لئـلا يظن أن هروبه من الجماعة خير له]—**القانون ٦٩ من القوانين الرسولية الـ ٨٢**

كما وضع مجمـع نيقيـه قانونـاً، والمجـامع الأخـرى رددت هـذا القـانون، ذلـك هـو نظـام استئناف قضايا الحرم أمام محكمـة عليـا لـدى مطـران الإيبارشـية أو المجمـع المقـدس لأسـاقفة الإقليم، والتي أوجبت انعقاد المجمع مرتين في العام للنظر في الخلافات والحروم الـتي تنشـأ بـين الأسقف وأحد كهنته أو مع أحد أعضاء شعب الإيبارشية:

قانون ٥ مجمع نيقية المسكوني (سنة ٣٢٥م) (١٩)

[ليجتمع أساقفة كل صقع إلى مطرانهم أو بطركهـم دفعتـين كـل سـنة: **الأولى** قبـل صوم الأربعين لتزول الشرور والغضب، وتكون القرابين في الصـوم نقيـة جليلـة لله. **والثانية** في الخريف بعد عيد الصليـب لأن كـثرة الأمـراض ووبـاء المـوت يكـون في

(١٩) راجع أيضاً أعمال مجمع سرديكا على القانون رقم ١٤(سنة ٣٤٤)، القانون ٢٠ من قوانين مجمع قرطاجنة.

الخريف والشتاء، فتكون الألفة والسلامة قبل الموت، حتى يلقَوْا المسيح أنقياء.

وذلك لينظروا في قضية من أخرجه أسقفه من الكهنة وغيرهم لئلا يكون أخرجه ضجراً عليه أو لأجل شئ هكذا، ويحكموا بحسب ما يتضح لهم.

فإذا ظهر أنه (أي المحكوم عليه من أسقفه) أساء إلى الأسقف، فليؤدَّب الأدب البليغ وليُمنع من دخول الكنيسة وخلطة المؤمنين. وإن كانت الإساءة من الأسقف، فلا يُمكَّن من ذلك، وتؤدبه الجماعة على خطئه. فإن هو اعترف بذلك، غُفر له، وإن استعمل الحقد والحنق للتشفّي، فلْيُنزَل عن رتبته.](٣٠)

وهنا تظهر مسئولية الكنيسة(إكليروساً أولاً، ثم الشعب إذا أخفق الإكليروس في وقف ما يهدد سلامة الكنيسة)، **أن تقوم بالحق الواجب** في صون سلامة الكنيسة ضد كل ما يهددها، من كل ما يخرج عن حدود الأدب الروحي والاجتماعي والكنسي في التعامل مع الشعب.

أما مظاهر تهديد سلامة الكنيسة فهي "التجديف **علي الله والكفر بدياناته المقدسة**" أي **الارتداد عن المسيحية**. ويدخل في مفهوم تهديد سلامة الكنيسة أيضاً الآن: الخروج من حظيرة الكنيسة والانضمام إلي الطوائف الأخرى، أو البعد عن الحياة المسيحية عموماً للأسباب السالف ذكرها. وفي هذا تحذر الدسقولية أيضاً من هذا الأمر الخطير(٣١) الذي يهدد سلامة كيان الكنيسة في أكثر من موضع، مُخاطبةً الأسقف، وكمثل لذلك، **الدسقولية، الفصل الرابع**:

[والذي طُرح من الكنيسة بعدم دَيْن **(أي بعدم محاكمة)**،
وبغير واجب **(أي ظُلماً)**،
يُمسَك بحزن قلب وصغر قلب.
وهكذا إما أن يذهب إلى الأمم فيضل، أو يسقط ويؤسر في الشيع المخالفة، ويصير غريباً بالجملة من الكنيسة ورجاء الله، ويكون مُبكَّتاً بالنفاق (أي يوجعه ضميره على تركه الكنيسة رغماً عن مشيئته)، **فتصير أنت سبباً لهلاكه.**]

---

(٣٠) *المجموع الصفوي*، صفحة ٤٧.
(٣١) وليم سليمان، *تعاليم الرسل*، صفحة ٤٣٩

• وماذا يحدث حينما يوقّع حرم على شخص بدون وجه حق؟

• تقطع في هذا الأمر صراحة قوانين الكنيسة المبكرة وأهمها: القانون ٢٤ من التِطلّسات، والدسقولية الفصل السابع: ٣٦، وغير ذلك من القوانين، وكمثل لذلك ما ورد في الدسقولية:

[لأنكم إذا طرحتم آخرين للحكم بظلم، اعلموا أنكم تجلبون القضية من ذاتكم عليكم. من أجلِ أن الرب قال: "إن بالحكم الذي تحكمون به يُحكم عليكم" و"كما تدينون تدانون".]

• ويجيب العلاّمة الإسكندري أوريجانس وغيره من آباء الكنيسة على السؤال المطروح شارحين ومعبِّرين عن هذا القانون الكنسي الذي أوردته النصوص المشار إليها أعلاه هكذا:

• إن الكنيسة هي شعب الله المفرز والمختار من الله، وهي شركة الخلاص التي تقتني في داخلها عطايا نعمة الله. لذلك فالطرد من الكنيسة ليس مجرد عمل مُخزٍ بل هو محنة صعبة للشخص المحكوم عليه، وتهديد لخلاصه الأبدي.([22]) ولكن كل هذا يكون ذا فاعلية، فقط إذا كان حكم الحرم قد أُجري بعدل.

• أما في حالة صدور حكم غير عادل فإن هذه الأحكام كلها تصير بلا قوة أو فاعلية، بل ينقلب الوضع ليصير الحكم سارياً على من أصدره بغير عدل أو عن دوافع ذاتية أو شخصية أو أنانية أو حتى عن خطأ أو ضعف بشري، أما بالنسبة لمن صدر عليه الحكم، فالحكم يصير باطلاً في عيني الله ولا يمكنه أن يؤذي الشخص المظلوم.([23])

• إن الارتكان على السلطان المعطى لبطرس وللرسل بأن: "كل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماء" (متى ١٦:١٩، ١٨:١٨)، أو على حادثة موت حنانيا وسفيرة أمام القديس بطرس الرسول

([22]) **Hom. Pss. XXXVI,4,2; XXXVII,1,6; Hom. Jer. Frag. 48, cited in: Campenhausen, *Ecclesiastical Authority and Spiritual Power*, London 1969, p. 259**

([23]) **Hom. Lev. 14,3; Comm. Matt. Ser. 14, ibid**

(أع ٥:١-١١)، لتبرير إصدار أحكام جائرة بالحرم أو بدون محاكمة عادلة مستوفية الشروط والإجراءات الواجبة، هو ارتكان في غير محله، إذ لابد لكي تكون المقارنة والمشابهة صحيحتين، أن يكون الأسقف نفسه مثل بطرس (والرسل) في حياته ومواهبه الروحية ومعجزاته، ويمكنه أن يُجري الحكم بنفس الدرجة من العدل. ولكن إن كان "واقعاً في أحابيل خطيته الخاصة" (كما يقول العلاّمة أوريجانوس)، ويحكم "بظلم"، حينئذ يحل ويربط "بدون فاعلية"([٢٤]). ويقول العلاّمة أوريجانس إن من الوهم المثير للعجب أن يظن أي أحد أنه يستطيع أن يستبعد بني كنيسته من الخلاص لمجرد "السبب في أنه يتمتع بلقب أسقف".([٢٥])

♦ ونفس المبادئ تنطبق على من ينال حِلاً عن خطاياه بدون استيفاء شروط توبته:

• فالعكس صحيح هنا أيضاً، ففي رأي العلاّمة أوريجانس أنه لا يمكن لأحد أن يعتبر نفسه في أمان لمجرد أنه يواظب على حضور الكنيسة، ويؤدي الاحترام الواجب لأصحاب الرتب الكهنوتية، ويقدم خدماته للكنيسة ويتصدّق على الأرامل واليتامى([٢٦]). فالخاطئ الذي يُخفق في إيفاء مطاليب التوبة "خارج الكنيسة"، لن يعود إلى شركة كنيسة أورشليم السمائية حتى ولو نال الحِلّ من خطاياه بواسطة البشر هنا على الأرض، أي بواسطة أساقفة متساهلين([٢٧]). فقرار مثل هذا الأسقف بحلٍّ مثل هذا الخاطئ لن يكون ذا فاعلية في خلاصه([٢٨]). وهكذا فإن كثيرين ممن يظهرون أنهم "في" الكنيسة ومعتَبَرين "اخوة"، هم في الحقيقة "خارج الكنيسة، وكثيرون ممن يظهرون أنهم "خارج" الكنيسة هم في الحقيقة وواقع الحال "داخل" الكنيسة([٢٩]).

([٢٤]) القمص تادرس يعقوب، *الكهنوت والشعب عند العلاّمة أوريجينوس*، صفحة ١٠٠٩.

(25) **Comm. Matt. XII,14, ibid.**

(26) **Hom. Is 10,3**

(27) **Hom. Jer. frag. 48; Hom. Lev. 12,6; 14,4**

(28) **Comm. Matt. Ser. 24**

(29) **Hom. Lev. 14,3; Hom. Jude 2,5**

قوانين التوبة هي جزء من عملية تدرج روحي لتجديد الإنسان:

- ويرى أوريجانس أن سلطان الأسقف في التأديب يظهر، ليس فقط في الحكم بالفرز من الشركة ثم الإعادة للشركة، فأوريجانس يتميز في تعليمه بأنه يرى في قوانين التوبة أنها واسطة للخلاص وأنها عملية تدرج روحي مترابط للتطهير والتجديد، الأمر الذي يتطلب قيادة روحية مختبرة. فالأسقف المنوط به قيادة النفوس يجب أن يكون هو الإنسان الروحي القادر على هذا العمل؛ أما إذا لم يوجد هذا الإنسان، فلن يكون لعملية التأديب الروحي فعاليتها وأثرها الواجب، حتى ولو استوفيت الإجراءات القانونية من حِلٍ وربط.

- لذلك، فإن كان الإنسان غيوراً على خلاصه الشخصي، فينصحه أوريجانس أن يبحث باجتهاد عن **المرشد الروحي** القادر على إرشاده، على أن يجربه أولاً لأنه سيأتمنه على نفسه([30]). وفي النهاية ستكون فضائل الإنسان وتقدمه الروحي هي التي تفتح له باب السماء، بينما خطاياه وتكاسله الروحي هي التي ستؤدي به إلى الجحيم([31])

- ويدعو أوريجانس في كل الأحوال إلى **توقير وطاعة رؤساء الكنيسة**، حتى ولو لم يكونوا على مستوى الإرشاد الروحي. وهو يدعو المسيحيين إلى التواضع والصبر حتى ولو واجهوا أحكاماً غير عادلة و"طاغية" من أيٍ من رجال الكنيسة([32])، **لأن الكبرياء والشجار والعجرفة لا مكان لها البتة في الكنيسة**. وليعلم المسيحي أنه تابع للمسيح، أسقفه الحقيقي، أما القديسون والرسل فهم قسوسه، ورؤساء الملائكة هم شمامسته([33])، الذين عيَّنهم الرب لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص (عب ١: ١٤).

ولكن مثل هذه الأحكام الجائرة أو تلك المتساهلة لا تتمتع بالصفة الدينية الكنسية لأنها لم تخضع أصلاً للاعتبارات القانونية الكنسية المحددة في القوانين الكنسية الموجبة لشرعيتها.

نعود إلى تعداد مهام الأسقف، بعد أن ذكرنا منها:

---

(30) Hom. Ps. xxxvii, 2
(31) Comm. Matt. x11, 13f.
(32) Hom. Èzeck. 10, I; Comm. Matt. Ser. 14
(33) Comm. Matt. Ser. 10; Hom. Ezech. 7, 3

١. الأساس الكنسي لخدمة الأسقف: الشركة.

٢. مهمة الرعاية.

٣. قواعد ومفهوم سلطان الحل والربط في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

ونكمل مهام الأسقف:

٤. مهمة التعليم

من **مهام الأسقف التعليم**. وهو يشغل "الكاثدرا"، أي الكرسي، أي كرسي التعليم، أي يجلس علي كرسي الأسقفية ليعلِّم شعبه. وهو يعلِّم بمقتضى مهمته الكهنوتية الليتورجية كخادم للأسرار، فهو خادم كلمة الله أيضاً. إن تعبير "يمثل الله" الذي يطلق علي مهمة الأسقف الكهنوتية، تعني أنه يحقق حضور الله وسط شعبه.

وقد رأي القديس يوحنا الرائي صورة الليتورجية السمائية في السماء (رؤ٤)، حيث يجلس علي العرش فيها "الله والحمل" محاطَيْن بالأربعة والعشرين قسيساً (بريزفيتروس). وفي كل مرة تحتفل الكنيسة علي الأرض بالليتورجية (التي هي في واقع الأمر صورة ليتورجية السماء) كان يجلس الأسقف علي "عرش الله والحمل" وراء المذبح وحوله القسوس(*) ، ووجهه نحو الشعب. وهكذا فإن شعب الله ينتظر ويتوقع دائماً حينما يؤمُّ الكنيسة أن يسمع من فم الأسقف تعليم "الله والحمل"، أي شرح إنجيل بشارة الله للخلاص بربنا يسوع المسيح.

ما أخطر كل كلمة تخرج من فم الأسقف، وكم يجب أن تكون هي حقاً كلمات "الله والحمل"!

وهنا نورد كلمات **القديس إيرينئوس**:

[إن الأسقف يحوز بمقتضى مسرة الله الصالحة موهبة الحق الذي لا خطأ فيه] (في كتابه ضد الهرطقات٤: ٢٦: ٢).

(*) ورد هذا الوصف الذي من سفر الرؤيا والذي نورده هنا في قوانين الرسل على يد إكلمنضس – ق ١٣. ويوجد في بعض الكنائس القديمة في داخل الهيكل دَرَجٌ نصف دائري مثلث الدرجات في مواجهة المذبح من الشرق كان مخصصاً لجلوس الأسقف وحوله القسوس والشمامسة.

موهبة الحق هذه تحل عليه من الله، من خلال طقس وضع الأيادي عليه أثناء الرسامة الذي ينقل إليه التعاقب الرسولي أي تعليم الرسل من خلال الكنيسة شعب الله (الذي انتخبه) والأساقفة الذين سبقوه منذ عصر الرسل. هذه الموهبة يحوزها الأسقف -لا كحيازة فردية مستقلة عن الكنيسة- بل وهو في علاقة دائمة وشركة مع الكنيسة التي انتخبته ومع وظيفته فيها والتعليم الصحيح والعقيدة الأرثوذكسية. لذلك فالأسقف يمارس هذه الموهبة بمقتضى تفويض شعب الله الذي انتخبه لكي يعلّم ويحفظ التعليم الرسولي الذي تؤمن به الكنيسة التي اختارته، وهي تُضرَم بالدراسة والتعلّم المستمرين في علوم اللاهوت والكنيسة: "أُذكِّرك أن تُضرم موهبة الله التي فيك بوضع يديَّ" (٢تي ١:٦). هذه الموهبة هي إمكانية النطق بتعليم المسيح الذي نقله لنا الرسل صحيحاً. فالأسقف المعتبر أنه عريس الكنيسة التي انتخبته، على مثال المسيح عريس الكنيسة، ملتزم أن يعلن الحق الذي استلمه من الرسل، عبوراً بالكنيسة التي انتخبته، وبوضع أيدي الأساقفة الذين سبقوه، ومن على "كاثدرا" (أي كرسي) التعليم في كنيسته، حيث أن الموهبة مرتبطة بالاجتماع الإفخارستي، وهي تمارَس في هذا الإطار.

لذلك، لابد أن يكون الأسقف عالماً متعلماً الكتب المقدسة وتعاليم البيعة الطاهرة، متعمقاً في فهمها، محيطاً بأصولها وفروعها، ليمكنه أن يكون "صالحاً للتعليم".

- وهذا المطلب يلقي على الكنيسة كلها مسئولية تدعيم التعليم اللاهوتي في معاهدنا اللاهوتية في الكنيسة ليكون بحق تعليماً أكاديمياً(٣٤) (أي منهجياً عميقاً وجاداً) ومستنداً على تعليم الرسل وعقيدة الآباء، أرثوذكسياً صافياً وافياً ومتكاملاً، يمكن أن يُخرج دارسين متعمقين في العلم اللاهوتي الأرثوذكسي، مع التصميم على أن يكون المرشح للأسقفية من الأكاديميين اللاهوتيين والحائزين على إجازات علمية لاهوتية عليا بما يليق ومسئوليته أمام رعيته، وبما يمكّنه من مواجهة تحديات العصر والظروف المعاصرة المحيطة مواجهة متكافئة مع كونه رسول الرب يسوع المسيح في عصره، وفي الوقت نفسه حاملاً رسالة وتعليم الآباء القديسين لهذا الجيل.

---

(٣٤) كلمة أكاديمي هي النطق العربي لمكان في اليونان يُدعى **Academeia** وهو الساحة المتسعة قرب مدينة أثينا حيث كان الفيلسوف اليوناني القديم أفلاطون يعلّم تلاميذه الذين أُطلق عليهم اسم "أكاديميون". وأصبح هذا اللقب يُطلق على كل دارس ومتعلم جامعي على الأسس والمناهج العلمية المعترَف بها في جامعات العالم.

هل يمكن للأسقف أن يُخطئ في التعليم؟

نعم طبعاً. لأنه بنفس الطريقة التي قد يحدث بها لأي مؤمن نال سر المعمودية المقدسة أن يخفق في أن يجعل نعمة المعمودية وموهبة الروح القدس التي نالها في المعمودية أمراً واقعاً في حياته اليومية فيخون عهد تكريسه للمسيح ويخطئ بعد معموديته، هكذا بنفس الطريقة فقد يخفق أيٌّ من نال سر الكهنوت في تعليمه بموهبة الحق الذي لا خطأ فيه، بالرغم من حقيقة نواله الموهبة الرسولية، فيخطئ في تعليمه. حينئذ يكون قد جانب مهمته العظمى كخادم حضور المسيح والله وسط شعبه كمعلِّم وراع صالح.(٣٥)

لذلك فإن القوانين الكنسية وضعت علي الأسقف تحديدات وتدبيرات ليحيا الحياة اللائقة بالأسقف، وليمارس التعليم الصحيح في حدود تعليم الكنيسة وحياتها. وعليه أن يؤيد دائماً سلطانه الأسقفي بالخدمة الباذلة بالمحبة، ويسند تعاليمه وقراراته بالشواهد والمراجع الإنجيلية والآبائية والمجمعية، ويُظهر كل ذلك بطريقة واضحة في نموذج وقدوة حياته المسيحية الصادقة، إذ حينما يقف ليعلِّم فهو تحت إلزام ألاّ يعلِّم أو يروِّج لأفكاره الشخصية أو تصوُّره الشخصي لحقائق الإيمان. لكنه بالحري مُطالَب أن يشهد للإيمان في نقاوته وأصالته الذي تناقلته كنيسته وإيبارشيته علي مدي الأجيال منذ كرازة القديس مرقس الرسول والذي شرحته وقنّنته تعاليم الآباء والمجامع المقدسة، والذي هو نفسه إيمان الإيبارشيات والكنائس الأخرى، ويثبت كل ذلك بحسن قدوته ومثله الصالح أمام شعبه.

وإن شعب الله، باعتباره جسد المسيح، كان دائماً الشاهد والحارس علي الإيمان الحق في كنيسته، وكان يرفض أية تعاليم أو مقررات تُجانب الحق الإلهي المعلن في الإنجيل والمشروح في تعليم الآباء القديسين والمقنّن في قوانين المجامع المقدسة ودساتير إيمانها. وقد وقف شعب الكنيسة وقفات حازمة وفي أماكن ومناسبات متعددة من تاريخ الكنيسة القديم والحديث في وجه سلوك وتعاليم أساقفة ومجامع أساقفة جانبوا الحق الإلهي المقدس في مسلك حياتهم أو تعليمهم وقراراتهم. وقد ساندت المجامع المقدسة دور الشعب هذا في حفظ الإيمان.

---

(٣٥) وقد حدث كثيراً في تاريخ الكنيسة أن نُحِّي أساقفة بسبب خطئهم في التعليم مثل بولس السموساطي بطريرك أنطاكية في القرن الثالث، ونسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس وغيرهم. راجع بند "تمثيل الأسقف للكنيسة في موضع ما" في الفصل السادس "المجامع الكنسية المقدسة".

لذلك فإن مسئولية الشعب عن حفظ الإيمان الأرثوذكسي وصون سلامة الكنيسة لابد أن تُغرس دائماً في أذهان الشعب، ومنذ الطفولية (٢تي ٣:١٥)، وذلك بالتعليم المستمر والدائب سواء من جانب الأسقف والقسوس أو الوالدين أو خدام الأطفال والشباب في فصول التربية الكنسية أو الوعاظ؛ وكل هذه الخدمات تدخل تحت مسئولية وإشراف الأسقف وهي من ضمن واجباته الأساسية.

ويقطع **القانون الثالث والخمسون من قوانين آبائنا الرسل الأطهار** (علي يد إكلمنضس) بهذا القانون حول مهمة التعليم المنوط بها الأسقف:

[أي أسقف أو قس أو رئيس قرية تهاون بالكهنة والشعب و لم يفتقدهم بالوصايا ويعلمهم خشية الله، فليُعزل عنهم. وإن ثبت في ذلك التواني، فليُقطع من درجته]

ويكتب **القديس باسيليوس الكبير** رئيس أساقفة الكبادوك في القرن الرابع في إطار تفسيره للمزمور ٢٨، حاثًا الرعاة علي إرواء رعية الله بتعاليم الروح.

[كمثل الأيل الذي يقود قطعان الغزلان، هكذا قادة رعية الله. فهم يقودونهم إلي الأماكن المزهرة أي تعاليم الروح المغذية العطرة، ويروونهم بالماء الحي ما فيه الأمان من الذين يلقون الفخاخ في طريقهم] – **عظة علي مزمور٢٨**

وكل هذا يعني أن الأسقف يجب أن يكون عالماً وعارفاً بإيمان كنيسته الحقيقي وأعماقه وأبعاده. وهذا ما يجعلنا نعود ونكرر المطالبة بتوفير التأهيل العلمي اللاهوتي الأرثوذكسي الجاد في المراكز التي يختار منها الأساقفة (الأديرة مثلاً)، وفي الكليات والمدارس اللاهوتية (التي قد يلتحق بها طالب الرهبنة قبل دخوله الدير). هذا التأهيل اللاهوتي القائم علي أساس الدراسات الآبائية الكنسية والأبحاث اللاهوتية الأرثوذكسية الأكاديمية التي ازدهرت جداً في الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة في العقود الأخيرة من هذا القرن. وهذا كفيل بأن يفض **"الاشتباك"** و **"الاختلاط"** في التعاليم والذي يحدث أحياناً بين ما يسميه القديس باسيليوس الكبير: **"الأفكار الشخصية"** وبين تعليم الكنيسة وعقيدة وتعليم الآباء القديسين معلمي البيعة.

وحتى بعد الرسامة فنعتقد أنه لابد للأسقف أن يكون علي دراية وعلم بأحدث الأبحاث والمؤلفات اللاهوتية الأرثوذكسية الجادة والعميقة، سواء تلك التي تصدر في مصر من مشاهير الآباء والعلماء من الأقباط (بارك الله في كل مجهود وعمل علمي لاهوتي جاد يجري في كنيستنا) أو من الكنائس الأرثوذكسية الأخرى، بل ويكون له الدراسات اللاهوتية الشخصية

المستمرة مما يثري الذهن الروحي والكنسي للأسقف، ويجعله علي اتصال بنتاج الفكر الأرثوذكسي المعاصر والتفاعل معه، مما يفتح أمامه آفاقاً ومجالات للعلم اللاهوتي الأرثوذكسي، ربما لم تتح له الفرصة لاستيعابها قبل انضمامه للرهبنة أو أثناءها. حينئذ يمكن أن نسمي ذهن مثل هذا الأسقف بالذهن الجامع **Catholic Mind** أي ذهن الكنيسة الجامعة الذي يجمع نتاج قرائح وخبرات قديسي وعلماء الكنيسة الأرثوذكسية في كنيسته وكنائس المسكونة بأسرها، سواء المعاصرين له منهم أو السابقين عليه.

٥. سلطان الرسامة:

كانت مهمة الرسل أن ينشئوا أسقفيات في كل مدينة يكرزون فيها. وهكذا رسموا أساقفة: تيموثاوس في أفسس وتيطس في كريت وهكذا. وقد أوكلت سلطة الرسامة التي كانت للرسل، إلي كل أسقف ليرسم القسوس والشمامسة ليرعوا رعية الله في حدود إيبارشياتهم.

ويذكر ذلك الوضع **القديس كلمنضس** أسقف روما في رسالته المشهورة إلي كورنثوس هكذا:

[ذهب الرسل مزوَّدين بتعليمات ربنا يسوع المسيح ومقتنعين تمام الاقتناع بقيامته. وأخذوا، بتأييد الروح القدس، يبشرون بالإنجيل وباقتراب ملكوت الله، ووعظوا في المدن والقرى، واختبروا في الروح القدس المسيحيين الأولين، وأقاموا منهم أساقفة وشمامسة للمؤمنين الآتين. ثم وضعوا هذه القاعدة التي تقضي بأن يعقبهم علي إثر انتقالهم، رجال آخرون في الخدمة.

فهؤلاء الذين أقامهم الرسل، أو أقامهم غيرهم فيما بعد من الرجال البارزين **بموافقة الكنيسة كلها** والذين خدموا بلا لوم قطيع المسيح، بتواضع وهدوء وتفوق، وشهد لهم الجميع شهادة حسنة منذ زمن بعيد ....]

الرسالة إلي كورنثوس ٤٢ :٣ و٤٤،٤ :٢ و٣

وهكذا كان أنيانوس هو أول أسقف رسمه القديس مرقس الرسول كاروز ديارنا المصرية علي مدينة الإسكندرية العظمي، وتعاقب من بعده علي كرسي القديس مرقس الرسولي في الإسكندرية البابوات البطاركة، إلي الآن.

ولكن سلطان الرسامة، رسامة القسوس والشمامسة، تحدُّه محاذير متعددة أهمها حسن الاختيار كما يجمل ذلك القديس بولس الرسول في وصيته للأسقف تيموثاوس هكذا:

- "لا تضعْ يدك على أحد بالعجلة، ولا تشترك في خطايا الآخرين. احفظ نفسك طاهراً"

(١ تي ٥:٢٢)

وتجد شروط وكفاءات القسوس والشمامسة في القسم الخاص بكل منهما في هذا البحث.

المهام الرعوية الأخرى للأسقف:

الأسقف **مؤتمن علي ممتلكات الكنيسة وأموالها**، ولكنه مُطالب بأن يباشر إدارة هذه الممتلكات والأموال من خلال رتبة "الإيكونوموس" أي "مدبِّر البيت"، والمقابل لها في عصرنا الحاضر المجالس الملية (أو كما ينبغي أن تُسمَّى بالمجالس الكنسية أو مجالس الأراخنة) ومن خلال مجالس القسوس ومجالس الشمامسة في كل إيبارشية، إذا أدت هذه المجالس مهمتها علي الوجه الأكمل.

٦. إدارة ممتلكات الكنيسة وأموالها

ودور مجلس القسوس ومجلس الشمامسة في ذلك:

ولخطورة هذه المهمة نورد القانون المختص بإدارة أموال الكنيسة وهو **القانون رقم ٢٤ من قوانين مجمع أنطاكية** المكاني المنعقد في أنطاكية سنة ٣٤١:

١.[يجب أن تُحفظ أموال الكنيسة وأمتعتها بكل اعتناء وحرص، بضمير نقي وإيمان بالله فاحص القلوب ديان البشر أجمعين.

٢.ويجب تدبير هذه حسب حكم الأسقف وسلطته، فهو المؤتمن على كل الشعب وعلى نفوس الرعية.

٣.ويجب أن يكون كل ما هو من أملاك الكنيسة ظاهراً بمعرفة القسوس والشمامسة الذين حوله (أي مجلس القسوس ومجلس الشمامسة بالإيبارشية). فلا تخفى عليهم الأشياء التي تخص الكنيسة ولا يُكتم أمر شيء مما هو لها عنهم، حتى إذا اتفق أن

غادر الأسقف هذه الحياة، فكل ما يخص الكنيسة يكون معروفاً بجلاء، فلا يُختلس ولا يُفقد][٣٦]

وكذلك القانون رقم ٢٥ من نفس المجمع، الذي بعد أن يوضح أن الأسقف هو الذي يتصرف في أموال الكنيسة بكل تقوى ووقار ومخافة الله ويوزعها على المحتاجين وفقراء الشعب، يحذر من استعمال الأموال لأغراضه الخاصة، ومن سوء إدارة أموال الكنيسة بدون موافقة القسوس والشمامسة:

[وإذا... أخذ يستعمل الأموال لأغراضه الخاصة و لم يحسن إدارة دخل الكنيسة، بموافقة القسوس والشمامسة.]

ويحذر من منح هذه السلطة لذويه وأقربائه أو اخوته في إدارة أموال الكنيسة، بحيث تقع الخسارة على الكنيسة بصورة خفية في الحسابات:

[... ومنح السلطة لذويه وأقربائه أو اخوته أو أولاده، بحيث تقع الخسارة على الكنيسة بصورة خفية في الحسابات، فيجب على مجمع الابرشية أن يقوم بفحص الإدارة والمحاسبة]

لذلك يتحتم – بناءً على هذا القانون – على مجمع الإيبارشية (أي مجمع القسوس ومجمع الشمامسة) أن يقوم بفحص الإدارة والمحاسبة، ولْيَقْضِ المجمع بما يراه حقاً وواجباً.

✦ إن هذه الترتيبات المنطقية والحتمية لابد أن تُصاغ في نصوص قانونية مُلزمة لنقضي على الكثير من المشاكل ولنستثمر الكثير من الأموال المُقدَّمة من المؤمنين لخير الكنيسة ومجموع الأعضاء المحتاجين. إذ ليس هناك رئاسة منفردة للأسقفية، كما تعلمنا من قانون "الشركة" الذي أثبتناه في أول هذا الفصل، بل هي توجد بالتناغم مع الخدمات الأخرى، أي القسوسية، حيث يتآلف الأسقف مع القسوس كمثل تناغم الأوتار في الآلة الموسيقية الأرغن[٣٧] – كما يشبهها القديس إغناطيوس الأنطاكي، ومع الشموسية، وفوق الكل

---

(٣٦) مخطوطة القوانين الكنسية – قوانين مجمع نيقية واللاذقية.

(٣٧) "أنت منحته الحكمة مثل الأرغن" – هكذا تصف صلوات الرسامة موهبة "الحكمة" الممنوحة للأسقف ليحقق لحن التناغم والتآلف بينه وبين الإكليروس والرعية، تماماً كما يشبه القديس إغناطيوس تآلف الأسقف مع قسوسه والشمامسة

(بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية) ←

مع الجماعة كلها (راجع رسائل القديس إغناطيوس إلى: مغنيسيا ٦:١، أفسس ٣:١، ترال ١:١، سميرنا ٨ وغيرها).

وظيفة الإيكونوموس (المدبر أو الوكيل):

كانت موجودة في الكنيسة القبطية منذ القديم:

تحتم القوانين الكنسية على كل أسقف (بما فيه أسقف مدينة الكرسي الرسولي العظمى) تعيين من تسميه "**إيكونوموس**" أي "مدبِّر" لإدارة أموال مقر الإيبارشية وممتلكاتها، وفي حالة إيبارشية الأسقف المتقدم يسمى هذا الإيكونوموس بـ "**الإيكونوموس الكبير**" ويقوم بإدارة إيرادات ومصروفات المقر البطريركي ومصاريف معيشة البطريرك. وهذا الوضع كان معروفاً في الكنيسة القبطية منذ القديم.

وأول ما نقرأ عنه في وثائق الكنيسة القبطية في عهد البابا **ثاوفيلس الإسكندري** (ارتقى الأسقفية سنة ٣٨٠م.) حيث أصدر أمراً بتعيين "إيكونوموس" جديد بدلاً من الـ "إيكونوموس" القديم في إيبارشية الأسقف أبوللو، وقد صار هذا الأمر البابوي الصادر في غضون القرن الرابع أحد قوانين الكنيسة الجامعة([38]). كما عيَّن اثنين من الرهبان (المسمين بالاخوة الطوال القامة) في وظيفة الإيكونوموس مشرفَيْن على مالية المقر البابوي بالإسكندرية([39]). كما ورد ذكر هذه الوظيفة عَرَضاً في رسالة **للقديس إيسيدوروس البيليوزومي** (أحد آباء الرهبنة القبطية في القرن الخامس وأب اعتراف بابا الإسكندرية القديس كيرلس الكبير) رسالة رقم ١:٢٦٩ وفي رسالة أخرى له أيضاً يحث البابا كيرلس الكبير على أن يغيِّر الإيكونوموس مارتينيانوس بآخر كفء([40]). وكذلك ورد ذكرها في رسالة **للقديس كيرلس الكبير** (البابا الإسكندري في القرن الخامس) الرسالة رقم ١٢٧:٢. كما يذكر التاريخ اسم "بروتيريوس" **إيكونوموس المقر البابوي لبابا الإسكندرية القديس المعترف**

←(بقية الحاشية من أسفل الصفحة السابقة)

والشعب بتناغم الأوتار في الأرغن. وما أعجب تناسق صلوات الرسامة في كنيستنا القبطية مع الفكر الآبائي المبكر!

([38]) القانون رقم ٩ من قوانين البابا ثاوفيلس، كتاب الشرع الكنسي، ص ٩١٣

([39]) راجع تاريخ الكنيسة لسقراط ٧:٦ في مجموعة **N&PN Fathers**

([40]) راجع الرسالة ١٢٧:٢

ذيوسقوروس (البابا الـ٢٥ اعتلى الأسقفية عام ٤٤٤)([٤١]).

ويقول الباحثون إن وظيفة الـ "**إيكونوموس**" كانت توكل عادة لأعضاء من الشعب المتخصصين في الحسابات وإدارة الأموال وغير المتقلدين رتبة كهنوتية. وليت تُعاد هذه الوظيفة بكفاءتها وبشمولية عملها لتكون معاونة لمجالس القسوس وداخلة ضمن مهام المجالس الملية (التي نقترح تغيير اسمها إلى المجالس الكنسية أو مجالس الأراخنة)، لكي تدير وتضبط إيرادات ومصاريف المطرانيات والبطريركية بطريقة "ظاهرة" أي بحسب أصول علم المحاسبة والمراجعة، وبلا أية بنود "خفية" بحسب تعبير القانون ٢٤ و٢٥ من قوانين مجمع أنطاكية المكاني والقانون ٢٥ من القوانين الإدارية لمجمع خلقيدونية.([٤٢]) كما يحظر القانون أن توكل إدارة أموال الكنيسة ومقر الأسقفية أو البطريركية إلى أي من أقارب الأسقف أو البطريرك.

٧. يشرف على الاهتمام بإخوة المسيح الصغار:

الأرامل والأيتام والمعوزين والفقراء وزيارة المحبوسين ويدير خدمة الكنيسة (وتحوي الدسقولية تعاليم الرسل الفصول من ١٦-٢٠ تعليمات عن هذه المسئولية بالتفصيل)، وهو يؤدي هذه الخدمة من خلال رتبة الشماسية، من خلال رئيس الشمامسة في إيبارشيته (وسنوفي هذا الموضوع في القسم الخاص بالشمامسة). ومن بين النصوص الملفتة للنظر في قوانين الكنيسة هذا القانون التاسع والثلاثون من مجموعة قوانين القديس باسيليوس المذكورة في مخطوطة قوانين الكنيسة والتي تظهر مدى اهتمام الكنيسة بممارسة الأسقف الإشراف على هذه الخدمة بل والاهتمام بهذه الفئة من أبناء كنيسته:

([٤١]) راجع المرجع المشهور لأعمال المجامع: **Mansi, iv., 1017**

([٤٢]) راجع تاريخ هذه الوظيفة في مجموعة: **N&PN Fathers, 2nd series, Vol. xiv., pp. 285-286**

يقول القانون التاسع والثلاثون من قوانين الرسل:

[لأجل أسقف لابس برفير وحرير وفقراء مدينته جياع وعراة. أسقف يلبس برفيراً وحريراً وفقراء مدينته جياع أو عراة ليس هو أسقفاً، و(يجمع) على مائدته أطعمة مختلفة، وينسى ضيقة الفقراء فهو يهودي جديد].

وينطبق هذا القانون على كل نوع من البذخ والمصاريف الزائدة التي تُصرف تحت أية مسميات وتتنافى مع روح التجرد والفقر الذي نذرهما الأسقف يوم رهبنته.

٨. يمارس القضاء والتحكيم والمصالحة بين أفراد الشعب

(راجع بند *"كيف تصالح الكنيسة الخطاة والمتخاصمين"*). وفي هذا السياق يحتم كتاب الدسقولية أن يمارس الأسقف قضاءاً عادلاً (الدسقولية ٣:٥٩-٧٩)، ويتبع الإجراءات القانونية المحددة بدقة (الدسقولية ٤:٤٦؛ الفصل الثامن كله، حيث يحذر من التسرع في الحرم من الكنيسة، كما ينصح بالأخذ بالإجراءات المدنية في القضاء الكنسي وفي طريقة إصدار الأحكام)

٩. ممارسة أعمال الرعاية بالشركة مع القسوس:

إن سلطان الأسقف ليس مطلقاً، بل هو يمارسه بالشركة مع مجمع القسوس ومجمع الشمامسة ومقدَّمي شعب الكنيسة (أي مجلس الأراخنة). والقائد المسئول بحق يعرف جيداً أنه يجب أن يكون على اتصال دائم بكل من شركائه في الخدمة السابقين عليه والمستجدين وتابعيه ورعيته، لأنه هو وهم شركاء في نفس الجسد. يخاطب **القديس كبريانوس** أسقف قرطاجنة بشمال أفريقيا في القرن الثالث **قسوس كنيسة قرطاجنة:**

[منذ اللحظة التي تقلدت فيها الأسقفية، آليت على نفسي ألا أتخذ موقفاً بناءً على قراري الخاص بدون مشورتكم وموافقة الكنيسة.]

الرسالة ١٦:٣

لذلك فمن أهم المؤسسات التي تعاون الأسقف في مهمة الرعاية مجلس القسوس. فالأسقف حينما يباشر خدمة الرعاية لنفوس شعب الإيبارشية وإدارة أموال ومقتنيات الإيبارشية، فإن ذلك يتم من خلال "مجلس القسوس" الذي يجمع قسوس إيبارشيته.

(للاستزادة، راجع ملاحق البحث في نهاية الكتاب، البند الثاني "مهمة الرعاية والروح

الجمعية في رأي العلماء اللاهوتيين").

آداب المكاتبات، والقرارات، ومخاطبة الرتب الكنسية والشعب:

تقول مخطوطة ابن كبر "**مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة**" أنه حينما كان آباء الكنيسة من البطاركة والأساقفة يخاطبون أحد البطاركة الأرثوذكسيين فكانوا يدعونه بالأب، وما يجري هذا المجرى من أدب الخطاب والتواضع في الكتاب والجواب؛

وكذلك مع المطارنة والجثالقة (أي البطاركة التابعين لبطريرك آخر، مثل بطريرك جاثليق الكنيسة الإثيوبية التابع لبابا الكنيسة الإسكندرية) والخارجين عن إيبارشيته.

أما الأساقفة فيكاتبهم **بالأخ** مع التبجيل اللائق بهم.

والإيغومانسيون وقسوس إيبارشياتهم، فكان يلقبهم بـ: "**شركائي القسوس**"([٤٣]).

والأراخنة وأكابر الجماعة فيكاتبهم **بالأخ** رعاية لحرمتهم وحفظاً لمرتبتهم.

وأما بقية الشمامسة وجمهور الشعب فيكاتبهم **بالأولاد المباركين**.

والعادة أن يكون ابتداء مكاتباته بالسلام الإلهي وختامها بالدعاء الصالح.

ولأن الأسقف لا يتصرف في شئون إيبارشيته بلا سند إنجيلي وآبائي، بل هو على أساس ناموس الله والتقليد الكنسي يؤسس كل تصرفاته، مستلهماً المبادئ والسوابق التي اتبعها سلفاؤه الأساقفة في القديم، لذلك تعوَّد الأساقفة الأرثوذكسيون أن يستهلوا قراراتهم وبياناتهم وتصريحاتهم بالرجوع إلى سلفائهم من آباء الكنيسة مع ذكر المراجع التي استندوا عليها في هذه القرارات والبيانات والتصريحات والتصرفات.([٤٤])

الأسقف وأصول رعاية النفوس بتنوع أحوالها:

ولأن الرعاية هي **أهم وأول عمل للأسقف**، إذ أن الأسقف مُعتَبَر أولاً أنه راعٍ

([٤٣]) يخاطب البابا الإسكندري ديونيسيوس (البطريرك ١٩) أحد قسوس كنيسته بالإسكندرية "**إلى شريكي القس مكسيموس**". (**Dion. Al. Ap. Eus. h.e. 7.11.3**). وكذلك القديس باسيليوس الرسالة ٢٠٥؛ والقديس غريغوريوس النزينزي الرسالة ٢١١و٢١٦ وغيرهم.

([٤٤]) مثلاً رسائل كبريانوس ١، ١٥، ٥٥، ٦٣، ٦٨، ٧٠، ٧١.

(الدسقولية- المقدمة)، لذلك ففي الفصلين الرابع والثامن تشرح الدسقولية ما يمكن أن نسميه مبادئ "فن" أو "علم" الرعاية. فهي تعرض لمعظم أنواع النفوس التي قد يقابلها الراعي وتصف كيف يجب أن يعاملها الأسقف كلاً بحسب نوعيتها. وفي الكلمات التالية يمكننا أن نحس بمعنى الرعاية ونرى صورتها كما كان يحس بها الرسل الذين سطروا ذلك في تعاليمهم:

[أما تنظرون يا أولادنا الأحباء، بأي مقدار أن الرب إلهنا كثير التحنن والصلاح والمحبة للبشر. والذي هو مستوجب عقاب الخطية لا يبرئه، والذي يعود يقبله إليه ويحييه، ولا يعطي موضعاً لقساوة الذين يريدون أن يدينوا بقساوة وعدم رحمة ويرذلوا الذين أخطأوا لكي لا يشتركوا معهم في كلام العزاء الذي يستطيع أن يردهم إلى التوبة.

هكذا أيضاً الأسقف، **فليحب** أعضاء الشعب لأنهم أولاده. **وليشفق** عليهم بحرص المحبة مثل دجاجة تشفق علي بيضها حتى يصير فراخاً. **وليقبلهم** إليه مثل فراخ حتى يصيروا دجاجاً. **وليُعلِّم** الكل، **وينتهر** المحتاج إلى الانتهار، لكن **لا يوجعهم** كثيراً. **ويوبخهم** ليستحوا، لكن لئلا يرجعوا إلى خلفهم **يؤدبهم** ليتجددوا، **وينتهرهم** ليدركوا ويسلكوا باستقامة.

ويحرس القوي، أي الذي هو ثابت في الإيمان، يحرسه بدراية. **ويرعى** الشعب بسلام، **ويقوِّي** المتعبين، أي يُثبِّت في التعليم من يُجَرَّب، **ويشفي** العليل الذي بقلبين في الإيمان]

الدسقولية – ٤: ١و ٣٢و٣٣

وعلى هذا النهج تمضي الدسقولية لتذكر كل أنواع النفوس وعللها وتصف الدواء اللازم. وهذا هو ما يسمَّى بالطب الروحاني. ليت يجاهد الباحثون ويجدُّوا لكي يصنِّفوا للكنيسة وللرعاة مبادئ الطب الروحاني هذا مستوحين في ذلك ما كتب في هذا المجال في الدسقولية وباقي الكنوز الأدبية التي تزخر بها مخطوطات الكنيسة.

ختاماً – هذه كلمة **للقديس أغسطينوس** أسقف هبو بشمال أفريقيا في القرن الخامس:

[خدمة الأسقف تنطوي علي عمل أكثر منه كرامة! وكلمة "**أسقف**" مشتقة من كلمة "إبيسكوبوس". فالأسقف مفروض أنه هو الذي "يشرف" "وينظر من أعلي" علي الذين هم تحت رعايته. كلمة "سكوبيا" **Scopeia** تعني "الإشراف والنظارة"، وهكذا تكون الأسقفية تعني "النظارة من أعلي"، أي أن يعتني الأسقف بمن هم تحت رعايته. إذن، لا يستطيع أحد أن يكون أسقفاً صالحاً إن كان يحب لقبه وليس واجبه]– **القديس أغسطينوس في كتابه "مدينة الله"**

رابعاً – شروط رسامة الأسقف
والكفاءات الواجب توفرها فيه

لا شك أن الوضع الرئاسي الشديد الحساسية للأسقف كما عرضناه في المقالات السابقة، سواء من دراستنا لطقس رسامة الأسقف (الفصل الثاني) أو لعرضنا لمهام الأسقف وأعماله المنوط به القيام بها (الفصل الثالث)، إنما يتطلب شخصيات مملوئين من الروح القدس، ذوي حياة روحية باطنية عالية قائمة على عمق وطول زمان في الاختبار الحي للشركة مع الله وفي الانتصار على شهوات النفس، حتى يمكن أن يكون حامل هذه الوظيفة هو الصورة الحسنة لله وللمسيح أمام جمهور المؤمنين والعالم أجمع، لذلك يذكر القديس بولس تلميذه تيموثاوس الأسقف الذي أقامه على أفسس، قائلاً: "لا يستهن أحد بحداثتك بل **كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان في الطهارة" (٢تي ٣: ١٢)**.

وتوصي الدسقولية في شأن شروط الأسقف بهذه الشروط العامة هكذا:

[هكذا سمعنا من ربنا يسوع المسيح أنه يجب على الراعي الذى يجلس أسقفاً على الكنائس في كل إيبارشية:

- أن يكون **بغير لائمة ولا علة،**
- **طاهراً من كل غضب الناس،**
- ليس بأقل من **خمسين سنة،**
- وقد **هرب من حركات الطفولية** وأباطيل الخارجين،
- وصار طاهراً من التجديفات التي يأتي بها **قوم من الاخوة الكذبة على كثيرين.**
- وليكن أيضاً، إن كان ذلك ممكناً، **ممتلئاً من كل تعليم، وكاتباً،** بل يجب أيضاً أن يكون **بصيراً بالكلام،**
- **متوسط القامة].**

الدسقولية ٣ : ١، ٢.

كما يقول **القديس كبريانوس** في شرط القدوة المبادئ الآتية:

- [الأسقف يجب أن يكون **النموذج الحي لأعضاء كنيسته]**

- [وعلى الأخص في أحاديثه وسلوكه مع النساء]
- [... وفي الفضيلة والإيمان يكون متفوقاً على الجميع]

عن الرسائل ٦١:٣؛ ٣٢:١

لذلك فإن إقامة كاهن (أسقفاً كان أو قساً) أو شماس هو أمر على أكبر جانب من الخطورة. لأن صلاحيات التقدم والرئاسة التي يحوزها الأسقف، إذا لم يكن المنتخَب المدعوُّ ذا قوام روحي راسخ في الحياة المسيحية، قد تنقلب رأساً على عقب لتصير تسلُّطاً وبالتالي تتحول إلى عثرة للرعية، فتمسي هذه الصلاحيات المعطاة له أصلاً لتكون لبنيان المؤمنين والكنيسة، سبباً لعثرة كبيرة لهذا الإنسان من جهة خلاصه الشخصي، وللشعب الذي قد يتنكب طريقه للحياة الأبدية، وقد يدفعهم إلي "التجديف على الله **والكفر بديانته المقدسة" كما حذر القانون الرابع والعشرون من قوانين الرسل بيد كلمنضس الروماني** (انظر الفصل الثالث).

أما إذا كان كفؤاً ذا حياة طاهرة وقدوة في كل عمل صالح، فانظر ماذا يحدث للخطاة وغير المؤمنين حينما ينظرون سيرته الطاهرة:

[لكن إذا رأى الذي أخطأ الأسقفَ والشماسَ طاهرين بغير لوم، ورأى الرعية طاهرة، فإنه لا يستجرئ أن يدخل كنيسة الله وينخسه ضميره. ... فإذا ما علّمه الراعي بوداعة فهو يرده إلى التوبة. فإذا نظر إلى الجميع و لم يجد عيباً في أحد لا في الأسقف ولا في الشعب، فإنه يستحي بخجل ودموع... ويبكي قدام الله ويتوب عن خطاياه ويقتني له رجاءً. **لأجل هذا، أيها الأسقف إعرف موضعك ورتبتك أنك مثال الله قدام الناس]**–**الدسقولية ٣:٤٩–٥٢**

الشرط الأول: التواضع:

إن معظم العثرات الشائعة تنبع من أن الكاهن قد يحس ويظن في نفسه أنه قد صار –بالرسامة الكهنوتية– أعلى من شعب الله الذي انتخبه، أو أصبح خارجاً عن عضوية شعب الله وجسد المسيح ومجموع المؤمنين، وصار إلي رتبة أعلى منهم، أو، كما يعبِّر عن ذلك القانون الخامس والعشرون من قوانين الرسل، **[يري في نفسه أنه أعظم الناس وأجلهُّم وأكبرهم قدراً، بينما يرى شعب الله "بعين القِلّة" (أي يستصغرهم في عينيه)].**

مثل هذا الكاهن لا يعرف أنه إنما دُعي ليخدم باقي الأعضـاء، وأن دوام رئاسته مشروط دائماً بدوام عضويته في الكنيسة واتحاده بالمؤمنين والكنيسة في مجموعها، وأن نجاح خدمته متوقف على استمرار الألفة والمحبة والتناسق داخل جسد الكنيسة بينه وبين من دُعي لخدمتهم، غير ناظر إلي نفسه ليقارن بين "برِّه الشخصي" (حسب نظرته هو إلى نفسه) وبين ضعفات الشعب وأخطائهم، بل إلي سمو الدعوة الإلهية التي دُعي إليها، والتي وشحته، ضمن ما وشحته بها، بالقدرة الخاصة والفائقة على المحبة والاحتمال والعفو والمسامحة والرحمة والتنازل إلي مشاعر الآخرين وإمكانية العيش معهم في ضيقهم ومحنهم وضعفهم، ليرفعهم بالمحبة ونعمة الله إلي مستوي قوة وحياة كمال المسيح، متمثلاً في ذلك بمثال سيده ومعلمه يوم خميس العهد الذي وَضَع:

قانون خدمة الكهنوت الأول:

[من هو أكبر؟ الذي يتكئ أم الذي يخدم؟ أليس الذي يتكئ؟

ولكني أنا بينكم كالذي يخدم..

الكبير فيكم ليكن كالأصغر. والمتقدم كالخادم.

من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً.

ومن أراد أن يكون فيكم أولاً، فليكن لكم عبداً

إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل]

(لو٢٢:٢٦-٢٧، مت٢٠:٢٦، مر٩:٣٥)

ولا تقاس جدارة الراعي وصدق إيمانه بعدد الحرومات التي أوقعها على رعيته. (قيل عن البطريرك نسطور رأس هرطقة النسطورية والذي حُرم في المجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١ **أنه كان صياداً للهراطقة)**، بل في عدد فضائل المحبة الأبوية والاحتمال وجحد الذات التي يتحلى بها، والتي سينال مقابلها المجد الحقيقي من معلمه الرب يسوع المسيح رئيس الكهنة الأعظم ورئيس الأسقفية الأوحد، ولاشك أنه سوف يرى ثمار تواضعه في تجديد حياة شعبه وسلوكهم في وصايا الإنجيل إقتداءً به.

لذلك، فإن شرط "تواضع" الرئيس يوضع دائماً في مقدمة شروط الأسقف كما نقرأ في

قوانين الرسل هكذا:

القانون الخامس والعشرون:

[في تواضع الرئيس:

لا يُترك في الرئاسة ولا يقربها:

مَنْ كان متعظماً في نفسه،

وهو يستعمل الشر والعُجْب والتكبر على الناس،

لأنه يرى في نفسه أنه أعظم الناس وأجلُّهم وأكبرهم قدراً،

بينما يرى شعب الله بعين القِـلّة (أي يستصغرهم في عينيه بالقول أو بالفعل).

بل هو المحقور عند الله والمزدَرَى به، الذي لا يكون لـه الذكـر الحسـن في حياتـه ولا رحمة عليه من الله عند مماته، المفرَز من كهنوته. وفي هذا يقول الكتـاب عـن الله – جلَّ ثناؤه، "آتي النعمة إلى ضدِّها على المتكبرين"]

القانون ٢٥ من كتاب "الطِّلَسات" (قوانين الرسل بيد كلمنضس)

وفي هذا يقول **القديس يوحنا ذهبي الفم:**

[لا تقل، إذن، إن هذا الشخص أو ذاك ليس بذي أهمية.

بل ضع في اعتبارك أنك عضو في ذات الجسد الذي يضم الجميع. وهذا العضو، مثلـه مثل العين، يجعل من الجسد جسداً. فحيثما يكون بنيان الجسد، فلا يهم ماذا يكـون حجم العضو. فما يقيم الجسد ليس كـون العضـو أكـبر مـن الآخـر، بـل حقيقـة أن الأعضاء متنوعة وكثيرة. فـإن كنـت تسـاهم في بنيـان الجسـد بسـبب أنـك أعظـم، فهكذا وبنفس المقدار يساهم الآخر في بنيان الجسد لأنه أصغر.

ففي مجال بنيان الجسد فإنَّ صِغَرَ الآخر يساوي تماماً عظمتك أنت، لأنـه يعمـل تمامـاً كما أنت تعمل]

القديس يوحنا ذهبي الفم
في شرح الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٣١:٣

الشرط الثاني: الشروط الاجرائية

إقامة الأسقف على شعب في مدينة محددة وحرية اختيار الشعب لأسقفه:

منذ القرن الأول استقر التنظيم الكنسي في كل مدينة كرز فيها الرسل، بإقامة كنيسة يرأسها "الأسقف"، أي "**رأس**" **واحد داخل الجماعة المسيحية في مدينة ما** (المسماة باليونانية POLIS)، يحيط به "القسوس" "البريزفتيروس" على هيئة مجمع يسمي "**مجمع القسوس**". فواضح أن الأسقف يقام مرتبطاً بالمجتمع المسيحي في مدينة ما.

الفرق بين الرسل كأساقفة مسكونيين، وبين خلفائهم كأساقفة مكانيين:

لابد أن نلفت النظر إلي هذه النقلة من كرازة الرسول إلي خدمة الأسقف. فالأسقف ليس في رتبة الرسل. فرتبة الرسل فريدة في نوعها **لم تتكرر** في تاريخ الكنيسة، لسبب بسيط، وهو أن الرسل كانوا – دون غيرهم – شهود العيان الأحياء لموت وقيامة ربنا يسوع المسيح. وقد أُرسلوا بإرسالية خاصة من الرب يسوع المسيح نفسه ليكرزوا إلي العالم أجمع "اذهبوا إلي العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مرقس١٦:١٦).

هذا الأمر والتكليف من رب المجد نفسه كان موجَّهاً للرسل على وجه التخصيص بسبب شهادتهم العينية لقيامة ربنا يسوع "وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلي أقصي الأرض" (أع١:٨). لذلك تتسم "أسقفية" الرسل بصبغة "المسكونية" بمقتضى أمر الرب لهم بالتوجه إلى: "العالم أجمع"، "الخليقة كلها"، "أقصى الأرض". فالقديس بطرس كرز في أنطاكية وروما وأقام أسقفاً لكل مدينة من هاتين المدينتين. والقديس بولس كرز في أورشليم وآسيا وأوروبا وأقام أساقفة في كل مدينة كرز فيها. والقديس مرقس كرز في أورشليم وروما وقبرص والإسكندرية وليبيا وأقام في الإسكندرية أنيانوس أسقفاً عليها. فهؤلاء الرسل كانوا يؤسسون كنائس في كل مدينة **POLIS** وموضع **TOPOS** وينقلون إليها شهادتهم العينية (والتي تسجلت فيما بعد في الإنجيل)، فكان كل واحد من الرسل معتبراً بصفته الرسولية الأسقف **الأول** عليها، ولكنه **أسقف "مسكوني"**، أي أن المسكونة كلها هي إيبارشيته، وقد يكون هو الأسقف الأول لمدينتين مثل بطرس الرسول (في أنطاكية وروما)؛ بينما كان يقيم على كل مدينة **أسقفاً "مكانياً"** تتحدد فيها إيبارشيته بالمدينة التي أقيم عليها. لينوس في روما وأنيانوس في الإسكندرية وتيطس في كريت وإفوديوس في أنطاكية وتيموثاوس

في أفسس وهكذا. ثم بدأت قوانين الرسل وقوانين المجامع المكانية والمسكونية تحدد لكل أسقف من هؤلاء حدود خدمته وسلطانه في إيبارشيته لا يتعداها إلي إيبارشية غيره بحسب الأوضاع المحددة الآتية: (لذلك يجب ألا تخلط بين مهام وسلطان الرسل وعدم محدودية خدمتهم وبين محدودية ومهام وسلطان الأساقفة وحدود موضع خدمتهم)

الوضع الأول: وحدة الأسقفية:

توضح القوانين الرسولية والكنسية بما لا يدع مجالاً لأي شك المبادئ الآتية وهي تهدف إلى حفظ كرامة اسم الأسقف وخصوصية خدمة الأسقفية مما يصون الوحدة المنشودة للكنيسة:

١.لا يُرسم على إيبارشية واحدة أكثر من أسقف واحد. (نيقية ٨)

٢.لا يتعدى أسقف على إيبارشية لها أسقفها. (الرسل ١٤، وأنقرة ١٨)

٣.لا يتدخل أسقف إيبارشية في تدبير إيبارشية غيره (كأن يحل مَنْ حرمه أسقفها أو يحرم من لم يحرمه أسقفها). (الرسل ١٤، وأنقرة ١٨)

٤.لا ينتقل أسقف من إيبارشية إلي إيبارشية أخرى خالية. (القانون ١٥ من قوانين مجمع نيقية المسكوني، والقانونان ١٤ و٣٦ من قوانين الرسل، ٢١ و٢٢ من قوانين مجمع أنطاكيه المسكوني)

حدود تقسيم الايبارشيات وتخصيص أساقفة عليها:

كان الآباء القديسون على حذر من التوسع في رسامة أساقفة بدون داعٍ، أو بدون أن يكون الموضع أو المكان الذي يرُسم عليه الأسقف يستدعي رسامة أسقف عليها. فقد حدد مجمع سرديقا في قانونه السادس:

[لا يجب أن يُنصَّب أسقف لقرية أو مدينة صغيرة أو موضع كبير يكتفي فيه بقس واحد لئلا يُزرَى بالأسقف].

ويعلّل هذا القانون تحديده لرسامات الأساقفة بدون داعٍ قوي بقوله: في النص اليوناني

"لئلا يُستخف باسم الأسقف"، وفي الترجمة اللاتينية "لكي لا يصير اسـم الأسـقف رخيصاً"، وفي الترجمة العربية للمخطوط "لئلا يُزرَى بالأسقف".

إلي هذا الحد كان الآباء حريصين على الحفاظ علـى سمو خدمـة الأسـقفية وكرامـة اسـم الأسقف بسبب خطورتهما في المسيحية. وذلك بعدم التوسع في رسامة الأساقفة حيث يمكـن أن يدبر الموضع (أو الخدمة العامة) قس أو إيغومانس (مدّبر)، وذلك منعاً مـن المسـاس بعلوٍّ شأن رتبة الأسقفية في الكنيسة وخصوصية اسم الأسقف.

ويحدثنا التاريخ الكنسي أن **سكرتاري** بابوات الإسكندرية وروما، **ومندوبيهـم** إلى المجـامع وإلى بعضهم البعض كانوا يُختارون من القسوس، مثل ديونيسيوس أحد قسـوس الإسـكندرية الذي عيَّنه البابا ياراكلاس نائبـاً لـه ليحكـم بـين المؤمنـين وفـوَّض إليـه أمـر إدارة البطريركيـة ليديرها وهو قـس([1])، والراهـب إيسيذوروس الـذي رسمـه البابـا أثناسـيوس الرسـولي (البابـا العشرون) قساً وعيَّنه مديراً لبيت الضيافة بالإسـكندرية([2]). وكـاتب القلايـة البطريركيـة (أي وكيل البطريركية ومشير البطريرك) أيام البابا كيرلس بن لقلق، أمر مجمع بابلون الذي عُقد في القلعة في شهر توت سنة ٩٤٧ للشـهداء أن يختـاره البطريـرك مـن أيـة طغمـة (أي فئـة) في الكنيسة: [**إما أسقفاً وإما رجلاً معتبراً** (أي كفؤاً من رتبة الإكليروس أو من رتبـة شـعب الله أي من غير حاملي الرتبة الكهنوتية)]([3]).

وأمـا القـائمون علـى الخدمـات الإجتماعيـة الـتي تديرهـا الكنيسـة، أي خدمـة الموائـد ومؤسسات الضيافة والرعاية الطبية والاجتماعية والخدمات العامة مثـل المستشـفيات وفنـادق الغرباء ومخازن الإغاثة لتوزيع الطعام على المحتاجين وعلى الأخص في أوقات المجاعات وبيـوت إيواء المضطهَدين، فكان يقوم بها شمامسة ذياكونيون ورهبـان وراهبـات متخصصـون وأفـراد من أعضاء شعب الله([4]).

([1]) السنكسار ١٣ برمهات.
([2]) الأب متى المسكين، *الرهبنة القبطية*، صفحة ١٨٢
([3]) المجموع الصفوي صفحة ٤٥٣
([4]) **Everett Ferguson, ed., *Encyclopedia of Early Christianity*, New York & London, 1990, p.856**

الوضع الثاني: أسقف مقترن بشعب

وهنا نتقل إلي مبدأ اقتران الأسقف بإيبارشية وبشعب. فقد حتم القانون رقم ٦ من مجموعة القوانين التنظيمية (أي غير المختصة بإعلان عقيدة الطبيعتين الذي رفضته كنيستنا) من مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ ذكر **اسم المدينة** في صلوات الرسامة وهو الوضع القائم حتى اليوم في كافة الكنائس الأرثوذكسية (وكما هو وارد فعلاً في نص صلاة الرسامة للأسقف في الكنيسة القبطية حالياً). ويمكن الإطلاع في **ملحق رقم ١** من هذا البحث على أمثلة من نقد العلماء اللاهوتيين من مختلف الكنائس للوضع المخالف لهذا المبدأ.

الوضع الثالث: ارتباط الأسقف برعيته:

والوضع الثالث الذي حرصت عليه قوانين الكنيسة هو ارتباط الأسقف برعيته ارتباطاً أبدياً، مما يمنع انتقال أسقف سبق أن وُضعت عليه الأيادي إلي إيبارشية أخرى، باعتبار أن هذا الأسقف قد اقترن بإيبارشيته بالرسامة والقسمة، ولا يصح له الاقتران بإيبارشية أخري حسب مبدأ "شريعة الزوجة الواحدة" في المسيحية. والقديس أثناسيوس الرسولي يشير إلى أن الإيبارشية هي بمثابة عروس الأسقف وأن هجرانها للاقتران بإيبارشية أخرى هو طلاق وزنا(٥)

وهناك تقليد في كنيسة روما أن يوضع في إصبع الأسقف يوم الرسامة خاتم يرمز إلي اقتران الأسقف بكنيسته **على مثال خاتم الزواج.**

هذه الشروط الإجرائية بأوضاعها الثلاثة، تدل **على** أن انتخاب الأسقف من كنيسته وشعبها انتخاباً حراً **نزيهاً والقبول** الحر من جانب الشعب بكل أعضائه للمنتخب ليكون أسقفهم، هو **إجراء وشرط حتمي لا يقل عن شرط إجراء طقس الرسامة نفسه** بل هو المدخل الشرعي إليها.

الشرط الثالث: الشروط الشخصية:

١ - **المؤهلات الروحية والسيكولوجية والأخلاقية عموماً**، كما وردت في مواضع عدة

---

(٥) **N&P.N. FATHERS 2nd Series, Vol. IV, P.104** وراجع الفصل السابع من هذا القسم.

مـن **الإنجيـل والرسـائل** وتجدهـا في القسـم المختص بالشـروط الشـخصية للقـس/الشـيخ (البريزفيتيروس)، (وكمثـل: ١تـي ٣:٢-٧،٤:٦،٧،١٢-١٦؛ تيطـس١:٧-٩) لأن شـروط القس هي نفسها شروط الأسقف كما فسر آباء الكنيسـة نـص رسـالة تيطـس ١:٥-٩ الـتي يبدأها هكذا: "... أن تقيم في كل مدينة **شيوخاً** (بريزفيتيروس) كما أوصيتك... لأنه يجـب أن يكون **الأسقف** بلا لوم... الخ"؛ **والدسقولية** الفصـول الأول والثـالث والرابـع والعاشـر علـى الأخص، أما **قوانين الرسل والمجامع** فهي كثيرة ومتعددة.

ويا ليت المتخصصين في كافة العلوم الإنسانية والاجتماعية يسـاهمون بأبحاثهم في عـرض المعالم والسمات الواجب توافرها في شخصية رجل الدين على وجه العموم.

نصائح للأسقف من الشهيد إغناطيوس الأنطاكي:

حينما يكتب القديس إغناطيوس إلى شريكه أسقف سميرنا القديـس بوليكـاربوس الشـهيد، فإنه يؤكد له اعتقاده الراسخ أن الأسقف يجب أن يكون:

- الرجل الذي يداوم على النمو الروحي ليكون دائماً أفضل مما هو عليه (٣:٢).
- وليس هذا مجـرد استعطاف مـن القديـس إغنـاطيوس إلى القديـس بوليكـاربوس للالـتزام بالنسك والسهر، بل إن هذا مطلب روحي: [أن لا ينقـص في شـيء بـل يتمسـك بكـل عطية من النعمة]. إن عليه أن ينفتح لغير المنظورات الفائقة على الأرضيات (٢:٢).
- وعليه أن يدبر وقتاً للصلاة الدائمة، وأن يتعمق في الرؤية الباطنية، وأن يحفظ روحه يقظة ودائمة السهر (١:٣).
- والأسقف يخضع دائمـاً تحـت الحكـم الأسـقفي لله الآب والمسيح نفسـه أسـقف الكـل ورئيس الكهنة الأعظم فوق كل الكهنة. والكهنة يجب أن يجعلوا شـخص الـرب يسـوع المسيح حاضراً أمام شعبه (١:١).
- إن الأسقف محمول على أذرع الله، وكذلك فهو يحمل ويحتمل شعبه أيضاً (١:١).
- وحينما يحرص أن لا يعمل شيئاً بـدون الله (١:٤)، ويـوفي حـق منصبـه بالتمـام، حينئـذ سوف يتحقق للناس أنـه ينـال تـأييداً إلهيـاً وأنـه لم يـأخذ وظيفتـه "بسـعاياته الخاصـة أو بسعايات الآخرين" (١:١).

• والأسقف كإنسان روحي يؤدي واجباته الروحية المتكاثرة كما تفرضها عليه وظيفته من أجل الكل وفي تعاون مع الكل، لأن المسيحي ليس له حق على حياته الخاصة إذ أن راحته هي في الله (٧:٣).

٢ - **يجب أن يخضع الأسقف قبل رسامته لامتحان واختبار**، ولا ينبغي الاستعجال في رسامته، إذ ينص القانون العاشر من مجمع سرديقا على الحذر من تقليد أحد خدمة الأسقفية سريعاً حتى يُختبر. [ويكون قد خدم في رتبة الأغنسطس أو الإيبيذياكون أو الشماس لمدد كافية للحكم على "أمانته وحسن مذهبه (أرثوذكسية سيرته وعقيدته) وصرامته ولين جانبه (تأمل في اقتران الفضيلتين معاً: الصرامة ولين الجانب. وهو يقصد اتزان الشخصية وسويَّتها، مما يوفر له الحكمة مع روح الأبوة وموهبة الإفراز)، ويتأمل الأمور(أي عمق البصيرة وجلائها) والمعرفة بها (أي العلم اللاهوتي الكنسي)، والمعرفة لها التي هي السيرة المحمودة".]

كما يوجب القانون أن لا يبادَر بسيامة الأسقف إلا بامتحان من جهة تزكية شعبه له وسيرته وصبره على الآلام (أي طول مدة الخبرة الروحية في سيرة النسك والتقوى).

٣ - **الحد الأدنى لسن الأسقف، كما حددته القوانين الرسولية: ألا يقل عمره عن ٥٠ عاماً** (الدسقولية-تعاليم **الرسل ٣: ١**). وواضح الحكمة الرسولية من تحديد هذا العمر المتقدم. فالإنسان في هذا السن يكون قد تخطي، أومن المفروض أن يكون كذلك، مرحلة الصبا والشباب بما **فيها من قلة الخبرة وهوى الشباب**، واندفاعه والتسرع في الحكم على الأمور، والانقيادِ والانبهار بمن يُعجَب بهم والتعصب ضد من لا يوافق هوى من يُعجب بهم!...الخ، وهذا ما يسميه القانون الكنسي "**قد هرب من حركات الطفولية**".

ولا يقدح في هذا الشرط أن يكون قد ظهر في التاريخ الكنسي "**شباب لهم حكمة الشيوخ**" تقلدوا رتبة الأسقفية وهم دون سن الخمسين، فهذا استثناء نادر، والاستثناء له شروط خاصة محددة وغير متروكة لوجهات النظر الشخصية. **كما لا يمكن أن يتحول الاستثناء إلى قانون أو يُتوسَّع في تطبيقه في غير ما وُضع له استناداً إلى احتمال وجوده.**

شروط الاستثناء (كما وردت في الدسقولية):

١.إذا كانت **القرية صغيرة**،

٢.**ولم يوجد** رجل طاعن في سنيه،

يُشهد له بأنه حكيم ليجلس في الأسقفية،

٣.ولكن **يوجد** هناك واحد صغير في سنيه، ويُشهد له من جهة **الذين يسكنون معه أنه يستحق الأسقفية.**

٤.أو أظهر منذ الطفولية أعمال الشيوخ بوداعة وترتيب.

٥.هذا أيضاً **فليُجرَّب.**

٦.**فإذا تبين أنه كامل في** هذه التي **شُهد بها لأجله**، فليُرسم بسلامة.

الدسقولية ٣

كل هذه الشروط معاً يجب أن تتوفر، حتى يمكن تجاوز شرط السن عن اضطرار. ولكن أديرتنا عامرة والحمد لله بالشيوخ من الرهبان، وقد مضى خمسون عاماً على النهضة الرهبانية المباركة في العصر الحديث، منذ التحق الرعيل الأول من شباب مدارس الأحد بالرهبنة، وأكثر من ٣٠ عاماً على تعمير الأديرة وتوفير المناخ الروحي للحياة الرهبانية الأصيلة التي يمكن أن توفر للكنيسة شيوخاً قديسين متمرسين في الحياة النسكية كما رسمها الآباء القديسون الأوائل، فلماذا نلجأ إلى الإستثناء؟؟

٤ – الحديثو الإيمان والحديثو الخبرة الروحية ممنوعون من تقلد هذه الدرجة.

[لا يصير أسقفاً من تعمد جديداً أو بحياة سوء... الذي أتى بحياة سوء ما هو واجب أن يُصيَّر أسقفاً في الحال. ما هو واجب لمن لم يُجرّب أن يصير معلِّماً لقوم آخرين بل يكون هذا **بموهبة من الله**.]– **القانون ٥٣ من مجموعة قوانين الكنيسة على يد اقليمنضس**

لهذا درجت الكنيسة على أن تقلد الأسقفية للرهبان الإسكيميين، أي الذين مضى على رهبنتهم ما لا يقل عن ٢٠– ٢٥ سنة، وقد بلغت أعمارهم ما لا يقل عن ٥٠ عاماً، وقد ارتقوا في درجات الرهبنة والحياة النسكية، مع علو كعبه في العلوم اللاهوتية. ولهذا وُجد الطقس الخاص بإلباس الإسكيم الرهباني للمرشحين للأسقفية قبل رسامتهم أساقفة على اعتبار أنهم رهبان إسكيميون حسب الواقع، وإن كانوا لم يُجرَ عليهم طقس إلباس الإسكيم. فلما تهاونت الأجيال في شروط اختيار الأساقفة اختارت من ليسوا إسكيميين وألبستهم الإسكيم عن غير وجه حق وبطريقة شكلية بحتة، وبمرور الوقت أصبح طقس إلباس الإسكيم بلا معنى، فألغته سلطات الكنيسة أخيراً. وهكذا ضاعت شروط الأسقفية والإسكيم معاً.

وهنا نعرض لخبرة الكنيسة في تقليد رتبة الأسقفية للمتبتلين وعلي الأخص الرهبان.

قضية تبتل الأساقفة:

تبتل الأساقفة ليس ابتداعاً في الكنيسة القبطية كما حاول البعض أن يصور ذلك، بل هو خبرة الكنائس المسيحية شرقاً وغرباً على السواء.

ولا ينكر أحد أن الأساقفة في العصر الرسولي الأول كانوا يختارون أحياناً (وليس دائماً) من بين المتزوجين. ولكن ليس على أساس أن "الزواج" شرط، بل لأن هذه الحالة كانت السائدة. ومن واقع هذه الحالة السائدة، فرّق القانون الكنسي في عصر الرسل بين زيجة ثانية (بعد الترمُّل)، وبين من كان "بعل امرأة واحدة" (١تى٣:٢). وجعل شرط وحدة الزيجة هو الشرط الأساسي في حالة عدم التبتل (وهي الحالة المفضّلة والمميزة كما سنبين بعد قليل) للمرشحين للأسقفية، وهذا يعني أن حالة الزواج في حد ذاتها لم تكن شرطاً، بل الأمانة والعفاف والقدوة، التي تمثلها الزيجة المفردة، هي الشرط. لأن معظم المنضمين للمسيحية حديثاً كانوا كباراً، وبعضهم كانوا متزوجين من أكثر من امرأة واحدة حسب شريعة دياناتهم السابقة (وقد سمح القديس بولس لهؤلاء أن يحتفظوا بزوجاتهم غير المؤمنات بالمسيح – ١كو٧:١٢)، أو كانوا متزوجين زيجة ثانية بعد موت زوجتهم الأولي.

لكن كانت البتولية هي الوضع الأفضل للأساقفة ومنذ العصر الرسولي. إذ فضّلت قوانين الرسل هذه الحالة منذ البداية كما يتضح من نص **القانون الثاني عشر من مجموعة قوانين الرسل الكتاب الأول:**

[وحَسَنٌ أن لا يكون له زوجة، فإن كان لا، فيوجد أنه صار بعلاً لإمرأة واحدة لئلا يتألم بضعف الأرملية](٦)

وهذا النص يمنع أي ادعاء بأن الزواج شرط حتمي للأسقفية، بل "واحدية الزوجة" -بحد تعبير المخطوطات العربية- هو الشرط إذا كان المرشَّح متزوجاً، والسبب هو: حتى لا يتألم من كونه أرملاً غير متزوج، حيث أن القانون الكنسي يمنع من الرسامة من تزوج ثانية بعد موت زوجته.

---

(٦) مخطوطة التومو كانون، قوانين الرسل ال٧١، الدسقولية الباب السادس والثلاثون.

ولكن ساد الإحساس الشعبي العام في الكنائس على ممر عصور الكنيسة الأولى بتفضيل المتبتلين لتولي الأسقفية.

وقد كان هذا هو الحال في مصر. ففي سيرة البابا **ديمتريوس الكرَّام** (أسقف الإسكندرية الثاني عشر- سنة ١٩١م.) نقرأ قصة المعجزة التي حدثت في الكنيسة أمام كل الشعب لتثبت بتولية هذا الأسقف هو وزوجته رغم زواجهما(٧)، وذلك لأن شعب الإسكندرية كان قد تذمر من زواج أسقفهم. ومنها نستدل أن الإحساس الروحي العام في الكنيسة القبطية منذ العصور المبكرة كان يميل نحو تبتل الأساقفة (ولكن ليس القسوس) وذلك إمعاناً في توقير هذه الرتبة الجليلة وفي **تكريم ارتباط الأسقف بشعب كنيسته اقتراناً أبوياً سرائرياً** (على شبه الإرتباط الزيجي). وفي هذا يقول القديس أفرآم السرياني مخاطباً الأسقف:

[أنت بلا زوجة، **ليس على غرار أبرآم الذي كان له** سارة زوجة. فتأمل! ها رعيتك هي قرينتك! فانجب أبناءً في الإيمان].

وقد دُعيت الإيبارشية التي تنيح أسقفها أنها **"مترملة"**(٨). ومن المقالة رقم ٤٠ للقديس غريغوريوس النزينزي يتضح أن كثيرين من الأساقفة في النصف الثاني من القرن الرابع كانوا يعيشون البتولية. وللقديس أثناسيوس الرسولي رسالة إلي **أحد الرهبان**(٩) (هو دراكونتيوس) اختير أسقفاً **ثم ترك** الأسقفية وعاد إلي قلايته، ويذكر القديس أثناسيوس في هذه الرسالة أسماء ٨ أساقفة و"آخرين كثيرين" من بين أساقفة كنيسة الإسكندرية (البالغ عددهم آنذاك ٩٠ أسقفاً) كانوا أصلاً من الرهبان الذين عاشوا في البراري قبل رسامتهم. على أن أول بطريرك اختير من بين الرهبان وُرسم على كنيسة الإسكندرية كان هو البابا كيرلس الكبير عمود الدين، وكان راهباً في دير القديس مقاريوس ببرية الأسقيط، كما تذكر لنا سيرة حياته. ومن بعده كثر اختيار الأساقفة من الرهبان.

من أجل كل هذا نقول إن الجدل واللغط حول **زواج الأساقفة** ليس له أي مبرر، لأن كفاءة الأسقف لن يوفرها أن يكون المرشح متزوجاً أو غير متزوج، فهذه سذاجة في التفكير

---

(٧) راجع كتاب *تاريخ الكنيسة القبطية*، منسى يوحنا، ص ٣٧
(٨) راجع نص تزكية البابا البطريرك في ملاحق البحث.
(٩) **N & P. N. FATHERS 2nd Series, Vol. IV, p. 560** .

ما بعدها سذاجة، بل هي الشروط الشخصية الروحية والمؤهلات العلمية الكنسية وغيرها من الشروط التي تحدد كفاءة الأسقف أياً كانت حالته. أما في مجال التفضيل بين حالة الزواج للأسقف وبين حالة التبتل (مع توفر الشروط الواجبة واللائقة بالأسقف)، فلا يمكن لأحد أن ينكر أن التبتل هو الحالة السامية بل الأسمى التي تليق بهذه الخدمة الجليلة التي هي على منوال خدمة المسيح نفسه المثال الأعلى والنموذج الأقدس للبتول والراهب والكاهن والخادم الرسولي بآن واحد. وقد أبرزت التقاليد الكنسية المبكرة هذا التفضيل كما أوضحنا سالفاً.

من أية فئة يُختار الأسقف؟

لا يوجد قانون يقصر الفئة التي يُختار منها الأسقف على الرهبان، بل جرى التقليد على أن يكون الاختيار من بين المتبتلين (راهباً كان أو من باقي رتب **الإكليروس كالشموسية أو القسوسية** أو حتى من أعضاء شعب الكنيسة(١٠) غير المرسوم لأي من درجات الكهنوت).

+ لذلك ليت الكنيسة تشجع وتوفر في المحيط الكنسي **بيوت خدمة الشمامسة المكرسين المتبتلين** (غير المنخرطين في سلك الرهبنة) التي تضم وترعى وتؤهل للخدمة الباذلة هذا الرعيل من الخدام المتبتلين، مع الإهتمام بتوفير التعليم اللاهوتي الأكاديمي المؤسس على تعليم الآباء لهؤلاء الخُدَّام.

+ كما نقترح اختيار **إيغومانسيين متبتلين يحملون الصفة النيابية عن البابا البطريرك أو الأسقف**(١١) لتولي شئون الأعمال والخدمات العامة في الكنيسة، مما سيوفر فئة ذات خبرة في الخدمة العامة في الكنيسة يمكن اختيار منهم أساقفة أو البابا باعتباره أسقف مدينة الإسكندرية.

+ ولاشك أن تعدد المؤسسات والفئات التي يُختار منها الأساقفة سيوفر مجالاً متسعاً لاختيار اللائقين للخدمة الأسقفية في الكنيسة عموماً بدلاً من قصر ذلك على المؤسسة

---

(١٠) سجل التاريخ الكنسي أسماء ٨٤ بطريركاً، فضلاً عن عدد لا يُحصى من أساقفة ومطارنة كانوا جميعاً من أعضاء شعب الله، كانوا منخرطين في كافة المهن العالمية. وقد كانوا في أيام ازدهار الرهبنة. وقد كان الفيصل في انتخابهم ليس الفئة بل الكفاءة. راجع البحث القيم: *"هل تمنع القوانين من لم يكن راهباً لأن يصير أسقفاً"*، للأستاذ وهيب عطا الله (نيافة الأنبا إغريغوريوس الآن)، مجلة مدارس الأحد ٢:٩:١٩ (فبراير ١٩٤٩).

(١١) راجع تفصيل هذا الاقتراح في ملاحق البحث، الفصل الخاص بالأسقف بلا إيبارشية.

الرهبانية وحدها مما يلقي عبئاً والتزامات على هـذه المؤسسة العريقة في الحياة الروحانية النموذجية وحدها، والتي نرجو ونتمنى بإلحاح ونصلي إلى الله **أن تظل بمنأى عن الكراسي والكرامات والألقاب حتى** تحتفظ بأصالتها العلمية وعمقها الروحي في حفظ تراث الكنيسة وتعليم الآباء ما يجعلها بالحري أكبر عضد وسند ومرجع أمين للمؤسسة الكهنوتية التي تخدم في العالم.

ولكن ليس عيباً اختيار الأساقفة من فئة الرهبان، إذا كانوا أكفاء حسب القانون الكنسي:

فإذا رجعنا إلى التقليد الكنسي الآن الذي انحدر إلينا من خلال الصلوات الطقسية لرسامة البابا البطريرك والأساقفة نجد أنه قد استقر على دعوة المرشح للبطريركية أو للأسقفية من الصحراء على أنه راهب متوحد هارب **من كرامة الأسقفية.**

وليس عيباً أو انتقاصاً من كفاءة الأسقف أن يكون من ممارسي حياة التأمل، **لأن** موهبة التأمل ليست استغراقاً في غيبيات أو أحلام كما ظنها أحد الكتّاب فقطع بعدم كفاءة الراهب للأسقفية، بل التأمل -كما يعرفه الذين اختبروه- يسبغ على الإنسان عمق الفكر ودقة الحس وقدرة استشفاف الحقيقة من وراء الحسيات والمظاهر، وهذا من أهم ما يحتاجه الأسقف في تعامله مع الناس والمشاكل اليومية في إيبارشيته.

كما أن الرهبنة القبطية ليست حياة تأمل فقط، بل هي حياة مجمعية أي حياة رهبان يعيشون معاً في شركة المجمع مما يدرب الراهب في مواهب واختبارات المحبة والأثرة والبذل والتواضع والطاعة. والطاعة في الرب للآباء والمرشدين الروحيين هي وصية إنجيلية (عب ١٧:٣) وخبرة آبائية ثمينة وناجحة، وقد قيل في الطاعة إن من عرف أن يطيع سوف يتاح له أن يُطاع، وبالتالي فمن فقد طريق الطاعة لأبيه ومرشده الروحي فصعب جداً له أن يُطاع إذا صار رئيساً! ولكن بجانب كل هذا فلا بد أيضاً من **توافر الشروط العامة والخاصة للأسقف وبالأكثر "موهبة الله" المشار إليها في القانون الرسولي رقم ٥٣.**

أما الذين يلحون أن يكون من بين مؤهلات الأسقف أن يكون خبيراً بشئون العالم (ولذلك ينادون بأن لا يكون الأسقف متبتلاً أو من الرهبان بل متزوجاً!)، فلابد أن نقول لكل من يتصدى لبحث هذا الموضوع أن يدرك أولاً أن الأسقف يُقام في كنيسة الله وليس على مجتمع دنيوي، وكنيسة الله تحتاج في خدمتها وفي رعاية شعب الله الذي بها إلى رجل الله الذي يكون **"خبيراً في طريق الرب، حاراً بالروح، يتكلم ويعلّم بتدقيق ما يختص**

بالرب" (أع ١٨: ٢٥) ليصير أسقفاً في كنيسة الله، وليس رجل العالم الذي يكون خبيراً في طرق وأحوال العالم! فكنيسة الله ليست شكلاً آخر من أشكال تجمعات الناس التي تزخر بها الحياة الاجتماعية للبشر. بل هي جسد المسيح ومسكن الله بالروح ومجتمع الإيمان المسيحي (راجع الفصل الأول). ومن الطبيعي أن يكون اختيار خدام الكنيسة متوافقاً مع نفس طبيعة الكنيسة ومع أساس قيامها. والحكمة التي من الروح تُغْني دائماً عن حكمة هذا الدهر بل وتفوقها (إرجع إلى رسالة كورنثوس الأولى إصحاح ١و٢ لتعرف طبيعة الخدمة في كنيسة المسيح ونوع الحكمة المطلوبة لخُدام كنيسة المسيح). بل وكثيراً ما تأذت الكنيسة ورسالة الكنيسة من استخدام الحكمة العالمية الباطلة والأساليب الدنيوية الرخيصة في تدبير شئون الكنيسة. **ومع ذلك نقول إن الحكمة حتى البشرية منها لا تُقتنى بكون الإنسان متزوجاً أو غير متزوج.** بل الحكمة الروحية تُقتنى كموهبة تتبع الإمتلاء من الروح القدس. والامتلاء من الروح القدس لا يحدث إلاَّ بسيرة القداسة والتجرد وترك كل شئ من أجل اتِّباع المسيح. وإن كنا ننادي بأنه من الضروري أن تكون الحكمة غير غائبة عن المرشح لتولي خدمة الآخرين فقد كُتب أن "رابح النفوس حكيم" (أمثال ١١: ٣٠)، إلا أننا كثيراً ما رأينا في كثير من المتزوجين غياب الحكمة الروحية وحتى تلك البشرية، مما كان سبباً في مآسٍ ومشاكل عديدة بين الرعية.

علماً بأن مهام الأسقف محددة بالإشراف العام على الكنيسة والنظارة العليا على النفوس، وليس الخدمة المباشرة والمتداخلة وسط العائلات والتي توكل إلى القسوس المتزوجين حيث يحتم القانون زواج القس قبل الرسامة، ليس كشرط وكفاءة، بل كوضع يُسهِّل عليه مهمة حل مشاكل العائلات بالتداخل فيها دون حساسيات. لذلك لا بد من التفريق بين مهام الأسقف ومهام القس وتحديد كلٍ منهما حتى يمكن بالتالي تحديد الفرق بين مجال خدمة الأسقف ومجال خدمة القس، فمجال خدمة القس هو الذي جعل الكنيسة تحدد ضرورة زواج القس قبل رسامته، وذلك لأن خدمة القس هي داخل ومع العائلات؛ بينما خدمة الأسقف هي خدمة إشرافية (فهو الناظر من أعلى) وهو يمارس رعايته للكنيسة بالأكثر من خلال الخدام بكافة رتبهم الكهنوتية وغير الكهنوتية، بدون التداخل المباشر والمكثَّف داخل الكيانات العائلية كما يفعل القس.

خامساً – الأسقف وشركاؤه في الخدمة الرسولية

(المجمعية والأوَّلية)

في علاقة الأسقف بالأساقفة الشركاء في الخدمة الرسولية، نري مبدأ "المجمعية" نفسه الذي رأيناه في علاقة الكنيسة بعضها بالبعض، كما نري في هذه العلاقة أيضاً مبدأ "التقدم والأوَّلية" الذي رأيناه في علاقة الأسقف بشعبه. فبحسب المفهوم الأرثوذكسي لخدمة الأسقفية، فكل أسقف إيبارشية هو أسقف بالتمام والكمال. فبمقتضى نعمة الرسامة التي تنعكس على أمانته للإنجيل وتقليد الكنيسة، فإن للأسقف السلطة المباشرة ليعلِّم ويوجه المؤمنين شعب إيبارشيته الذي انتخبه، باعتباره الرئيس الشرعي للكنيسة في هذه الإيبارشية.

ولأن كل الأساقفة يشاركون في أسقفية المسيح الواحدة، فهناك مساواة كاملة وأساسية بين أساقفة كل الإيبارشيات.

الأوَّلية:

ولكن كان لبعض الإيبارشيات كرامة خاصة اعترفت بها الإيبارشيات التي حولها تلقائياً، إما بسبب قِدَمِ دخول المسيحية إليها (مثل إيبارشية مدينة روما في الغرب، أو إيبارشية مدينة الإسكندرية في مصر وليبيا، أو إيبارشية مدينة أنطاكية في المشرق)، أو بسبب تفوق عدد المؤمنين الذين فيها (مثل إيبارشيات عواصم الأقاليم)، أو بسبب الأهمية السياسية للمدينة أو المنطقة (مثل القسطنطينية بالنسبة لكونها عاصمة الإمبراطورية البيزنطية).

ولكن هذا لا يعني أن هناك تفاوتاً في الدرجة الكنسية للإيبارشيات أكبر أو اقل. فكل إيبارشية تحوز ملء جامعية الكنيسة مادامت تلتئم وتجتمع برئاسة الأسقف حول مائدة الافخارستيا وتتناول من جسد الرب ودمه الأقدسين، أي تتحد بالمسيح كله في التناول (وليس بجزء منه)، فتصير بالضرورة هي جسد المسيح. وبالتالي فإن كل أسقف إيبارشية، بصرف النظر عن حجم ومركز الإيبارشية التي يرأسها، له سلطان الأسقفية بالحق وبالكمال في إيبارشيته التي انتخبته، وهو يمثل الكنيسة الجامعة، ويسمي **أسقفاً في كنيسة الله.**

هذا هو مفهوم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وكافة الكنائس الشرقية الأرثوذكسية وهو يختلف اختلافاً جذرياً عن مفهوم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التي تعتبر أن الإيبارشيات

المسيحية في أي مكان من العالم فروع لإيبارشية روما، ولا تحوز ملء وكمال الكنيسة الجامعة إلا بخضوعها لشخص بابا روما، فإن لم تخضع فهي - في نظر كنيسة روما - إيبارشيات منفصلة والمسيحيون الذين فيها يسمَّون "منفصلون". وهذا المفهوم ضد عقيدة كنيستنا الأرثوذكسية ومفهومها عن جامعية الكنيسة.

المجمعية:

ولكننا نريد أن نضيف هنا مبدأ ملازماً للمفهوم الأرثوذكسي السابق. فكل أسقف إيبارشية يمارس سلطانه بالتوافق والشركة مع سائر أساقفة الإيبارشيات الأخرى. فبينما كل أسقف مكلَّف بالعناية بالرعية التي أؤتمن عليها بنعمة الله، إلا أنه في نفس الوقت، مدعوٌّ أيضاً إلى التآلف مع الإيبارشيات الأخرى التي يرعاها اخوته الأساقفة الآخرون في المسكونة بأسرها. وهذا ينعكس على الصلوات الليتورجية في الكنيسة التي يصلي فيها الأسقف في كل إيبارشية من أجل الأساقفة في كلِّ الإيبارشيات ومن أجل كل الرعايا للكنائس في المسكونة من أقصاها إلى أدناها (أوشية الآباء وأوشية الموضع). فالأسقف يحمل في قلبه الكنيسة الجامعة أمام الله وأمام شعب إيبارشيته، وفي الوقت نفسه يحمل في قلبه وفي شخصه شعب إيبارشيته أمام الإيبارشيات الأخرى. وكما أن الأسقف كما سبق وقلنا - هو بؤرة الوحدة ومركزها في كنيسته، كذلك وبنفس القدر هو الحلقة المتينة والثمينة للصلة والوحدة بين كنيسته والكنيسة الجامعة في المسكونة بأسرها.

هذه الحقائق يتم تحقيقها والتعبير عنها بقوة في كل مرة يُرسم فيها أسقف جديد. فبحسب العوائد القديمة والقوانين الرسولية المبكرة، كان لابد أن يُستدعي على الأقل أسقفان أو ثلاثة من أساقفة الإيبارشيات المجاورة ليشتركوا في رسامة الأسقف الجديد (نيقية قانون ٤، الرسل القانون الأول). كما أن صلوات الرسامة القديمة تُظهر اتحاد الإيبارشيات والكنائس في الإيمان الواحد، وبالتالي اتحاد أساقفتها في الإيمان الواحد. وقيام أساقفة من الإيبارشيات المجاورة برسامة الأسقف الجديد والإشتراك في التناول معه يعني أن هذا الأسقف الجديد في شركة مع الكنيسة الجامعة، وأن هذه الإيبارشية التي سيُرسم عليها الأسقف الجديد هي في شركة مع سائر الإيبارشيات.

كيف تكونت المجامع الأسقفية:

والآن عودة إلي موضوع المجامع الأسقفية. فإن كانت مجامع الأساقفة في منطقة أو إقليم معين قد نشأت من أجل رسامة الأساقفة في الإيبارشيات الخالية، إلا أنها ما لبث أن تحولت إلي مؤسسات منتظمة. وصار من المتفق عليه أن تجتمع هذه المجامع مرتين في السنة (مرة قبل الصوم الأربعيني ومرة في الخريف). وهذا ما قننه مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م..

ثم امتدت أعمال المجامع من القيام بالرسامات إلي النظر في قضايا الاستئناف المرفوعة من المحكوم عليهم من قِبَل أساقفتهم، وكذلك لمناقشة التعاليم الخاطئة التي ينادي بها أسقف من أساقفة الإقليم أو عدم قيامه بواجبات النظارة العليا والرعاية لشعبه كما ينبغي، ومحاولة تصحيح ذلك الأسقف أو الحكم عليه. وهكذا امتدت مهام المجامع لتحكم وتضبط الأساقفة والإيبارشيات من جهة الإيمان والحياة المسيحيين.

كما اقتضت الضرورات أن تواجه المجامع التحديات التي تواجه الإيمان في كنائس وإيبارشيات الإقليم من اضطهاد أو مشاكل إنسانية أو اجتماعية أو كنسية.

ولكن بينما لا يستمد أي أسقف سلطانه داخل كنيسته من أسقف آخر أو من مجمع الأساقفة، إلا أن كل أسقف إيبارشية يجب أن يمارس نظارته العليا على شعبه وهو في شركة مع شركائه الأساقفة في الإقليم. فليس هناك في الكنيسة الجامعة موضع لإيبارشية مستقلة بأسقفها، أو مقطوعة الشركة مع باقي الإيبارشيات. فكل أسقف يمارس أسقفيته ومسئولياته بطريقة تنسجم مع الطبيعة المجمعية للأسقفية ولوحدة الكنيسة ككل.

المجامع، وصِلَة الأساقفة بشعب إيبارشياتهم

كذلك فالمجامع الأسقفية ليست منفصلة عن حياة شعب الله في هذه الإيبارشية أو تلك. فكل أسقف مدعو أن يعطي شهادته عن إيمان شعب كنيسته. **فالأسقف يأتي إلى المجمع لا ليعطي رأيه الشخصي كأنه معصوم عن الخطأ، بل يأتي حاملاً الشهادة عن إيمان شعبه وخيرات كنيسته وإسهام رعيته في الصالح العام ورفع المستوى الروحي العام للإيبارشيات كلها**، ترديداً لما أعلنه القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس حينما قال لهم: "إن غيرتكم قد حرضت الأكثرين" (٢كو ٩:٢)، ولأهل رومية:"إيمانكم يُنادَى به في كل العالم" (رومية ١:١٢). فالأسقف يحمل في قلبه وفي شخصه شعب كنيسته الذي انتخبه والذي هو اقترن به، أينما حل وحيثما كان. فما بالك حينما يجتمع مع اخوته الأساقفة ليشهدوا معاً للإيمان

الواحد والحياة في المسيح الواحد في كنائسهم!

وحينما استقبل القديس إغناطيوس أسقف أنطاكية في القرن الثاني أخاه أنيسيموس أسقف أفسس كتب إلى شعب أفسس قائلاً:

[إني أستقبل كنيستكم الكبيرة في شخص أنيسيموس أسقفكم] - الرسالة إلى أفسس:١.

الأسقف في داخل المجمع:

يأتي الأسقف إلى مجمع الأساقفة حاملاً شهادة إيمان شعبه والتقليد الرسولي الذي آمنت به كنيسته في تعاقب رسولي غير منقطع وأيضاً خبراتهم الروحية. ويساهم في كل ما يدور في المجمع بإحساس المسئولية أمام الله وأمام شعب كنيسته وأمام التاريخ، بإبداء الرأي الحق وتأييده، والاعتراض على الرأي الخطأ ودحضه، بمنتهى الأمانة للحق والشجاعة والمجاهرة. وفي مجمع قرطاجنة الصغير وقف القديس كبريانوس المعتبر متقدماً بين الأساقفة المجتمعين (٨٧ أسقفاً) والذي كان يسمى "البابا" وقال لهم، **مذكّراً إياهم والأجيال اللاحقة بسلطان كل أسقف منفرداً في تأييد الحق والاعتراض على الخطأ دون أي مانع يمنعه عن ذلك:**

[...فليُبْدِ كل منا رأيه على انفراد في هذه القضية دون أن نحكم على من لا يتفق معنا أو ننزع عنه حق الشركة. فإنه ليس بيننا من يجعل نفسه أسقف الأساقفة (يقصد بابا روما الذي كان يدّعي لنفسه هذا اللقب، وفي الوقت نفسه ينكر على نفسه وهو بابا كنيسة قرطاجنة هذه النظرة) أو يحاول أن يُرغم رفقاءه بالإكراه على الطاعة له. فلكل أسقف أن يستعمل حرية رأيه وسلطته وليس له أن يدين الغير...]—سينوديكون المجمع([1])

ويقرر القديس كبريانوس أن الأسقف قد يقع في الخطأ في التعليم، ولكن المجمع- إن كان حقاً محكوماً بالروح القدس وفي ثبات في المسيح، وقراراته تكون مطابقة لتقليد الكنيسة الرسولي وقرارات المجامع وتعليم الآباء القديسين وعدم مجانبتها لها، فإن قراراته يمكن أن تُعتبر أنها محفوظة من الزلل وهي بهذا تصحح أخطاء وتجاوزات أيٍ من الأساقفة الآخرين منفردين

([1]) كتاب *"الشرع الكنسي"*، صفحة ٧٥٧

إذا وُجد ثمة تجاوزات أو أخطاء.(٢)

أي أن القرارات التي تصدر عن مجمع الأساقفة لابد أن تكون متسقة مع الإيمان الرسولي والتقليد الكنسي والعقيدة الأرثوذكسية التي توارثت في كنائسهم والتي يؤمن بها شعب إيبارشياتهم، بحيث لا يمكن أن نتصور أن تكون هذه القرارات منعزلة أو منفصلة عن التقليد الرسولي والحياة الرسولية التي توارثتها كنائسهم أو متعارضة معها. وإلا فإن هذه القرارات ستكون معرَّضة للرفض من شعب الله، سواء في نفس العصر أو في عصور لاحقة، كما حدث في تاريخ الكنيسة حينما رُفضت قرارات مجامع (منها مجامع مسكونية ومجامع مكانية) لعدم قبول جسد الكنيسة لها بسبب عدم اتساقها مع التقليد الرسولي والإيمان الأرثوذكسي. لذلك فمن اللائق والمفيد بل ومن الواجب أن ينصت الأسقف ويشجع شعبه على مداومة التعبير عن إيمانهم ورؤيتهم النابعة من هذا الإيمان للأمور والقضايا والمشاكل السائدة.

نموذج من كنيسة شمال أفريقيا:

ونعرض مثلاً واحداً من التقليد الذي كان يمارسه القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة في القرن الرابع (ونفس هذا التقليد كان معمولاً به في سائر الكنائس الرسولية)، فقد كانت عادة القديس كبريانوس أن يُشرك القسوس (الذين كان يلقبهم بشركائه القسوس واخوته الأعزاء جداً) وكذلك الشمامسة والشعب في حضور المجامع الأسقفية ويستشيرهم ويأخذ بآرائهم. وأحياناً كان يغير رأيه الذي كان يعتنقه في بداية الاجتماع وذلك بعد استماعه لآراء المجتمعين، كما يقرر العالم الآبائي إ. و. بنسون في دراسته المتخصصة في كتابات القديس كبريانوس(٣). وفي الرسالة ١٩:٢ يخبر القسوس في إيبارشيته والشمامسة أن المسألة موضوع البحث في مجمع قرطاجنة المزمع عقده (وهي قبول المرتدين عن الإيمان أثناء الاضطهاد) يجب أن يُبتَّ فيها **"برباط المشورة المشتركة" باجتماع الأساقفة مع القسوس وحضور الشعب المؤمن الذي يستحق كل كرامة بسبب إيمانهم ومخافتهم لله**. وحينما اجتمع مجمع قرطاجنة الصغير (سنة ٢٥٧م.) برئاسة القديس الشهيد كبريانوس، تسجل أن: "أساقفة كثيرين (٨٧

---

(٢) راجع بند: *"متى يفقد الأسقف صفة تمثيله للمسيح ولكنيسة الله (أمثلة)"*، الفصل التالي "المجامع الكنسية المقدسة".

(3)E.W. Benson, *Cyprian*, p. 157, cited in G.S.M. Walker, *The Churchmanship of St. Cyprian*, London, 1969

أسقفاً) اجتمعوا من مقاطعات أفريقيا ونوميديا وموريتانيا مع **القسوس والشمامسة، وعدد غفير من الشعب كان حاضراً**"(٤). وإن نظام انعقاد المجامع الكنسية المقدسة ومداولاتها وطريقة اتخاذ القرارات فيها واشتراك الشعب فيها الخ. يحتاج إلى دراسة مستفيضة وبحث خاص (وهو موضوع الفصل السادس).

وعلى هذا فإن مجمع الأساقفة في جيل معين هو حارس وشاهد حي على تقليد الكنيسة الرسولي وحلقة الاتصال المتينة بين كنيسة الجيل المعاصر وبين تقليد الكنيسة الرسولي المتعاقب الذي ائتمنهم عليه شعب إيبارشياتهم. وتعودت المجامع أن تبدأ قراراتها وتسندها بمراجع وشواهد من الأسفار المقدسة الموحى بها ومن أقوال وشهادات آباء الكنيسة وقرارات المجامع السابقة. ولا تعرف الكنيسة قرارات مجمعية تصدر دون ذكر ما يؤيدها من المراجع السالفة الذكر.

مثل معاصر: تصريحات البطاركة الشرقيين عن دور الشعب في الحفاظ على الإيمان:

وعندنا مثل معاصر رائع لمفهوم مقياس صحة وشرعية قرارات المجامع نقرأه في تاريخ الكنائس الشرقية الأرثوذكسية (الخلقيدونية، والتي أصبحنا على وشك الشركة الكاملة الفعلية معها). إذ اجتمع بطاركتها معاً عام ١٨٤٨ ليردوا على دعوة البابا الروماني آنذاك بيوس الحادي عشر للخضوع لرئاسته والاعتراف بعصمته الشخصية من الخطأ. فأعلن البطاركة الشرقيون في ردِّهم عليه هذا المبدأ:

[لا يوجد عندنا بطاركة ولا مجامع يمكنها (أو يمكنهم) أن يصدروا تعاليم مستحدثة، ذلك لأن المدافع الحقيقي عن الإيمان هو جسد الكنيسة بحد ذاته، أي الشعب نفسه، الذي يصمم على أن يكون إيمانه غير قابل للتغيير من جيل إلي جيل، بل يكون هو نفسه إيمان الآباء](٥)

وبالطبع لا يلغي الآباء البطاركة الشرقيون في بيانهم هذا أو يقللون أو يتنازلون عن

---

(٤) عن مقدمة سينوديكون المجمع (أي الرسالة المجمعية)، كتاب *مجموعة الشرع الكنسي*، منشورات النور ١٩٨٥، صفحة ٧٥٧

(5)**Timothy Ware, *The Orthodox Church*, 1963 Penguin Books, Page 255**

سلطانهم الشرعي للتعليم الذي يحوزونه، لكنهم بالحري يضعونه في إطاره ومضمونه الصحيح، أي الشعب، شعب الله.

وهذا يعني أن الشعب (اللاؤس Laos) هو حارس الإيمان، بينما الأسقف هو الذي يعلّم هذا الإيمان الأرثوذكسي ويعلنه باسم الكنيسة التي انتخبته أساساً لكي يعلن هذا الإيمان بالذات الذي تسلم للكنيسة، ويعلّمه للأجيال، ويزيده شرحاً ووضوحاً وتألقاً من واقع علمه وتعمقه في دراسته. ولذلك جرت العادة أن يحضر أعضاء من الشعب من ذوي المعرفة والعلم اللاهوتيين بجامع الأساقفة في الدورات ذات الصفة المصيرية أي لمناقشة هرطقة أو تعليم فاسد أو لإعلان وضع أو موقف جديد في حياة الكنيسة **كما حدث في** مجامع سابقة كثيرة، ويقدموا **مساهمتهم العلمية اللاهوتية والفكرية كلٌ بحسب علمه ودراساته وأبحاثه، ولكن يبقي الأساقفة** في النهاية هم الذين يعلنون الإيمان الصحيح ويتخذون القرار في مثل هذه المواقف باسم الكنيسة، بناءً على الحق الذي اشتركت الكنيسة كلها في تقريره وإعلانه. ولكن كان غير مسموح على الإطلاق أن ينفرد أسقف باتخاذ مثل هذا القرار دون مشورة الكنيسة ممثلة في مجمع الأساقفة والقسوس وعلماء الشعب، وبحسب قانون الأوَّلية كما سيرد فيما بعد.

قوانين الأوَّلية:

لقد وضع قانون رقم ٢٥ (وفي بعض المخطوطات رقم ٣٣) للرسل الأطهار هذا المبدأ القانوني، الذي عاد فأكده قانون مجمع نيقية:

القانون الرسولي رقم ٢٥

[أساقفة كل إقليم يجب عليهم أن يعرفوا من هو **الأول** فيهم ويدعوه أنه رأس لهم.
ولا يفعلوا شيئاً كبيراً إلا برأي المقدَّم.
وليصنع كل واحد أفعاله وحدها التي هي لخير كرسيه (أي التي تخص خير كرسيه) والأماكن التي في سلطانه.
ولكن الذي يُقام رأساً أي أول عليهم **لا يفعل شيئاً بغير رأي الأساقفة كلهم.**
هكذا يكون اتفاق واحد ويتمجد الله بالمسيح يسوع والروح القدس.]

القانون ٢٥ من مجموعة قوانين الكنيسة
على يد اقليمنضس

القانون ٦ من مجمع نيقيه:

[فلتحفظ العادات القديمة في مصر وليبيا والمدن الخمس في أن لأسقف الإسكندرية الرئاسة عليها كلها]

وهكذا أصبحت هذه العادة القديمة قانوناً بموجب قرار المجمع المسكوني([٦]). **فأسقف مدينة الإسكندرية العظمى بحكم وضعه يسمى "بابا وبطريرك مدينة الإسكندرية العظمى ورئيس أساقفة الكرازة المرقسية"** والتي تمتد إلي ليبيا والنوبة (قديماً) وإثيوبيا والخمس مدن الغربية (وحالياً أضيفت بلاد المهجر وأفريقيا)، وهكذا سُمِّي أيضاً **أسقف مدينة الكرسي الرسولي (أي مدينة الإسكندرية)** حيث كرز القديس مرقس الرسول أولاً. وبهذه الصفة يسري على انتخابه ورسامته ما يسري على انتخاب ورسامة أي أسقف لأي إيبارشية أخرى، بالإضافة إلى شروط إضافية خاصة تتناسب مع كونه مركز وبؤرة الوحدة في الكنيسة كلها، وباعتباره المتقدم بين الأساقفة.

أنواع "الأوَّلية والتقدم بين متساوين ":

هناك ثلاثة أنواع من الأوَّلية والتقدم بين متساوين نظمها القانون الكنسي:

١ – **أوَّلية أسقف "المدينة الأم"** (الميتروبوليس**Metropolis**) وهي عاصمة الإقليم أو المقاطعة أو المحافظة بين أساقفة مدن الإقليم. ويسمي أسقفها ميتروبوليتس **Metropolitis** وتنطق محرفة بالعربية "مِطْران". ويجب أن يعرف القارئ أن لقب أو درجة "المطران" ليست درجة كهنوتية أعلى من درجة الأسقف بل هي **اسم ولقب رتبة أسقف عاصمة الإقليم** حينما يكون هو المتقدم على أساقفة المدن التي يتكون منها هذا الإقليم. وقد سُمي أسقف الإسكندرية في فترة من الفترات التاريخية باسم **"متروبوليت الإسكندرية"** وذلك قبل ازدياد الإيبارشيات في المدن

([٦]) لذلك وبحسب المتعارف عليه في فقه القانون الكنسي لا يمكن مخالفة هذا القانون أو تعديله إلا بموجب قانون على نفس المستوى، أي من مجمع مسكوني مماثل. علماً بأن المجمع المسكوني الثاني (الذي عُقد في القسطنطينية عام ٣٨١) ثبَّت هذا القانون بأن قرر إلغاء انتقال القديس غريغوريوس أسقف سازيما إلى كرسي القسطنطينية الرسولي ليصير بطريركاً عليها بالرغم من تفوُّقه وقداسته وكفاءته وبالرغم من موافقة مجمع أساقفة كنيسة القسطنطينية على هذا النقل. راجع الفصل السابع من هذا البحث.

الأم داخل مصر. فإذا كانت الرتب الكهنوتية ثلاثاً: الأسقف، القس، الشماس؛ فالمطران هو لقب **"أسقف المدينة الأم"** والمتقدم بين أساقفة المدن التي تتبع عاصمة هذا الإقليم أو المقاطعة أو المحافظة، وهو يرأس اجتماعاتهم، ويكون بؤرة ومركز الوحدة والتآلف والتناسق بين كنائس وإيبارشيات الكنيسة في هذا الإقليم.

٢- **أوّلية أسقف "المدينة العظمى مدينة الكرسي الرسولي"**، أي المدينة التي كرز فيها رسول المسيح أولاً، مثل مدن روما والإسكندرية وأورشليم وأنطاكية.

وقد تعاقبت على مدي التاريخ ألقاب أسقف الكرسي الرسولي هكذا: أسقف، متروبوليتيس، رئيس أساقفة، بطريرك، ولكن كلها ألقاب رتبة واحدة هي رتبة الأسقفية، فرتبة الأسقفية واحدة(٧). كما أنها ليست درجات أعلى يُرقَّي إليها الأسقف كما يُقال أحياناً، ولكن **الذي يُكرَّس لها (كما يجب أن يُقال دائماً) هو فقط القس** المرشح والمنتخب للأسقفية (وإذا لم يكن قد نال القسوسية بعد يُسام قساً أولاً)، **وفي هذه الحالة توضع على القس المرشَّح أيادي الأساقفة (طقس وضع الأيادي هو أقدس وأخطر لحظة في رسامة: الأسقف على مدينة، أو المطران على المدينة الأم، أو البابا البطريرك على المدينة العظمى).**

٣- **ترتيب أوّليات البطاركة**: أي بطاركة الكنائس الرسولية. وهي أوّليات كانت تُمارَس بالمحبة والنفوذ الفعلي ومدى التأثير في باقي كنائس العالم، وليس بسلطة قانون أو تسلط مفروض، كما حدث في ادعاءات بابوات روما بعد مجمع خلقيدونية عن سلطة ورئاسة البابا الروماني على كنائس الشرق والغرب. ولكن هذه **الأوّلية بالمحبة** كانت تُمارس تلقائياً ودون إلزام قانوني قبل الانشقاق، وسمَّاها القديس إغناطيوس الأنطاكي (في رسالته إلى رومية) **"رئاسة بالمحبة"**. فكان بابوات الإسكندرية على اتصال مع أساقفة روما (ولم يكن هؤلاء الأخيرون قد لُقِّبوا باسم البابا بعد) في أثناء الأزمات الكنسية مع الهراطقة والأباطرة. مثل البابا ديونيسيوس الإسكندري مع سميِّه ديونيسيوس الروماني، والبابا أثناسيوس الرسولي مع البابا جوليوس الروماني، والبابا كيرلس الكبير مع البابا سيليستين.

وقد أعطي **مجمع نيقية المسكوني الأول** (سنة ٣٢٥م.) الصفة القانونية للأوّليات التي كانت سائدة في ذلك العصر، وجعلها هكذا بالترتيب: **أسقف روما** على كنائس الغرب،

---

(٧) راجع كتاب *التقنين الكنسي* للمستشار عوني برسوم، ١٩٩٤، صفحات من١٢٦-١٣٠

أسقف الإسكندرية على أقاليم مصر وليبيا والخمس المدن الغربية، **أسقف أنطاكية** على كنائس سوريا والمشرق.

ثم اعترف مجمع خلقيدونية (سنة ٤٥١) بهذه "**الأولّيات في المحبة**" بين البطاركة الخمسة الذين كانوا يسوسون الكنائس المسيحية في المسكونة في القرن الخامس (بعد أن أضاف لها بطريركية القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية) هكذا: **أسقف روما** على كنائس الغرب، **أسقف القسطنطينية** على كنائس الشرق، **أسقف الإسكندرية** على كنائس مصر والنوبة وليبيا وإثيوبيا، **أسقف أنطاكية** على كنائس سوريا والمشرق، **أسقف أورشليم** على فلسطين.

ولكن للأسف توقفت ممارسة هذه "**الأولّيات بالمحبة**" بين بابوات الكنيسة القبطية وبطاركة الكنائس الأخرى بعد مجمع خلقيدونية سنة٤٥١ وانقسام الكنيسة المحزن بين خلقيدونيين ولاخلقيدونيين، وبعد تطور مفهوم الأولّية لدى كنيسة روما من "**أولّية بالمحبة**" إلى المطالبة بـ "**رئاسة بسلطة القانون**". ولكن رجاء قلوبنا الحار هو عودة المحبة والوحدة في المسيح بين كنائس المسكونة بأسرها لتكون بحق رعية واحدة لراعٍ واحد هو المسيح "ليؤمن العالم بأنك أرسلتني" (يو ١٧:٢١).

سادساً: المجامع الكنسية المقدسة

١. لمحة تاريخية

المجامع (أو السينودسات) هي وسائل هامة للتعبير عن وحدة الكنيسة وحفظها، ولاتخاذ القرارات بشأن الإيمان والنظام في الكنيسة.

والكنيسة المسيحية كنيسة مجمعية منذ نشأتها من حيث أن الروح القدس حلَّ على التلاميذ وهم على هيئة كنيسة (أعمال الرسل الأصحاح الثاني).

والرب سلَّم مفاتيح الملكوت (سلطان الحل والربط للخطايا) لبطرس وسائر الرسل معاً ككنيسة (مت١٦: ١٩).

وهكذا كوَّن الرسل الاثنا عشر بعد صعود الرب وإثر امتلائهم من الروح القدس أول نواة أو النموذج الأولي للجماعية في الكنيسة، وهو نموذج كنيسة أورشليم. وقد استعلنت هذه الجماعية أول ما استُعلنت في أول مجمع كنسي، عقده الرسل والقسوس في كنيسة أورشليم لتحديد المسار الذي ستتخذه الكنيسة للكرازة بالإنجيل للأمم في العالم وقبولهم في الكنيسة (أع ١٥). ومن هذا المجمع انطلقت شرارة البشارة بالمسيحية لكل مدن العالم المتحضر آنذاك.

وكلما تأسست كنائس جديدة في مدن جديدة خارج أورشليم، كان ينتقل النمط نفسه إليها: **كنيسة على هيئة مجمع**. وأوضح مثال على ذلك تأسيس الكنيسة القبطية في الإسكندرية في القرن الأول، إذ نقل القديس مرقس الرسول نظام كنيسة أورشليم برُمَّته كما هو إلى المؤمنين الجدد في الإسكندرية، فرسم اثني عشر قساً[1] (على نمط الاثني عشر رسولاً) وسبعة شمامسة (على نمط الشمامسة السبعة في أورشليم – أع٦: ٥)، وسلَّمهم مع الكنيسة وهم على هيئة مجمع – أمر الكرازة بالإنجيل في مصر كلها والمحافظة على الإيمان الرسولي المقدس.

وهكذا انعقدت المجامع في كنيسة الإسكندرية منذ القرن الأول، وتولت أمر نشر الإنجيل

---

[1] تاريخ سعيد بن بطريق، عن *قصة الكنيسة القبطية*، تأليف إيريس حبيب المصري، جزء أول، صفحة ٢٦.

في كافة المدن المصرية، وذلك حتى عصر البابا ياراكلاس (سنة ٢٢٤م) الذي رسم عشرين أسقفاً للبلاد المصرية، لرعاية المؤمنين وتعليمهم، بعد أن تزايد عددهم وامتد وجودهم إلى كلا الوجهين البحري والقبلي، حيث بدأت من ذلك الوقت المجامع الأسقفية تأخذ مكانها في الكنيسة القبطية.

ولكن هذا التقليد لم يكن قاصراً على كنيسة الإسكندرية وحدها، بل كان قد بدأ ينتشر في كافة كنائس المسكونة التي تأسست آنئذ مع انتشار المسيحية، وليس في العواصم الكبرى فحسب، بل وفي المدن الأخرى أيضاً.

ذلك لأننا نقرأ عن أولى المجامع الأسقفية بعد مجمع أورشليم بمائة عام، الأول ينعقد في بلاد اليونان ويحدثنا عنه ترتليان، وآخر في بلاد العرب ويحدثنا عنه يوسابيوس القيصري:

ترتليان (١٦٠- ٢٢٥م):

[تقوم هذه المجامع في بعض أماكن معينة من بلاد اليونان، وهي تضم جميع الكنائس هناك، وتعالَج فيها المسائل ذات الأهمية الكبرى، وكانت تُقام بجلال عظيم باعتبارها الممثل للمسيحية.](٢)

يوسابيوس القيصري (٢٦٠- ٣٤٠م):

[ونحو هذا الوقت (قبل سنة٢١٥م) قام آخرون في بلاد العرب منادين بتعليم غريب عن الحق ... فاجتمع مجمع كبير دُعي إليه أوريجانس أيضاً، فتكلم في الموضوع بكل قوة، حتى تغيرت آراء الذين سبق أن سقطوا](٣).

هذا غير ما ذُكر في:

---

(2)Tert., De jejun. XIII, 6.

(٣) *تاريخ الكنيسة* ٦:٣٧

قوانين الرسل:

(وهي وثيقة من العصر الرسولي سُجِّلت كتابة حوالي القرن الثالث أو الرابع)

(القانون ٣٤):

[على أساقفة كل أمة أن يبحثوا عمن هو المتقدم بينهم، وليعتبروه رئيسهم. ولا يعملوا شيئاً بدون موافقته، وهو لا يعمل شيئاً بدون موافقتهم جميعاً. وهكذا إذ يسود الاتفاق، يتمجد الله بالمسيح في الروح القدس].

ومن هذا القانون نبدأ في دراسة:

أساس المجمعية في الكنيسة المسيحية:

حينما بدأت الكنائس المسيحية الوليدة خارج أورشليم تتأسس، استمدت النمط الذي كانت تسير عليه الكنيسة الأم في أورشليم، كما أوضحنا. فكل كنيسة من هذه الكنائس اعتُبرت أنها هي "الكنيسة" من حيث أن اجتماع مؤمنيها يتحول إلى "جسد المسيح"، بتناولهم من الأسرار المقدسة، كما تصلي الكنيسة قائلة: [اجعلنا مستحقين أن نتناول من قدساتك ... لكي **نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً**] -القداس الإلهي.

فسرُّ الإفخارستيا هو الذي يكوِّن الكنيسة جسداً واحداً للمسيح. وهو الختم الذي يعطي الكنيسة صفتها وقوامها وشرعيتها.

وقد نعت القديس إغناطيوس الأنطاكي الكنيسة في أي موضع معين بأنها "**الكنيسة الجامعة**" أيضاً. ذلك أنه في كل مرة يجتمع فيها اثنان أو ثلاثة باسم المسيح، فإن الرب - بحسب وعده في (مت٢٠:١٨) - يحضر وسطهم بكل ملئه.

فاجتماع المؤمنين في موضع ما حول المسيح في سر الإفخارستيا، هو اجتماع حول ملء المسيح، وبالتالي فهوَ يتحول إلى جسد المسيح الجامع. فالكيان المتحول هنا لا يصير جزءاً من الجسد بل ملء الجسد نفسه. ويصير هذا الجسد المتحول هو **كنيسة الله الجامعة في الموضع الفلاني**.

وهكذا يصبح أمامنا ليس فقط "**كنيسة الله في مدينة أورشليم**"، بل وأيضاً "كنيسة الله في مدينة كورنثوس"، و "كنيسة الله في مدينة أنطاكية"، و "كنيسة الله في مدينة روما"، و "كنيسة الله في مدينة الإسكندرية"... الخ. وكلٌّ من هذه الكنائس كان معتبراً أنه "كنيسة

الله".

الجمعية بين "المكانية" و "الجامعية":

ولكن كما أن من طبيعة سر الإفخارستيا تجاوز الفروق داخل الكنيسة الواحدة في الموضع الجغرافي المحدد([4])، كذلك تتجاوز الإفخارستيا أية فروق على مستوى الإقليم، بل وعلى مستوى العالم كله. فلكي يمكن أن تُعتبَر الكنيسة في موضع ما أنها كنيسة الله حقاً، لابد أن تكون في شركة كاملة مع باقي كنائس الله على مستوى الإقليم وعلى مستوى المسكونة. وهذا يتحقق بالشروط الثلاثة الآتي بيانها([5]):

١.أن تكون اهتمامات ومشاكل كل الإيبارشيات موضوع صلوات وعناية الكنيسة في الموضع المحدد. فإن جنحت الكنيسة في مكان ما إلى اللامبالاة بما يجري في الكنائس الأخرى أو انعزلت وجدانياً عن ذلك، فمن المؤكد أنها تبتعد عن كونها **كنيسة الله بحق**. لذلك تأتي الليتورجية لتُعبِّر عن هذا الإهتمام العام بالأواشي والطلبات من أجل الأساقفة الأرثوذكسيين في المسكونة بأسرها (أوشية الآباء وأوشية الموضع).

٢.أن يكون هناك أساس مشترك بين الكنيسة في مكان ما والكنائس في باقي المواضع لرؤية وفهم الإنجيل والطبيعة الأخروية للكنيسة. وهذا يستدعي بالضرورة سهر متواصل على سلامة الإيمان ووحدة ووضوح الرجاء في حياة الدهر الآتي من جانب كل كنيسة من كنائس الإقليم.

٣.أن تكون هناك مجامع تُسهِّل الشركة بين الكنائس في الإقليم الواحد أو المسكونة. وهذه هي المجامع المقدسة على مستوى الإقليم أو على مستوى المسكونة.

هذا الوضع الجديد يحققه أمامنا مجمع الرسل الأول في أورشليم (أعمال ١٥). فإن هذا المجمع بجانب تقريره الرأي في موضوع قبول الأمم داخل المسيحية، اعترف بالتغير الجذري الجديد في معنى "كنيسة أورشليم". فحالما انتقل كل رسول إلى "مكان آخر" (أع١٢:١٧)،

([4]) راجع الفصل الأول من التمهيد في أول البحث: *أولاً – طبيعة وأساسيات قيام الكنيسة*..

([5]) **John Zizioulas, *The local church in a eucharistic perspectiv-an Orthodox Contribution*, In Each Place, WCC, Geneva 1977, p. 59**

فإن الكنيسة الجديدة التي أسسها ستصبح هي صورة لكنيسة أورشليم، أي كنيسة شاهدة لقيامة المسيح ولتعليمه، بسبب الرسول الشاهد الذي نقل إلى الكنيسة الجديدة شهادته العيانية واستودعها إياها عَبْر الأجيال.

إذن، فكل كنيسة كانت تحتفظ عندها بشهادة الرسل وتعليمهم، ممثلاً في تعليم الرسول الذي أسسها. وهكذا أصبحت الكنائس (الرسولية) معاً مؤتمنة على ومسئولة عن حفظ هذه الشهادة الرسولية الجماعية التي للرسل جميعاً. ومن هنا نشأت الحاجة لحفظ هذا الإجماع والوحدة والالتحام بين الكنائس "في كل موضع"، باعتبارها معاً شاهداً على الإيمان الرسولي الواحد.

هذا الواجب -أي الشهادة والمناداة بالتعليم الرسولي - هو الذي تقوم به المجامع. وعلى أساس هذا الواجب المحدد سنستطيع أن نميز المفاهيم الصحيحة لكيفية انعقاد المجامع وسلطتها، ومكانتها الدقيقة، ومدى عصمتها أو عدم عصمتها من الخطأ، وكيف يُقاس الحق في قراراتها... الخ من واقع تعليم الإنجيل وتقليد الرسل، وعلى هدى ذلك التاريخ الطويل والتقليد العريض لحياة المجامع في الكنيسة.

والآن، إذا ما استعرضنا نماذج من هذه الشهادات التي قامت عليها المجامع في القرون الأولى فسنجد أنها تركزت في أربعة موضوعات أساسية:

٢.الموضوعات الأساسية التي انعقدت عليها المجامع

١ - علاقة الروح القدس بالكنيسة:

لقد ظهرت أولى المجامع في الكنيسة -بعد مجمع أورشليم الرسولي -في آسيا الصغرى، لمواجهة شطط "مونتانس" الذي ادَّعى النبوة وامتلاك الروح القدس والتكلم بألسنة.

ويقول عن هذا الموضوع الكاتب المجهول (الذي نقل عنه يوسابيوس القيصري في كتابه تاريخ الكنيسة ٥:١٦:١٠):

[فالمؤمنون في آسيا طالما اجتمعوا في أماكن مختلفة من كل أرجاء آسيا للتفكير في هذا الأمر، وفحصوا الأقوال الغريبة، وأعلنوا فسادها، ورفضوا البدعة، وهكذا أُبعد هؤلاء الأشخاص من الكنيسة، ومُنعوا من الشركة]

ويقوم تحليل كثير من العلماء الذين بحثوا في أصل المجامع، على أن هذه القضية بالذات

شغلت قسماً كبيراً من المجامع الأولى. حيث كانت المجامع هي المجال الأول لإستعلان عمل الروح القدس في الكنيسة.

وقد كانت هذه البدعة، فعلاً، باعثاً مثيراً لكثير من آباء الكنيسة لإدراك أن الروح القدس أقنوم وشخص متميز عن أقنوم الابن في الثالوث الأقدس، وأن المسيح هو الذي يعطيه للكنيسة من عند الآب حتى تحيا. وقد ترك لنا **القديس إيرينيئوس** -في معرض كتابه ضد هرطقة المونتانيين – صفحات خالدة يشرح فيها بأي معنى تعتبر الكنيسة أنها موضع حلول الروح القدس، وكيف أن الروح القدس لا يمكن أن يوجد خارج الكنيسة -كجسد المسيح، وكيف أن الكنيسة قائمة على قيادة الروح القدس لها – كأقنوم له مشيئة وإرادة واضحة لابد أن تستعلنها الكنيسة:

[حيث الروح القدس فهناك الكنيسة، وحيث الكنيسة فهناك الروح القدس](٦).

٢ – سر المسيح والاحتفال به:

لقد انعقدت مجامع مبكرة لمناقشة تاريخ تعييد الفصح، هل يكون يوم ١٤ نيسان وهو عيد الفصح اليهودي، فنعيِّد مع اليهود (مهما كان موقع اليوم من الأسبوع الذي يقع فيه)، أم يكون يوم الأحد (ولو لم يوافق ١٤ نيسان). وقد اتفق الكل برأي واحد، وبعد تبادل الرسائل، على إصدار أمر كنسي بأن سر قيامة الرب يجب أن لا يُحتفل به في أي يوم آخر سوى يوم الرب. وأن الاحتفال بسر الإفخارستيا -وهو يوم سر فصح الرب -بعد طوال صيام الأربعين يجب أن يكون يوم الأحد.(٧)

٣– المجامع هي موضع معالجة الانقسامات وتضميد جروح الانشقاقات

من الملاحظ لدارسي تاريخ الكنيسة المدققين، أن المجامع الكنسية لم تكن، كما يظن البعض، مجرد أداة لحرم الهراطقة وقطع وحرم المخالفين، هذا العمل نتيجة ثانوية وليس هدفاً

---

(٦) *ضد الهرطقات* ٣:٢٤:١.
(٧) يوسابيوس القيصري، *تاريخ الكنيسة*، ٥:٢٣:٢.

أساسياً للمجامع الكنسية. بل بالعكس، كانت المجامع فرصة للدعوة إلى التوبة والرجوع إلى الحق، وأكثر من هذا كانت تتضمن مجهودات جبارة للمصالحة وتقريب وجهات النظر بين الشيع والفرقاء المتخاصمين. وكان أساس هذه المجهودات هو الحوار الحر وتبادل وجهات النظر المتعارضة تجاه الحقيقة اللاهوتية الواحدة.

ومن الأمثلة التي تصوِّر هذه الممارسة السلامية المباركة للمجامع الكنسية التي تحمل سمات حوار مثمر ومجهود شديد من أجل الفهم المتبادل بين الفريقين تلك الرسالة المسماة "**الرسالة إلى الأنطاكيين Tomus ad Antiochenos**" والتي صدرت عن المجمع المقدس للكنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية المنعقد في الإسكندرية عام ٣٦٢م. تحت رئاسة البابا القديس أثناسيوس الرسولي. هذه الرسالة المجمعية كانت ثمرة مناقشات مطوَّلة من أجل استيضاح وتوضيح التعبيرات اللاهوتية الصعبة، وذلك لإزالة سوء الفهم بين الفريقين، وكذلك لتثبيت الحوار الذي كان يهدف إلى تضميد جروح الانقسام، والذي كان دافعه روح النية الطيبة والرغبة الحقيقية في السلام. وما فعله المجمع (كما نقرأ في البيان الموجه لكنيسة أنطاكية) هو وضع الطرفين المتنازعين(٨) بعضهما مع البعض وتركهما يتناقشان معاً في خلافاتهما. وكان السؤال المطروح من كل واحد على الآخر:

• **"فماذا تعني أنت، إذن، بهذا التعبير اللاهوتي"، أو "لماذا أنت تستخدم هذه التعبيرات اللاهوتية؟"**

ومن هذين السؤالين نستطيع أن نتبين كيف دار الحوار في المجمع، وكيف وصل المجتمعون إلى الرأي النهائي بقولهم في سجل أعمال المجمع: [**فإذ قبلنا تفسيرات هؤلاء المجتمعين بلغتهم وبدفاعهم ...**]. هذا هو وصف نتيجة الحوار الذي دار بين أطراف متكافئة متساوية. وكانت النتيجة هكذا: [**الكل، بنعمة الله، وبعد التوضيحات المبينة سابقاً، اتفقوا معاً على أن الإيمان المعترف به من الآباء في نيقية هو أفضل وأكثر دقة من التعبيرات الأخرى التي ذُكرت**].

ومما يمجد الله أن هذه النتيجة السلامية الأخيرة أخرجت ما يسمى بفريق "**نيقية الجديدة**"،

---

(٨) وهذان الطرفان هما: أتباع ميليتيوس متروبوليت أسيوط (الذي عارض قانون مجمع نيقية وصنع انشقاقاً في الكنيسة)؛ وأتباع باولينوس الذين هاجموا ميليتيوس.

والـذي خـرج منـه الآبـاء الكبـادوك الثلاثـة (القديسـون باسـيليوس وغريغوريـوس النزيـنزى وغريغوريوس النيصي) الذين امتدوا بجهاد وبدفاع القديس أثناسيوس الرسولي عن الإيمان إلى نهاية القرن الرابع. أنظر كيف يمتد الحوار السلامي بين الأطراف المتنازعة، إلى امتداد الكـرازة وتثبيتها على مدى الأجيال والأزمان، وحفظ الإيمان، وتثبيت أساسات الكنيسة.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة نجدها في تاريخ الكنيسة والآباء البطاركة مثل مجهودات العلاّمـة أوريجانوس مع هيراكليلس والأساقفة في بلاد العرب، ومثـل مجهـودات القديـس ديوناسـيوس الإسكندري مع أسقف الفيوم وغيرها.

وما يلفت نظرنا هنا **واقعتان هامتان في نظام المجامع وآدابها:**

(أ)قرارات المجامع ذات مضمون لاهوتي:

إن اهتمام المجامع الكثيرة التي انعقدت في وقت واحد في أماكن متعـددة مـن العـالم، كـان منصباً -لا على قرارات ذات صبغة دعائية مظهرية كالاتفاق علـى يـوم موحـد عـالمي لتعييـد الفصح كنوع من التضامن أو كمظهر للوحدة -بل كان الاهتمام يقوم علـى أسـاس لاهوتـي بحت، وهو أن الفصح مرتبط بسر قيامة الرب على أساس أن "فصحنا أيضـا المسيح قـد ذبـح لأجلنا" (١كو٥:٧).

وهنا في هذه الحالة تظهر المجامع أنها شـاهد جمـاعي علـى سـر الإيمـان المسيحي الأول في مواجهة حتى ما ادعاه بعض الأساقفة(٩) من أنه تقليد استلموه من أحد الرسل أن يعيِّدوا مـع اليهود في ذات يـوم عيدهـم. وهنـا يتفـوق "الإجمـاع" في شـهادات الكنـائس الرسـولية علـى الشهادة الفردية.

(ب) لمحة من آداب العلاقات بين الكنائس بعضها بالبعض في الكنيسة الأولى:

العلاقات بين الكنـائس يجـب أن تتسـم بالمحبـة وحسـن التعـامل وقـد نبـذت الكنـائس في المسكونة أية محاولات للعنف أو التهجم أو الإيذاء بين بعضها البعض. وهاك مثل من التاريخ.

---

(٩) بوليكراتس أسقف أفسس (هو وكنائس آسيا كلها تقريباً)، حيث روى عن القديس يوحنا الرسـول أنـه كـان يحتفـل بعيد الفصح في ذات يوم عيد اليهود.

+ لقد حاول "فيكتور" أسقف روما (وكان يؤيد الرأي الصحيح في مسألة تعييد الفصح)، أن يقطع حروماً كنسية على كنائس آسيا **بسبب عدم اتفاقها معه في الرأي وخروجهم على قرار المجمع (وهذا سبب وجيه للحرم الكنسي)**، إلاّ أن جميع الأساقفة الآخرين (حتى أساقفة الكنائس الغربية التي تخضع لرئاسته)، تصدُّوا له وطلبوا إليه أن:

+ **[يراعي ما هو للسلام، ويراعي وحدة ومحبة الجوار]**

ولا تزال كلماتهم موجودة (حسب تصريح يوسابيوس القيصري) وفيها توبيخ عنيف للبابا الروماني فيكتور، **لإقدامه على قطع الحروم على مخالفيه في الرأي حتى إذا كان رأيه صحيحاً مدعماً بقرار المجمع!**

ومن هؤلاء الذين تصدُّوا لأسقف روما، القديس إيرينيئوس (أسقف ليون الذي يتبع كنسياً بابا روما)، فقد توسط عن الكنائس التي اختلفت مع رأى المجامع، **ملتمساً لها العذر، مؤيداً العيش معاً في سلام ولو في ظل تعدد طرائق العبادة.** وضرب أمثلة لآباء سابقين عليه عاشوا معاً في سلام بالرغم من اختلافهم في مثل هذه الأمور:

[حلَّ السلام بينهما (بوليكاربوس وأنيسيتوس) حالاً، دون أن يتشاجرا بصدد هذا الأمر]

وهكذا لم يسمح أساقفة الكنائس الأبرار في العهد الأول، بل منعوا منعاً باتاً **أن تتحول المجامع الأسقفية إلى تكأة للانقسام والشجار وتراشق الحرومات**([10]).

٤ - تمثيل الأسقف للكنيسة في موضع ما:

يرى علماء تاريخ الكنيسة، أن أولى وأكثر المناسبات أهمية في اجتماع الأساقفة وبداية مجامعهم في العهد الأول للكنيسة، كان اختيار وتكريس أسقف جديد للكنيسة في مدينة ما. ووثيقة "التقليد الرسولي" للقديس هيبوليتس (الملقب أبوليدس) هي أول وثيقة (حوالي عام ٢١٧م) تؤكد لنا ضرورة رسامة الأسقف الجديد وسط مجمع عام يجمع أساقفة عديدين، على نمط اجتماع الرسل معاً إثر صعود المسيح لاختيار بديل ليهوذا يكون "شاهداً معنا بقيامته"

([10]) اقرأ هذا الموضوع بتفصيل أكثر في كتاب *تاريخ الكنيسة* ليوسابيوس القيصري ٥:٢٣:٢٥.

(أع١:٢٢)، فانعقاد المجامع لاختيار الأسقف الجديد وتكريسه هو بمثابة إعلان عن كفاءة الأسقف الجديد في حمل تعليم الرسل وتعليمه أن يكون "صالحاً للتعليم" (١تى٣:٢)، كما أن ثقة الأساقفة في المرشح الجديد تلقي عليهم أيضاً مسئولية ليست بقليلة لحفظ التقليد الرسولي في إيبارشية الأسقف الجديد.

متى يفقد الأسقف صفة تمثيله للمسيح ولكنيسة الله (أمثلة):

لذلك فإن وثائق نفس العصر تفيدنا أيضاً عن المحاكمات المجمعية لتنحية الأساقفة غير المستحقين. وقد كانت تنحية "**نوئيتس Noetus**" في نهاية القرن الثاني –مثلاً لهذه الوظيفة في المجامع المبكرة. كما يعتقد كثير من المؤرخين أنها تُعتبر أول حالة تنحية مجمعية لأسقف من قِبَل أساقفة آخرين هم "الشيوخ المباركون" المجتمعون في سميرنا (أزمير) لهذا الغرض. وقد كان خطأ نوئيتس يتعلق بالثالوث الأقدس وبلاهوت المسيح. أي أنه تزحزح عن أمانته لتعليم الرسل.

وقد تدخل أيضاً القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة في أواسط القرن الثالث، في مناسبات عدة لهذا الغرض عينه، أي تنحية أساقفة غير مستحقين. وهنا نلمح الدور الهام الذي تقوم به المجامع في هذا الصدد. ففي حالة **باسيليدس من مريدا، ومارتيال من ليون، واستورجا من أسبانيا**، حدث أن هؤلاء كانوا أساقفة أنكروا المسيح أثناء الاضطهاد وحاولوا أن يغتصبوا كراسيهم التي أُعفوا منها. هؤلاء اعتبرهم المجمع أنهم ليسوا بعد جديرين أن يُعتبروا أساقفة.

ويقول القديس كبريانوس في هذا المجمع:

> [إنه واضح جداً أن **مثل أولئك الرجال لا يمكنهم أن يكونوا على رأس كنيسة المسيح**، ولا يجب أن يقدموا ذبائح لله][١]

أي أنهم فقدوا صفة تمثيلهم لكنائسهم، حينما لم يعودوا يعلّمون التعليم الرسولي الأصيل، بل وجحدوا علناً أو سراً هذا الإيمان.

وأكثر الحالات شهرة وأعظمها خطراً، كانت عتيدة أن تحدث بعد خمسة عشر عاماً من

---

(١) رسالة ٦٧:٦:٣.

الواقعة الأخيرة، مع بولس السموساطي أسقف (والمتقدم على أساقفة) أنطاكية، وكان خطأ بولس أيضاً يتعلق بلاهوت المسيح.([١٢])

ومن خطاب الأساقفة الجمعي نفهم أنه طلب منهم أن يوافقوه على آرائه المخالفة لتقليد الكنيسة، طالباً أن يقلب نظام الكنيسة رأساً على عقب.([١٣])

وفي عام ٤٣١م حرم مجمع أفسس المسكوني وقطع من شركة الكنيسة صاحب أكبر رتبة ودرجة في الإكليروس على مدى التاريخ، وهو نسطور **بطريرك مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية والمتقدم في الأولية بعد بابا روما، وذلك لخطئه في التعليم عن طبيعة شخص المسيح، ورفضه تلقيب القديسة العذراء مريم والدة الإله.**

٣.بروتوكولات إقامة وانعقاد المجامع

إن أعظم مثل ونموذج يحتذى في طريقة ونظام إقامة وانعقاد المجامع هو مَثَل مجمع أورشليم، حيث نرى الرسل والقسوس يؤدون معاً دوراً مشتركاً في غاية الأهمية (سفر الأعمال١٥:٦،٢٢ ٢٣).

ويُطلق على المجمع أيضاً اسم "**سينودُس Συνοδος**" من الكلمة اليونانية التي تُنطق بهذا الشكل. وقد استعملت هذه الكلمة لتُطلق لا على اجتماع الأساقفة والقسوس معاً فقط، بل لتصف أيضاً اجتماع الكنيسة كلها للعبادة، أو جماعة المسيحين في موضع ما. فالكنيسة كلها "في موضع ما" يصلح أن يُطلق عليها اسم "مجمع –سينودُس" من حيث التئامهم واجتماعهم حول مائدة الرب والعبادة([١٤]). وأول استخدام لكلمة "سينودس" لوصف اجتماع الكنيسة كلها لإقامة الإفخارستيا، ورد في المراسيم الرسولية (من القرن الأول)([١٥]).

وهذا الاستعمال المبدئي للكلمة مرتبط أشد الارتباط بمضمون الاستعمال الخاص له

([١٢]) وبسلوك وتصرفات معينة أخرى لا تتفق ووقار المسيح والدرجة الأسقفية.

([١٣]) يوسابيوس القيصري، *تاريخ الكنيسة* ٧:٣٠:١٠.

([١٤]) يُلاحظ أن كلمة "مجمع" ما زالت تُطلق على جماعة الرهبان في دير ما.

([١٥]) المراسيم الرسولية ٥:٢٠:١٩. ويقابلها في الدسقولية (العربية) الفصل٣٠:٣٥. وترجمتها من النص اليوناني كالآتي:
[في كل يوم سبت ما عدا السبت الواحد (سبت الفصح) ابتهجوا **باجتماعكم (بسينودسكم)** للإفخارستيا]– النص عن:
G.W.H. Lamp, *A Patristic Greek Lexicon*, p 1335

كاجتماع خاص للرعاة "في موضع ما" (مجمع الإيبارشية)، أو "في إقليم ما" (وهو المجمع المقدس في إحدى الكنائس الرسولية)، أو "في المسكونة كلها" (وهو المجمع المسكوني). لذلك فاجتماعات المجامع المقدسة يجب أن تبدأ بإقامة القداس الإلهي.

ومن هذه الملاحظة الأولى نستطيع أن نتقدم للحقيقة الآتية:

إن "السينودسات – المجامع" هي أصلاً وليدة مجمع الكنيسة "في موضع ما" حيث يجتمع الأسقف (كراع) مع القسوس ومع شعبه للعبادة وإقامة الذبيحة والشهادة لموت المسيح وقيامته. ولكل من هؤلاء الأطراف الثلاثة دور محدد هام فيها. فالأساقفة لهم دور متميز، وكذا أيضاً القسوس، والشمامسة، ثم المؤمنون كلهم، كما يلي:

١ – دور الأسقف في المجامع:

واضح من سفر أعمال الرسل ومن رسائل القديس بولس الرسول أنه كان لكل كنيسة "في موضع ما" راع مسئول عن حياة الجماعة التي أُقيم عليها. وأن هؤلاء الرعاة كانوا يجتمعون معاً ويتداولون في الشهادة للحق وفي الأمور المختصة بامتداد عمل الخلاص داخل كنائسهم وفي العالم أجمع.

وكما قلنا، فإنه منذ البدء وكما يذكر لنا هيبوليتس، كان هناك تقليد تكريس الأسقف بمشاركة أساقفة عديدين([١٦]) وفي محضر وبموافقة الشعب – كله. وهذه أكمل صورة للمجمع الكنسي في شموليته.

ويشير هيبوليتس إلى أن الكنائس المتعلمة حسناً، تمارس التقليد الذي عاش حتى وقتنا الحاضر بمعونة الروح القدس الذي ينقل النعمة الكاملة إلى أولئك الذين لهم الإيمان المستقيم، حتى يعلم الذين هم على رأس الكنيسة كيف يجب أن يعلّموا ويحفظوا هذه الأمور.

ويكرر هيبوليتس في نهاية مؤلفه نفس الشيء تقريباً، ويحذر الرؤساء الذين لم يحفظوا التقليد الرسولي **"حسبما يليق"**.

وما هو هذا الذي يسميه هيبوليتس **"حسبما يليق"** ؟ إذا رجعنا إلى مضمون مؤلفه "التقليد

([١٦]) القوانين الرسولية، هيبوليتس، القانون الأول.

الرسولي" فإننا نجده يقصد: أولاً الرسامة الصحيحة للأسقف الجديد، وحضور الأساقفة الآخرين، ثم الاحتفال السليم بالإفخارستيا بواسطة الأسقف الجديد، وأخيراً وعلى وجه أخص تلاوة التمجيد الصحيح (الذوكصا) الموجَّه إلى الآب والابن والروح القدس، بما يعبِّر عن الإيمان الصحيح بالثالوث الأقدس ولاهوت المسيح(١٧).

ثم إن "**ما يليق**" هذا، يمكن أن يتعارض معه بصورة أساسية: [الأهواء التي هي مصدر كل سقطات وأخطاء الهراطقة]، أي أهواء الرعاة وجنوحهم عن: التعليم الصحيح، والسلوك المستقيم (كما في حالة نوئيتس وبولس السموساطي).

ويؤكد هيبوليتس أن ظهور الهرطقات كان سببه دائماً: [أن الرؤساء كانوا منصرفين عن التعليم الذي بحسب مشورات الرسل، بل كان يجري على ألسنتهم ما يتفق وهواهم وليس **كما يليق**](١٨).

+ **اللياقة** في السلوك والكلام والتصرف والتعامل مع الغير، داخل الكنيسة وخارجها، مع الأصغر والأكبر، هو تعليم رسولي يلتزمه رجال الله الأتقياء وأولهم الرؤساء.

٢ - دور القسوس في المجامع

ليس حضور المجمع - السينودس قاصراً على الأساقفة وحدهم. فأوريجانس وقد كان قساً، قاد مجمعين في بلاد العرب، المجمع الأول في بوسطرة (ما بين سنة ٢٣٨و٢٤٤م) حيث تحاور مع أسقفها بيرللوس حيث أقنعه بخطأ اعتقاده في لاهوت المسيح، وقد شكره الأسقف بيرللوس على ذلك، والمجمع الثاني يشير إليه المؤرخ الكنسي يوسابيوس حيث دُعي أوريجانس ليناقش الأسقف هيراكليدس في داخل كنيسته وعلناً أمام الأساقفة والقسوس والشعب المجتمعين. وغالباً كان هذا المجمع قبل سنة ٢٣٠م. وقد تسجل هذا الحوار البديع بين أوريجانس القس وبين الأسقف هيراكليد في بردية عُثر عليها في كهف بطرة جنوب القاهرة عام ١٩٤١ (كان يُستخدم مخزناً للذخيرة الخاصة بالجيش البريطاني إبان الاحتلال) وذلك

(17) **B. Botte O.S.B., *La Tradition apostolique de saint Hippolyte*, ref. L'origine des synodes, par J. E. Lanne, T. Z., 1971**

(١٨) المرجع السابق، ص ١٠٣.

ضمن مكتبة كاملة من المخطوطات البردية تحوي كتابات لأوريجانس وديديموس الإسكندري الضرير. ومن فحص العلماء لهذه المخطوطات أقروا بزمن كتابتها حوالي القرن السادس.

وتصف هذه المخطوطة في بدايتها انعقاد هذا المجمع بهذا الوصف:

[الأساقفة حاضرون وكل واحد منهم أدلى بشهادة إيمانه الذي يحفظه]

وبحسب قول أوريجانس فإنه وهو يتكلم [والكنيسة كلها حاضرة ومنصتة]. وأعلن أوريجانس للأسقف الذي كان في موضع المساءلة عن إيمانه:

[إنه لا يصح أن يكون هناك اختلاف في المعرفة الإيمانية بين كنيسة وأخرى. وأنه وهو يناقشه فإن سنده الأول هو الأسفار المقدسة أي الكتاب المقدس بعهديه.]

وكان أوريجانس يتكلم مع الأسقف بسلطان المعلم الذي يستمد تعليمه من سلطان الحق الإلهي. فكان يسائله أمام مجمع الأساقفة والقسوس وكل الشعب ويفحص إيمانه ويشرح له الحق الإلهي بما أوتي من موهبة من الله.([19])

وفي مجمع عقده القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة عام ٢٥٦م، حول المناقشة بشأن معمودية الهراطقة، كان حاضراً ٨٧ أسقفاً وبعض القسوس والشمامسة وجمع من الشعب. وفي المجمع الذي عقده نفس القديس لمناقشة موضوع المرتدين دعا بجانب الأساقفة الكهنة والمعترفين والمؤمنين الثابتين (أي ذوي الإيمان الثابت)([20]).

وفي مجمع عام ٢٦٨م الذي نطق بتنحية أسقف أنطاكية (بولس السموساطي) أدى **القس ماخيون** دوراً أساسياً. ويحدد لنا يوسابيوس القيصري أن اشتراك **القس ماخيون** في المجمع لم يكن فقط بسبب مهارته الجدلية، ولكن "**بسبب النقاوة الكاملة التي لإيمانه بالمسيح**"([21])، وهذا كان أيضاً المؤهل لمنحه درجة القسوسية.

وهكذا أيضاً كان وضع القديس إيرينيئوس الذي انتُدب–وهو بعد لم يزل قساً، من قِبَل

([19]) نص هذا الحوار منشور في: Henry Chadwick, ***Alexandrian Christianity***, Westminister Press, Philadelphia, 1954

([20]) رسائل ١١و١٣و٦٦و٧١.

([21]) *تاريخ الكنيسة* ٧: ٢٩: ٢.

شهداء ليون، للذهاب إلى روما لحضور المجمع هناك "**لأنه كان غيوراً على عهد المسيح**"([٣٢]).

وهذا يعني أن القسوس كثيراً ما كان لهم دور بارز في المجامع. وفي الكنيسة في "موضع ما" يُعتبر القس مشيراً ومساعداً للأسقف. وهـذا مـا يتضح من صلاة قسمة الكاهن في تقليد الرسل لهيبوليتس:

[الله أبو ربنا يسوع المسيح، اطّلع على عبدك هـذا، وامنحه روح النعمة **والمشورة التي للقسوسية**، حتى يساعد ويحكم شعبك بنقاوة قلب([٢٣]) ليتمجد الله باستقامة بابنه في الروح القدس.]

٣ – حضور الشمامسة في المجامع:

أما حضور الشمامسة فهذا أمر مفروغ منه تاريخياً، فحضور الشماس أثناسيوس مع باباه القديس ألكسندروس في مجمع عام ٣٢٥م، أظهر لنا عظم قدر الشماسية ودورها التعليمي الرائد في حفظ تراث الكنيسة. وقد كان للشماس أثناسيوس دوره الأساسي في الدفاع عن الإيمان وصياغة قانون الإيمان النيقاوي الذي خرج به المجمع في قراره الختامي.

٤ – دور الشعب في انعقاد المجامع (راجع فصل "الدعوة الرسولية لشعب الله"):

إن أعضاء الشعب البارزين كثيراً ما كان **حضورهم فعالاً نشطاً في المناقشات التمهيدية التي كانت تجرى للتمهيد لإصدار القرار الكنسي في مجامع الأساقفة، المكانية منها على الأخص، أو أثناء صياغة ومراجعة النصوص التي ستتبناها المجامع** ([٢٤]).

وهذا الدور– كما قلنا– مستمد أساساً من دور الشعب في إقامة المجمع الإفخارستي أصلاً. وأمامنا الأمثلة التاريخية:

• ففي حوار أوريجانس مع هيراكليد في مجمع بلاد العرب، نلاحظ أنه ليس فقط الأساقفة والقسوس والشمامسة هم الذين حضروا المجمع، بل **والشعب أيضاً كان له حضور ودور في**

([٢٢]) المرجع السابق٥: ٤: ٢.

([23]) Ed. Botte, op. cit., pp. 21-22.

([٢٤]) راجع الفصل الثالث الخاص بدور شعب الله في الكنيسة، في القسم الأول من هذا البحث الخاص بالشعب اللاوس.

قرارات المجامع.

+ فإن أوريجانس يصرُّ على أن نتائج الحوار مع هيراكليدس التي يتفق عليها جميع المشاركين من الإكليروس، يجب أن تكون موضع اتفاق واضح من جانب الكل: [فإن كنتم متفقين على هذه النقاط، فإنها ستصبح أيضاً كذلك **بالموافقة العلنية للشعب** أي أنها ستصير من الآن فصاعداً قواعد مُلزمة لها قوة القانون وثابتة ثبوتاً قطعياً](٢٥). وقبل هذا القرار قال أوريجانس: [**ها هي الكنيسة حاضرة تسمع**]، وأنه [لا يجب أن يكون اختلاف بين كنيسة وأخرى]، وأننا [نكتب دائماً لنطلب الإمضاء، إمضاء الأسقف والمتهمين، وأن يكون هذا الإمضاء **في حضور كل الشعب**، حتى لا يكون هناك فيما بعد شقاق أو تساؤل حول هذا الموضوع](٢٦).

+ وحينما يأتي أوريجانس إلى اقتراح رأيه الخاص، فإنه يفعل ذلك ليس فقط بطلب الإذن من الله ومن الأساقفة والكهنة، بل أيضاً ومن الشعب الحاضر. بل إن الاتفاق الذي ينبغي الوصول إليه يجب أن يتضمن [**موافقة الشعب العلنية**] - أي موافقتهم بكل الوعي الروحي والإيماني الصادق.

• ولكن سلوكِ أوريجانس لم يكن فردياً ولا استثنائياً لأنه كان في حضور الأساقفة كلهم، فهو بالتأكيد يعبِّر عن تقليد سار في عصره وكان معتبراً أنه **سلوك طبيعي معمول به في سائر الكنائس**. فالخطاب المجمعي الذي بلَّغ به مجمع أنطاكية المنعقد في سنة ٢٦٨م روما والإسكندرية عن تنحية رئيس الأساقفة بولس السموساطي يتوجه إلى : [كل أولئك الذين في المسكونة وشركائنا في الخدمة، إلى الأساقفة والكهنة والشمامسة وإلى **كل الكنيسة الجامعة التي تحت السماء**]. وهذا الخطاب صادر باسم: [الكهنة والشمامسة **وكنيسة الله المشاركين في المجمع**](٢٧).

• ونموذج اجتماع البابا الإسكندري ديونيسيوس الكبير واضح في هذا المجال. فمعالجته لهرطقة أسقف أرسينوي تمت من خلال **حوار هادئ في حضرة الشعب كله**، حيث استطاع

(25) Origene, Entretien (n.27), p. 68, J.E. Lanne, op. cit. p. 216.
(26) ibid. p. 54 et 62.

(٢٧) يوسابيوس القيصري، *تاريخ الكنيسة*، ٧: ٣

البابا باستقامة إيمانه واتضاع مسلكه وطول باعه في الحوار أن يعيد كل الكنيسة إلى الإيمان الصحيح.([٢٨])

•ويذكر تاريخ الكنيسة **دور أراخنة الشعب** في مواجهة تجاوزات البابا كيرلس الثالث (في القرن الثالث عشر)، واشتراكهم مع الأساقفة في المجمع الذي عُقد في القلعة في شهر توت سنة ٩٤٧ للشهداء سنة ١٢٣٨م لإيقاف هذه التجاوزات. وتسجل اشتراك الشعب مع الأساقفة في هذا المجمع المقدس في مقدمة قرارات المجمع هكذا:

[...حضر الأب البطريرك أنبا كيرلص بطريرك المدينة العظمى الإسكندرية وما معها ومن ثبت خطه في هذا المسطور **من الأساقفة والقسوس ومشايخ الرهبان والرؤساء الشيوخ الأراخنة**. وتقرر في أمر البيعة المقدسة الرسولية القبطية بكرسي الإسكندرية أن يجري الأمر فيه على ما يأتي بيانه:]([٢٩]).

• ومن بين أراخنة الشعب الذين حضروا المجمع وكان له دور أساسي في قرارات المجمع، الشيخ الصفيّ ابن العسال أحد علماء الكنيسة الذين تركوا لنا تراثاً ثميناً من الكتابات اللاهوتية والقانونية الكنسية في القرن الثالث عشر. وقد عُيِّن كاتماً لسر المجمع، أي سكرتير المجمع المقدس، وهو من أعضاء شعب الله غير المتقلدين الوظائف الكهنوتية. وقد وضع هذا المجمع ضمن ما وضعه من قوانين: [عَقْد مجمع إكليريكي عام سنوياً، في الأسبوع الثالث بعد العنصرة، يضم الأساقفة، **وفضلاء الشعب**]([٣٠])

٤.أسلوب انعقاد المجامع وإدارة المناقشات فيها:

من استقراء العلماء([٣١]) لمحاضر جلسات المجامع المسكونية والمكانية، استنبطوا معلومات هامة عن الطريقة التي كانت تُدار بها المناقشات. فقد لاحظوا:

([٢٨]) ايريس حبيب المصري، ***قصة الكنيسة القبطية***، جزء أول، ص ٨٤-٨٥.

([٢٩]) ***مخطوطة القوانين/النوموكانون***، قوانين مجمع القلعة، ورقة ٣٦١؛ ايريس حبيب المصرى، ***قصة الكنيسة القبطية***، الكتاب الثالث، ص ٢١٤، ٢١٥.

([٣٠]) وهيب عطاالله (نيافة أنبا إغريغوريوس حالياً)، ***وظيفة الأسقف***، مجلة مدارس الأحد ٩:٢:٢٣ (فبراير ١٩٤٩)

([31]) **John Zizioulas, *The Developement of Conciliar Structures*, Councils, WCC, Geneva, 1968, p.43**

١.أن المناقشات كانت تتم على نسق المناقشات في مجلس السناتو (مجلس الشيوخ في الدولة الرومانية). فقد كان الأساقفة يجلسون بنفس الوضع الذي كان يجلس به الشيوخ في اجتماعات السناتو.

٢.والمناقشات كانت تُدار بنفس الطريقة التي تُدار بها في مجلس الشيوخ الروماني.

٣.ورئيس الجلسة كان هو الأسقف المتقدم بين الأساقفة، أو أكبر الأساقفة سناً كما في تقليد كنائس شمال أفريقيا.

٤.ثم يبدأ الأساقفة يدلون بقضاياهم وآرائهم، الأسقف تلو الآخر، وآخر الكل يتكلم الأسقف الرئيس. ثم تؤخذ الأصوات.

٥.وكل هذا في إطار التوجيه الذي وجّهه القديس كيريانوس الأسقف المتقدم بين أساقفة منطقة شمال أفريقيا للأساقفة المجتمعين تحت رئاسته **بأن يُبدي كل أسقف رأيه بمنتهى الحرية والمسئولية دون التأثر برأي الأسقف المتقدم إن سلباً أو إيجاباً إلاَّ في حدود الحق وسلامة الضمير، أي يكون هدف المتكلم النطق بالحق لا غير:**

> **[... فليُبْدِ كل منا رأيه على انفراد في هذه القضية دون أن نحكم على من لا يتفق معنا أو ننزع عنه حق الشركة. فإنه ليس بيننا من يجعل نفسه أسقف الأساقفة (يقصد بابا روما الذي كان يدَّعي لنفسه هذا اللقب) أو يحاول أن يُرغم رفقاءه بالإكراه على الطاعة له. فلكل أسقف أن يستعمل حرية رأيه وسلطته وليس له أن يدين الغير...]** —سينوديكون المجمع الأفريقي(٣٢).

(٣٢) كتاب "*الشرع الكنسي*"، صفحة ٧٥٧

حدود سلطة المجامع المقدسة:

١. لم تكن المجامع في حد ذاتها، ومنذ الكنيسة الأولى، مؤسسات مستقلة فوق ولا أعلى من الكنائس(٣٣) في موضع ما، ولكنها كانت التعبير عن الحق الكنسي والتعليم الصحيح اللذين يحملهما كل أسقف حاضر ممثلاً داخل المجمع لكنيسته التي في هذا الموضع أو ذاك. لذلك كان قبول قرارات المجامع من شعب الكنائس الممثّلة في المجمع هو العامل الحاسم والامتحان الصعب الذي يعطي الشرعية لأي مجمع من المجامع. وهذا القبول كان يقوم على أساس صحة هذه القرارات، ومطابقتها للتقليد المسلّم من الرسل، والمشروح من آباء الكنيسة، والمُقَنَّن في المجامع وقوانين الكنيسة.

٢. **وتاريخ الكنيسة يُظهر كيف أن معركة إعلان الحق الكنسي والدفاع عن الإيمان لم تكن سهلة، بل كانت شديدة وصعبة للغاية، كم تألم فيها قديسون، وعانوا وحُكم عليهم ظلماً، ونُفوا وعُذّبوا، وربما ماتوا وهم مظلومون من مجامع لم تقبل الكنائس قراراتها لمجانبتها الحق الإلهي؛** القديس أثناسيوس حُكم عليه في مجمع صور عام ٣٣٥م، والقديس يوحنا ذهبي الفم كذلك حُكم عليه في مجمع السنديانة عام ٤٠٣م ونُفي، والقديس ذيوسقوروس حُكم عليه في مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م ونُفي في جزيرة غاغرا. ولكن في النهاية، ومن خلال كل هؤلاء وكل ذلك، حُفظ الحق الكنسي، ووصل إلينا طاهراً بلا عيب في أواخر الأيام.

٣. لكن للمجامع المقدسة دوراً آخرَ **يعلو على سلطة الأساقفة في مواضعهم**، باعتبار المجمع بمثابة **محكمة استئناف** لأحكام الحرم والعزل التي يمارسها الأسقف على الإكليروس والشعب في إيبارشيته. فقد أعطت القوانين الكنسية للمجامع الإقليمية حق نقض أو تثبيت أحكام الأساقفة ضد كهنتهم أو أفراد شعبهم.(٣٤)

---

(33) **J . D. Zizioulis, *Episkopé and Episkopos in the Early Church,* Episkopé and episcopate in ecumenical perspective, Faith and Order paper, 102, WCC, Geneva 1980, p.37.**

(٣٤) راجع أعمال مجمع سرديكا على القانون رقم ١٤(سنة ٣٤٤)، القانون ٢٠ من قوانين مجمع قرطاجنة، القانون الخامس من قوانين مجمع نيقية المسكوني الذي يحتم عقد المجمع المقدس مرتين في العام ويجعل من بين مسئوليات هذا المجمع إعادة فحص القضايا التي حكم بها الأساقفة على كهنة أو أعضاء من الشعب في إيبارشياتهم.

ملخص:

من هذه الصور المشرقة الصادقة عن المجامع المقدسة والتي ورثتها الكنيسة نستطيع أن نخرج بملخص واف كما يلي:

١. **إن المجامع أو السينودسات هي امتداد لمجمع الكنيسة الأصلي** الأسقف والقسوس والشمامسة والشعب مجتمعين حول مذبح الله بخوف ورعدة يشهدون لموت المسيح وقيامته.

٢. **إن المجامع أو السينودسات كانت تنعقد وتصدر قراراتها بالاتفاق والمشاركة العلنية والفعلية** والحضور الحقيقي من كل أعضاء الكنيسة باعتبار الكنيسة كلها مجمعاً وهو جسد المسيح الذي به يعظ المسيح للعالم.

٣. **إن الأسقف وهو يحضر المجمع المنعقد، إنما يأتي باعتباره الممثل الأول للكنيسة "في موضع ما"** التي أقيم راعياً لها. وتمثيله لا ينصبُّ على أفراد الرعية وأشخاصهم أو ميولهم وأفكارهم واحتياجاتهم الجسدية، بل هو يمثل إيمان وحياة الرسل المتسلسل عبر الأجيال والمسلَّم للأسقف أصلاً من خلال الكنيسة، فهو يمثل سر المسيح الممنوح للمؤمنين في المعمودية، وهو أتى ليمثله وسط شركة الكنائس المجتمعة، التي حضرت بدورها لتجدد إعلان سر المسيح للعالم كله.

٤. **إن المجمع أو السينودس لم يكن اجتماعاً على نمط البرلمانات في العالم للمناقشة والاقتراع حول القرارات**. فليس الحق الذي في الكنيسة حقاً بسبب إجماع الآراء عليه. فالحق حقٌّ، لا يُقترع عليه ولا تؤخذ عليه الأصوات، ولكن يُعترف به فقط ويُشهد له، في جلال ورهبة عظيمين.

لذلك، فإن كان مبدأ "**الإجماع**" اعتُبر اعترافاً وشهادة للحق في كنيسة الرسل وكنيسة عصر الآباء الرسوليين "رأى الروح القدس ونحن" (أع١٥: ٢٨)، إلا أنه في العصور اللاحقة تغيَّر إلى المبدأ القانوني الروماني "**الأغلبية**". ومع ذلك فقد كُسر هذا المبدأ أحياناً حيث كان الحق في الكنيسة يبقى على أفواه "**الأقلية**" دون "الأغلبية" وفي مواجهتها، كما في حالة القديس أثناسيوس في مواجهة "العالم كله"، والقديس ديوسقوروس في مواجهة "أساقفة مجمع خلقيدونية"، والقديس يوحنا ذهبي الفم وغيرهم من آباء الكنيسة المعترفين، أو مع حفنة قليلة من الرجال الشجعان الذين وقفوا وحدهم إلى جانب الحق، ولكن للأسف أحياناً في مواجهة بطاركة وأساقفة ومجامع.

٥. **إن اجتماع المجامع (بكل رتب وطغمات كنيسة الله) كشاهدين لسر المسيح، هو في حد ذاته جزء من خدمة الكرازة بالإنجيل في العالم.** لكونه آية على الوحدة والاكتمال اللذين حققهما المسيح بموته وقيامته من الأموات. والمجمع هنا يعتبر امتداداً للقداس الذي فيه يبلغ تمجيد الله إلى قمته في سر عشاء الرب حتى يصير المؤمنون المتناولون جسداً واحداً وروحاً واحداً. وبهذا فإن العدد ١٢ من الأصحاح ١٥ في سفر أعمال الرسل يتضح معناه: "فسكت الجمهور كله (الذي كان حاضراً أول مجمع كنسي في تاريخ الكنيسة). وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم". فالاجتماع يعلن عمل الروح القدس ويشهد للشركة التي بين الكنائس، التي تؤول في النهاية إلى أن "يكونوا هم أيضاً واحداً فينا (الآب والابن) ليؤمن العالم أنك أرسلتني" (يو١٧: ٢١).

٦. **إن المجامع المقدسة هي أفضل وأنسب مكان لعلاج الانقسامات ولتضميد جروح الانشقاقات**، وذلك من خلال الحوار الحر والصريح بين كافة الأطراف، لإعطاء الفرصة للجميع لتوضيح كل طرف لمفاهيمه، وبالتالي لإزالة كل سوء فهم محتمل أن يكون سبباً للانقسام أو الشقاق.

٧. **إن أسلوب المناقشات في المجامع الأسقفية المقدسة يتسم بالحوار الحر** حيث يعرض كل أسقف رأيه والحق الذي يعتنقه دون أي تأثر أو مجاملة لرئيس المجمع، على أن يكون الرأي الحق هو الذي يتفق عليه المجتمعون ولو كان يختلف عن رأي رئيس الاجتماع.

٨. إن المجامع المقدسة ليست كنيسة أعلى أو مؤسسة مفروضة على الكنائس في مواضعها، لكن قرارات المجامع تستمد شرعيتها وسلطانها من قبول الكنائس لها ومطابقتها للتقليد الكنسي. أما في حالات استئناف قضايا الحرم والعزل التي أصدرها الأسقف ضد كهنته أو أعضاء شعبه في إيبارشيته، فإن سلطان المجامع المقدسة يعلو على سلطة الأساقفة في مواضعهم.

سابعاً – الأسقف المتقدم والأول بين الأساقفة

أسقف مدينة الكرسي الرسولي

البطريرك هو "أسقف مدينة كرسيه":

هذا هو الوصف المبسط والأوَّلي الذي تصف به المدوَّنات القديمة المختصة بترتيب نظام الكهنوت رتبة البطريرك الإسكندري (المجموع الصفوي لابن العسال –ص٢٩). وهو يعني أول ما يعني أنه أولاً **أسقف المدينة العظمى المحُبة للمسيح "الإسكندرية"**، مقر كرسي الرسول الإنجيلي الطاهر القديس مرقس كاروز الديار المصرية، والمدينة التي استشهد فيها. وهو ما اعترف به مجمع نيقية المسكوني (عام ٣٢٥م.) وسجله في القانون رقم ٦ من مجموعة قوانينه العشرين:

القانون ٦ من مجمع نيقيه:

[فلتحفظ العادات القديمة في مصر وليبيا والمدن الخمس في أن **لأسقف الإسكندرية الرئاسة عليها كلها**]

لذلك فالإسم الكنسي الرسمي التقليدي للبابا البطريرك هو: "**صاحب الغبطة والقداسة بابا وبطريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية وكل أرض مصر وأورشليم المدينة المقدسة، والنوبة، والحبشة (إثيوبيا)، والخمس المدن الغربية، وسائر أقاليم الكرازة المرقسية**"(1). وأُضيف عليه أخيراً "بلاد المهجر وأفريقيا". والجزء الأول من اللقب هو تعريف اقتران أسقف الإسكندرية بإيبارشيته التي قُسم عليها: "**بابا وبطريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية**". وهو الإسم الذي يُستعمل في كل الصلوات الطقسية والليتورجية،

---

(1) كما سجله العالم الإنجليزي الرحالة "ألفريد ج. بطلر **Alfred J. Butler** " في كتابه: ***"Ancient Coptic Churches"*** (في جزئين) عام ١٨٨٤م. وقد تُرجم ونشر بالعربية ضمن مجموعة الألف كتاب الثاني في الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٣، الجزء الثاني، صفحة ٢٣٥،٢٣٦. وقد زار مصر في الثمانينات من القرن التاسع عشر. واستقى معلوماته من كافة رجال الكنيسة القبطية وعلى رأسهم البابا المعاصر في ذلك الوقت (البابا كيرلس الخامس) والكاهن العالم القمص فيلوثاوس ابراهيم كاهن الكنيسة المرقسية والعالم القبطي عبد المسيح سميكة.

مثل الخولاجي المقدس وكتاب صلوات الرسامات وغيرهما.

ثم بحسب القانون الرسولي رقم٢٥ (أنظر الفصل: خامساً)، وبحسب القانون السادس من مجمع نيقية المسكوني، فإن أسقف مدينة الإسكندرية العظمي هو الأول والمتقدم بين (متساوين) أساقفة مصر وليبيا والنوبة والخمس المدن الغربية.

وكلمة "**بطريرك**" هي النطق العربي للكلمة اليونانية باترياركشيس **PATRIARCHIS** ومعناها كما ورد في كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة - تأليف العالم القبطي في القرن الحادي عشر **يوحنا بن زكريا المعروف بابن السباع** كما يلي:

[معناها الأب الرئيس أو الأب الأول أو رئيس الرؤساء أو أب الآباء أو أب لكل الأمة].

إذن، فهي ليست رتبة مستقلة بل اسم ولقب رتبة **أسقف المدينة العظمى أو مدينة الكرسي الرسولي**.

وبحسب هذا الوضع، أي كون البطريرك هو أولاً أسقف على مدينة الإسكندرية، فيقال في كتب قوانين الكنيسة إنه **لا يجوز له أن "يقيم أسقفاً للإسكندرية"** - بسبب وجوده في القاهرة بعيداً عن الإسكندرية. ولذلك جرت العادة منذ انتقال مقر الحاكم السياسي من الإسكندرية إلي القاهرة أن يعين البطريرك "وكيلاً" له في الإسكندرية بدرجة "إيغومانس" متحاشياً حتى إيفاد "أسقف" منعاً من اللبس ومن شبهة وجود أسقفين في إيبارشية واحدة. بل كان آباؤنا البطاركة يرسمون أحياناً أسقفاً للقاهرة (ومن بين الأسماء المشهورة الأنبا بولس البوشي أسقف مصر في القرن الثالث عشر) ليقوم بأعمال الرعاية للعاصمة، بينما يتفرغ البابا البطريرك لرعاية مدينة كرسيه "الإسكندرية" بجانب مهامه الأخرى كرئيس ومتقدم بين الأساقفة.

شروط وكفاءات البابا البطريرك:

إن تحديد واستيفاء شروط وكفاءات البابا البطريرك في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أمر في منتهى الخطورة، ذلك لأن شخصية بابا الإسكندرية، حسبما نقرأ في تاريخ الكنيسة، كانت في معظم الأحوال ذات تأثير روحي خاص عالي المقدار على مجريات الكنيسة في عصره بل وعلى الأقباط عموماً، بل وأيضاً على الوطن كله. بحيث أن أحداث الكنيسة القبطية كانت دائماً تتمركز وتستمد دفعاتها ، إن إيجاباً أو سلباً، من شخصية البابا، حسب درجة

روحانية البابا ومدى علمه وقوة حكمته وسلامة أحكامه وحسن تدبيره ومدى تمسكه بالقوانين والتقاليد الكنسية القبطية العريقة.

ولهذا السبب كانت عملية اختيار بابوات الإسكندرية تشغل حيزاً كبيراً في كتب التاريخ الكنسي، وكثيراً ما كانت تشغل أيضاً فترات زمنية طويلة قد تمتد في بعض الأحوال إلى عشرات السنين!

لكن هناك، بلا شك، مبادئ عامة وثوابت متفق عليها أجملتها الكتب القانونية الكنسية في باب اختيار البابا البطريرك. نعرضها هنا باختصار.

فشروط وكفاءات البابا الإسكندري هي نفسها شروط الأسقف، كما ورد ذلك في كافة الكتب الكنسية المختصة. ولكن يُضاف عليها بعض الصفات الواجب توفرها في من سيكون في موقع المركز والبؤرة للوحدة في الكنيسة (وقد نقلناها عن المجموع الصفوي - ص٢٨، ٢٩):

١. **أن يكون قادراً وأهلاً لحفظ الإيمان بأصوله المستقرة وأقوال الرسل وقرارات المجامع،** ليكون (الإيمان) محروساً من الخلل، والأمة ممنوعة من الزلل.

٢. **تنفيذ الأحكام بالحق وقطع المنازعات** (أي صحة إجراءات وعدالة المحاكمات الكنسية).

٣. **تقدير العطاء للمستحقين من غير إسراف ولا تقصير** (أي الحكمة في تدبير أموال الكنيسة والصرف علي ما يستحق الصرف، ومنع ما لا يستحق الصرف).

٤. **تقليد الرئاسات لمستحقيها** (أي الحكمة والتدبير السليم في رسامات الأساقفة والكهنة)، وأموال الصدقات للكفاة الأمناء (أي حسن اختيار المؤتمنين على تبرعات المؤمنين للكنيسة).

٥. **أن يباشر الأمور العامة، ويأخذ القرار في الأحوال الخاصة بنفسه، ولا يكتفي بالتفويض في كل الأمور.** (أي لا يوكل شئون الكنيسة إلي يد أحد مساعديه أو خدمه أو حتى إلى مجموعة من المحيطين...الخ بل يفحص بنفسه الأمور العامة ويتخذ القرارات بمنتهى الإحساس بالمسئولية الشخصية)([٢]).

([٢]) ما بين القوسين () تعليق من الباحث.

٦. وينبغي أن يتشاور مع أهل العلم في الأحكام وأهل الرأي في النقض والإبرام.

(أي الركون إلي أهل العلم والرأي من الشعب ذوي المناصب المدنية العليا أو الأخصائيين في العلوم المدنية والاجتماعية والسياسية ليأخذ مشورتهم في مناحي الصواب واللياقة في التصرف والسلوك والقول وما أشبه تجاه القضايا الدينية وغير الدينية، أي معتمداً على أهل الخبرة والعلم والحكمة المشهود لهم). (انتهى الاقتباس من المجموع الصفوي)

إذن، فللشعب (بحسب قوانين الكنيسة) دور في الشركة والمشاركة في اتخاذ القرار الكنسي، وعلى الأخص فيما يختص بالمعاملات المالية للكنيسة وبالعلاقة مع السلطة والهيئات المدنية. وهذا هو الوضع السائد في الكنيسة منذ البدء والواجب استمراره على الأخص في مجتمعاتنا الحديثة وفي نظام الدولة الحديث، الذي لم يَعُد فيه مركز البطريرك مثل مركزه في نظم الحكم القديمة قبل الاستقلال (مثل حكم الدولة العثمانية قديماً)، التي جعلت من البطريرك في وقت واحد رئيساً دينياً ومدنياً وقاضياً في الأمور الدينية والمدنية للشعب القبطي، مما أفقد هذا المركز الجليل روعته وبهاءه الدينيين، وفي الوقت نفسه آذى الكنيسة وغيَّر من مفهوم ونظام رئاسة الكنيسة، وكأنها "مِلَّة" منغلقة على نفسها داخل الوطن.

فالبابا البطريرك، في وضعه الكنسي الصحيح، وفي نظام الدولة الحديثة القائم على دستور يساوي بين المواطنين جميعاً في الحقوق والواجبات والحريات والتقاضي والأحكام والسفر...الخ، والقائم علي الديمقراطية الاجتماعية والسياسية بأحزابها المتعددة، وحرية إبداء الآراء السياسية، وعدم التفرقة بين المواطنين بسبب الدين أو غيره، في مثل هذا النظام يعود مركز البطريرك إلي موقعه الكنسي الصحيح والمؤثر داخل الكنيسة جسد المسيح، مركزاً للوحدة الروحية بين المؤمنين، ومبشراً بالخيرات السماوية، وكارزاً ومعلِّماً بإنجيل المسيح وتعليم الرسل وعقيدة الآباء، داعياً المؤمنين للالتزام بوصايا الإنجيل والفضائل المسيحية، بالإقناع والترغيب مستنداً على "برهان الروح وقوة الله" (١كو ٢: ٤و٥)، تاركاً لشعبه أن يحوِّلوا التعليم الروحي الكنسي الذي تعلَّموه داخل الكنيسة إلى طاقة وطنية بناءة، كلٌّ في موقعه داخل المجتمع، فيمارسوا حقوقهم وواجباتهم الوطنية والسياسية وإبداء آرائهم في هذه المجالات بمنتهى الأمانة والصدق والحرية، نائياً بنفسه وبالكنيسة (أي كل مصاف الإكليروس) عن الانخراط في تداول وتناول الشئون المدنية والسياسية من بعيد أو من قريب. أي، باختصار، تعود الكنيسة أيقونة رائعة لجسد المسيح: شعب الله وعلى رأسه أسقف يعلن سر وحدة الكنيسة مع رأسها الرب يسوع المسيح (التي هي الصورة والمثال لوحدة البشرية

الجديدة المرتجاة)، وتكون صوتاً لمن لا صوت لهم وشفيعاً لمن ليس لهم أحد يذكرهم، منادية في كل المواقف وداعية إلى المحبة والسلام والعدالة بين كل الشعوب والأمم.

أما خارج الكنيسة فهو يقف أمام المجتمع المدني (هو والآباء الأساقفة وكل مصاف الإكليروس)، **بالقدوة أولاً وبالخطاب الهادئ الوديع ثانياً**، رمزاً ومثلاً أعلى روحياً بين كافة المواطنين، مثابراً على الدعوة إلى السلام والمحبة والعدل وكل القيم الإنسانية السامية التي تنادي بها المسيحية، مشاركاً الوطن في كل اهتماماته وجهاده وآماله وتطلعاته بالصلاة والتشجيع والبذل والتضحية على قدر ما تستطيع الكنيسة أن تُعطي وتبذل من أجل الوطن، دون أن تتخلى عن مبادئ الإنجيل وتعليم الآباء وتقليد الكنيسة الأرثوذكسية بخصوص علاقة الكنيسة بالدولة والسياسة.

وفي مواضع أخرى من هذا البحث يجد القارئ شَرحاً لوضع المؤسسات الشعبية الكنسية ودورها المساعد للإكليروس بحسب تقليد الكنيسة في القسم الخاص بالشعب من هذا البحث.

شروط طاعة وتعظيم وإكرام البابا البطريرك:

ويتبع المجموع الصفوي قانونه السالف هذا بقوله:

[وإذا دام قائماً بما يلزمه، مستمرة شروطه، لزمهم طاعته وتعظيمه وإكرامه وحقوقه]

كيفية اختيار البابا البطريرك:

يقول كتاب "*الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة*":

[يجتمع المطارنة والأساقفة والكهنة والأراخنة والرؤساء، ويقدموا الصلاة لله بالصوم والتضرع والتقديس عشية كل يوم أحد وغيره، لكي يرشدهم إلي انتخاب من يصلح لهذه الوظيفة لينظر في أحوالهم الوقتية، (يلاحظ أن هذا الواجب كان هو السائد أيام الحكم العثماني حينما كان المسيحيون في الشرق معتبرين مِلّة مستقلة عن الوطن)، وأحوالهم المستقبلة، ويرويهم من تعاليمه وإرشاداته الإلهية. فيحوّلوا نظرهم إلي كل أهل العلم والعمل والدين والتدبير والسياسة. وبانتخاب الإله واختياره الذي قَبِل تضرعاتهم كما قَبِل من لعازر الدمشقي عبد إبراهيم سؤاله في انتخاب زوجة لإسحاق ابن سيده، يرشدهم إلي من هو قادر على صدٍّ هرطقة ومغيِّري الأمانة وأرباب البدع بعلمه وردٍّ سهام إبليس وجنوده أعداء الكنيسة

بطهارته وقداسته.

وبعد الاتفاق عليه من الأراخنة والرؤساء وأعيان البلاد باتفاقهم مع المطارنة والأساقفة الذين لهم رأي في ذلك ولهم تقدمته ووضع اليد عليه كما وضع هو اليد عليهم، بعد ذلك يأتون به مقيداً إلي هيكل الله. فإن كان راهباً فبالإسكيم، وإلا رهبنوه بالإسكيم أولاً. وإن كان شماساً فليقدموه قسيساً، وإن كان قسيساً فليقدموه إلي رتبة إيغومانس. وإن كان إيغومانساً فيأخذوه إلي ثغر الإسكندرية لوجود كرسي البطريركية ووجود الملك الأرضي هناك أيضاً (طبعاً كان ذلك قبل انتقال مقر الحكم إلي القاهرة) ... ثم يلبسونه حلة الملك السماوي ويوصلوه إلي الكنيسة الجامعة بالإسكندرية بملاقاة أهل الثغر بالفرح والتهليل والابتهاج، فيقيلونه...الخ.]

هذه صورة للإجراءات التي اعتاد الأقباط اتخاذها في انتخاب بطريركهم:

١.اجتماع الإكليروس مع الشعب بالصلاة والصوم والتضرع.

٢.يبدءون في التفتيش عن أهل العلم والدين والتدبير والسياسة (يقصد الذين يعرفون كيف يسوسون الكنيسة، وليس "السياسة" بمعناها العصري **Politics**).

٣.حينما يتم الاتفاق على شخص المرشح من جانب الشعب ممثلاً في الأراخنة والرؤساء وأعيان البلاد، ويكون هذا بالاتفاق مع الآباء الأساقفة والمطارنة، يأتون به مُقيَّداً إلى هيكل الله. حيث أن المرشح من المفترض أن يكون راهباً يسكن البراري، وعادة يكون قد حاول الاستعفاء والهروب من هذا المنصب، وهذه كانت عادة كل القديسين أن يهربوا من مناصب الكرامة والرئاسة (أي لا يسعى إلى اعتلاء المنصب بسعاياته أو بسعايات الآخرين من أنصاره).

٤.كما تذكر وثائق أخري أن المسئولين عن الانتخاب كانوا **"يسألون شيوخ البرية"** أي الآباء الروحيين الكبار في الأديرة لكي يرشدوهم عمن يصلح لهذه الدرجة الكهنوتية المقدسة. لأن أقدر من يستطيع أن يعرف أصحاب المواهب من الرهبان هم آباؤهم الروحيون ومدبروهم، لذلك جري التقليد على التوجه أولاً إلى هؤلاء الآباء الشيوخ. فالعملية هي، بحق، عملية "تفتيش" و "بحث" و "استرشاد **بمشورة الآباء الشيوخ**" مقترنة بالصلوات والصوم والتضرع إلى الله عمن هو مستحق وجدير بهذه الدرجة الجليلة.

كما نقدم صورة أخرى من صلوات الرسامة نقلاً عن مخطوطة القرن الثالث عشر

المطبوعة في روميه. حيث يلقي الأرشيدياكون يوم الرسامة خطاباً "جهيراً" أي بصوت عال قائلاً لشعب الإسكندرية المجتمع لإكمال رسامة أسقفهم الجديد:

[أيها الذين هم من **مدينة الإسكندرية العظمي المُحبة للمسيح وتُخُمها**. لكونكم وادِّين الآباء جداً و لم تستطيعوا الصبر على مناحة اليتم، بل صنعتم بنشاط هذا الرأي والاتفاق، وهو أن تطلبوا لكم أباً، وحرصتم على ذلك، ولهذا إذ اجتمع الأساقفة الجزيل برُّهم والقسوس الزائدي العبادة لله والشمامسة المحبين لله جداً، ومعهم الرهبان الجزيلي الورع رؤساء الأديرة، وكل الشعب المحب المسيح جداً الذي من مدينة الإسكندرية العظمي وكل كورة مصر، الذين باتفاق إذ بذلوا في هذا الأمر غاية ما يمكن من الحرص، واعتمدوا التفتيش في كل مكان ليجدوا المستحق الذي يجب أن يرعانا ويُسكننا علي مرعي صالح ومكان خصيب، ولهذا تضرعنا بتوسل إلي الإله الناظر الكل أن يرينا مَنْ يجب أن يكون مستحقاً لهذه الرتبة وملائماً لها، فألهمنا أن نبصر (فلان) الجزيل العبادة لله القس الراهب الزائد الورع من الدير البهي (الفلاني) لنجعله راعياً عظيماً ورئيس أساقفة جالساً بالخلافة في كرسي الإنجيلي الباهر القديس مرقس الناطق بالإلهيات والرسول لتثبيت وإصلاح كنائس الله المقدسة ...)(٣).

وهذه الإجراءات التي تعطي الروح القدس حقاً الفرصة لاختيار البابا الجديد، أحيانا كثيرة روعيت، ولكن للأسف كُسرت أحياناً أخرى.

وقد شاهدنا وتتبعنا بأفئدتنا وقلوبنا مسار انتخابات البطريركية في ثلاث دورات انتخابية على مدي الخمسين عاماً الماضية. وكانت العاقبة:

- إما بركة ونعمة روحية للرئيس المنتخب ولكل الكنيسة والشعب إذا كانت إجراءات الترشيح والانتخاب والرسامة بوضع الأيادي تتم وتسير بحسب مشيئة الله ورضا الشعب والمطابقة مع **المراسيم الرسولية والقوانين الكنسية**.

- وإما كانت تسود الاضطرابات والقلاقل في الكنيسة في حالة الجنوح عن **أساسيات القانون الإلهي في هذه الإجراءات**.

---

(٣) الإفخولوجيون، المخطوطة المطبوعة بروميه

وثائق طقس الرسامة:

وفي القسم الأخير من ملاحق البحث نقدم ثلاثة وثائق هامة وأساسية في صلوات الرسامة علي بابا الإسكندرية بحسب الأصول الكنسية بوضع الأيادي عليه التي هي أخطر وأقدس لحظة في رسامة بابا ورئيس أساقفة الإسكندرية، وهي التي تمت في رسامة المثلث الرحمات البابا كيرلس السادس البطريرك ١١٦ (١٩٥٩-١٩٧٠) وذلك يوم الأحد ٢٠ بشنس سنة ١٦٥٧ للشهداء الموافق ١٠ مايو سنة١٩٥٩ وهي:

١.التزكية

٢.صلوات وضع الأيادي على رأس أسقف الإسكندرية

٣.تقليد رياسة الأسقفية لكنيسة الإسكندرية

وقد نقلنا نص هذه الصلوات عن مجلة رسالة المحبة الغراء في عددها التاريخي رقم ٦ من السنة الخامسة والعشرين الصادر عن شهر بشنس ١٦٧٥ مايو يونيو ١٩٥٩. وقد ضاهينا هذه الصلوات على أقدم ما في أيدينا من مخطوطة تكريس ورسامة البطريرك المطبوعة في روميه عام ١٧٦١ للميلاد ١٤٧٨ للشهداء وترجع المخطوطة الأصلية إلى منتصف القرن الثالث عشر تقريباً، فوجدناها مطابقة تماماً فيما عدا بعض الاختصارات الطفيفة جداً التي لا تغير في مسار الأصول التقليدية أو المعاني العامة. (أنظر **نص هذه الوثائق في ملاحق هذا البحث في نهايته**).

ولنا بعض التعليقات الختامية على هذه الصلوات:

١ - التزكية وصلوات وضع الأيادي وتقليد التجليس كلها تشير إلى إيبارشية "مدينة الإسكندرية العظمى" القديمة جداً، المدينة التي يُرسم عليها الأسقف البابا البطريرك وتوضع عليه الأيادي لإعلان اقترانه بشعب هذه المدينة المحبة للمسيح. وكلها تخاطب أهل ثغر الإسكندرية بأنهم هم الشعب والرعية أصحاب الحق الأول (ولكن ليس الوحيد) لانتخاب البطريرك الجديد أسقفهم وراعيهم هم أولاً. والنعمة الخاصة الحالّة على البطريرك الجديد لتأييده وتعضيده من فوق من لدن الإله الناظر على كنيسته تأتي من خلال طقس وضع الأيادي الأسقفية عليه.

ولكن كل هذا لا يكون ممكناً حدوثه، لو كان المرشح سبق له أن وُضعت عليه الأيادي في

إيبارشية أخري، أو كـان بحسب الوضع المستجد: أي وُضعت عليه الأيادي دون اقترانه بإيبارشية. ذلك لأن القانون الكنسي يمنع تكرار وضع اليد للأسقفية على رأس المرشح:

[لأجل من يُقسم دفعتين – إذا نال أسقف أو قسيس أو شماس قسمتين (أي وضع اليد بالنسبة للرتبة الواحدة) فليُقطع هو والذي قسمه.]

القانون ٤٨ من قوانين الكنيسة

على يد إكلمنضس وعددها ٥٦ قانوناً

وفي الوقت نفسه يمنع انتقال أسقف من إيبارشيته التي قُسم عليها إلى إيبارشية أخري وعلى الأخص لإيبارشية الكرسي الرسولي، أو اقتران أسقف بإيبارشيتين خرقاً لشريعة الزوجة الواحدة، باعتبار أن قسمة أسقف على شعب إيبارشية هو بمثابة اقتران عريس بعروسه، وذلك حسب العُرف الكنسي، ومفهوم طبيعة الكنيسة جسد المسيح، وقوانين ترتيب الكهنوت في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

٢ – لم نشهد في انتخابات هذه الرسامة (مايو ١٩٥٩) التي نشرنا صلواتها (في ملاحق البحث) أية محاولة من جانب أيٍ من المرشحين للدعاية لأنفسهم أو لتزكية أنفسهم على المرشحين الآخرين أمام الجماهير (على نسق الانتخابات السياسية والمدنية)، وهذه الملاحظة مقترنة بملاحظة أخرى أن كل المرشحين كانوا من الرهبان ذوي الدرجة الكهنوتية "القس" (وكانوا ملازمين قلاليهم أو مناسكهم بأديرتهم مسلِّمين الأمر لمشيئة الله).

٣ – **يلاحظ أنه، في وصف إجراءات اختيار المرشحين، يقوم المسئولون بالتفتيش في كل مكان ليجدوا المستحق**، وهم يقرنون هذه العملية بالصوم والتضرع والتقديس لكي يرشدهم الله إلى انتخاب من يصلح لهذه الوظيفة. فعملية الانتخاب عملية روحية بحتة أي أنها تتم بإرشاد وتوجيه الروح القدس الذي في النهاية سيحل على من يختاره الله. والمرشح الصالح هو الذي يحس – بالصدق وبالحق – أنه غير مستحق لهذه المسئولية العظمى فإن طقوس الرسامة تقول: "يأتون به **(من مكان خلوته) مقيداً إلى هيكل الله**" لأنه في الغالب يكون هارباً من أمام الذين يبحثون عنه. وهذا يضمن للكنيسة أن يكون البابا الجديد معضداً من الله مسنوداً بنعمة الروح القدس، وليس بأي قوة بشرية أو ذاتية إذا كان قد سعى إلى المنصب بنفسه أو بسعاية آخرين.

الجدل حول ترشيح الأساقفة والمطارنة للكرسي البطريركي:

لقد ثار الجدل حول هذا الموضوع منذ ممارسة أول مخالفة لقانون الكنيسة، وذلك عام ١٩٢٨. وهذه هي أول ممارسة مضادة صريحة لطبيعة وأسس قيام الكنيسة، وهو انتقال أسقف أو مطران من إيبارشيته التي سبق أن رُسم عليها إلى إيبارشية مدينة الإسكندرية العظمى (وبالتالي احتفاظه بالإيبارشيتين معاً – خرقاً لشريعة الزوجة الواحدة). وقد قام علماء الكنيسة وآباؤها وأبناؤها المخلصون بكشف خطأ هذه المخالفة وخطورتها على قداسة الكنيسة وطهارة خدامها وخلاص أنفسهم، منذ ذلك الوقت، بلا كلل ولا ملل، مما يقطع بأن جسد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية غير قادر ولا قابل لاحتواء أو الرضا بهذه المخالفة.

وهذه المخالفة بالرغم من **أنها اقتُرفت في القرن الرابع** (في كنائس أخري ولكن ليس في كنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية)، إلا أنها رُفضت واستُنكرت في عدة مجامع مسكونية ومكانية، باعتبارها "خطية"، وكثيراً ما وُضعت في مصاف خطية "الزنا"، كما في قرار المجمع المقدس لكنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية المنعقد في الإسكندرية عام ٣٣٩م.([٤]). كما أن أصوات العلماء اللاهوتيين قدامى ومحدثين لا تفتأ تدين هذه المخالفة([٥])، ناعتين إياها بأنها مخالفة بالرغم من تكرارها. لكن قانون مجمع نيقية المسكوني([٦]) هو أقوى مانع في وجه ارتكاب هذه المخالفة، ولا يمكن أن يبطل هذا القانونَ تكرارُ حدوث المخالفة، وذلك حسب المبدأ الكنسي القائل: إن المخالفات لا يجب أن تُرتكب بذريعة أنها سبق وارتكبت في الماضي كما قرر ذلك القديس كبريانوس([٧]).

ولسنا نريد الخوض في البراهين التي قدمها المدافعون عن طهارة الكنيسة ونقاوتها. ولكننا نضع نصب أعين الجميع نص هذا المبدأ الكنسي الذي يحكم على مخالفات القانون الكنسي أياً كانت، وسواء كثرت أو قلّت، كالآتي:

---

(٤) راجع الرسالة المجمعية للمجمع المنعقد في الإسكندرية، ٧ :N&P.N. FATHERS 2nd Series, Vol. IV, P.104

(٥) راجع عرضاً لهذه الآراء في: N&PN Fathers, 2nd Series, Vol. XIV, PP 33-35
وراجع رأي الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة: حاشية رقم ٨.

(٦) لذلك وبحسب المتعارف عليه في فقه القانون الكنسي لا يمكن مخالفة هذا القانون أو تعديله إلا بموجب قانون على نفس المستوى، أي من مجمع مسكوني مماثل. علما بأن المجمع المسكوني الثاني (الذي عُقد في القسطنطينية عام ٣٨١) ثبّت هذا القانون بأن قرر إلغاء انتقال القديس غريغوريوس أسقف سازيما إلى كرسي القسطنطينية الرسولي ليصير بطريركاً عليها بالرغم من تفوُّقه وقداسته وكفاءته وبالرغم من موافقة مجمع أساقفة كنيسة القسطنطينية على هذا النقل.

(٧) الرسالة ٧٢: ٢٣ [ليس معنى أن خطأ حدث في وقت ما أن يُسمح بأن يتكرر هذا الخطأ فيما بعد].

[ليس معني أن خطأ حدث في وقت ما، أن يُسمح بأن يتكرر هذا الخطأ فيما بعد]

القديس كيرياتوس في الرسالة رقم ٧٢:٢٣.

فالمخالفات لا يجب أن تُرتكب تحت ادعاء أنها سبق وارتُكبت في الماضي. لقد كان هذا المبدأ هو الذي يحكم ضمير الكنيسة الحي على مدي الأجيال. فإذا حدث أن المعني الحقيقي للقرارات القديمة للكنيسة نُسي أو تشوه، أو استُبدلت التقاليد الصحيحة بتقاليد أخرى مخالفة، فهذا لم يكن يعني البتة أن يتحول الخطأ المتكرر ليصير قانوناً، مهما كان المخالف كبيراً أو صغيراً، قديساً أو غير قديس، من كنيستنا القبطية الأرثوذكسية أو من رؤساء الكنائس الأخرى(٨).

وهذا هو الموقف المُلزم أمام كل مخالفة في الكنيسة يحتج مؤيدوها بأنها سبق أن ارتكبت في عصر سابق أو أنها تُرتكب في الكنائس الأخرى. علماً بأن "عامل **الزمن**" لا يستطيع أن يحول الخطأ فيكون صحيحاً ولا المخالفة فتصير هي الوصية والقانون، بسبب تكرار الخطأ والمخالفة، وإلاّ لكانت الخطايا قد تحولت بسبب تكرار ارتكابها من البشر ملايين المرات في كل الأزمان إلى أعمال بر أو على الأقل لم تعد خطأ منهياً عنه ويقع تحت دينونة الله!

ولكننا نفضل أن نسجل هنا المواقف التاريخية الإيجابية لمجامع مقدسة وآباء قديسين من بطاركة وأساقفة كنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية، لنقتدي بشهود الحق في مواجهة مواقف المخالفة:

شهود الحق في مواجهة مواقف المخالفة:

١. **قرار المجمع المقدس لكنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية المنعقد في مدينة** الإسكندرية عام ٣٣٩م. باعتبار انتقال أسقف إلى إيبارشية أخرى بمثابة خطية "زنا"(٩).

٢. **قانون أصدره المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية في أثناء** حبرية البابا خائيل

(٨) الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة وبالرغم من عادة انتخاب بطريركها من المطارنة (ابتداءً من سنة ٩٧٧ فقط وبالرغم من رفض البابا الإسكندري المعاصر "خائيل الأول" إعطاء الحل بذلك–راجع البند رقم ٢ من المواقف) إلا أنها تدرك وتعترف بأن هذا مخالف لقانون الكنيسة كما ورد في مقالها المنشور في مجلتها الرسمية "*المجلة البطريركية*" بأن **"اختيار البطريرك من بين المطارنة هو نقل أسقف أبرشية شرعي إلى أبرشية أخرى، ... وذلك من نوع الزواج بامرأتين أو إعادة العماد"** – راجع مقال "*إكليروس السريان القدماء*"، في المجلة البطريركية، دمشق، ٣٣: ١٤٤،١٤٥، نيسان–أيار ١٩٩٥.

(٩) راجع الحاشية رقم ٤

الأول البابا الـ ٤٦ (٧٤٣-٧٦٦م.) صرح فيه البابا قائلاً:

[السيف أو النار أو الرمي إلى الأسد أو النفي أو السبي فما يقلقني. ولست أدخل تحت حرمي الذي كتبته بخطي وبدأت به بأن لا يصير أسقف بطريركاً... فكيف أحلل اليوم ما حرمته بالأمس، وما أنكرته بالأمس أرضى به اليوم](١٠)

تأمل أمانة البابا لمبادئه السابقة التي كتبها بخطه وعدم تراجعه عنها بالرغم من تهديد الحاكم المدني آنذاك، الخليفة جعفر بن المنصور العباسي، للبابا بالموت في حالة الرفض.

٢.**المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية عام ١٨٦٥** أصدر القرار التالي:

[لا نسلّم ولا نسمح قط للكهنة وشعب الكرازة المرقسية بحل وتعدي الحدود الأبوية. وكل من يطلب هذه الرتبة من الأساقفة أو المطارنة أصحاب الكراسي أو سعى فيها أو رضي بها، أو أحد سعى له في شأن يطلبونه لها -كاهناً أو رئيس كهنة أو علمانياً يكون محروماً](١١)

٣.ثم نسجل بكل الفخر والإعزاز موقف الآباء مطارنة وأساقفة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في العصر الحديث الذين عاصروا رسامة البابا كيرلس السادس حيث وقف في اجتماع المجمع المقدس نيافة الأنبا أثناسيوس مطران كرسي **بني سويف والبهنسا السابق وكبير الأساقفة وقائم قام البطريرك** آنذاك في فترة خلو الكرسي البطريركي (١٩٥٦-١٩٥٩) -نيّح الله نفسه- واتفق مع أعضاء المجمع المقدس بالإجماع أن يتجنبوا ترشيح أيٍ منهم للكرسي البطريركي خضوعاً وطاعة لمشورة العلي والتي سجلتها قوانين الكنيسة الرسولية وقوانين المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية عام ٣٢٥م. وهكذا كان كل المرشحين ممن لم تزد درجتهم الإكليروسية عن القسوسية.

٤.كما نسجل بكل الفخر والإعزاز **موقف المتنيح الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج** وكبير الأساقفة وقائم قام البطريرك في فترة خلو الكرسي البطريركي (١٩٧٠-١٩٧١) الذي رفض بإباء وشمم ما عُرض عليه من ترشيح نفسه للكرسي البطريركي ليكسر إجماع الإكليروس والشعب آنذاك على حتمية احترام قوانين الكنيسة بعدم ترشيح الأساقفة والمطارنة للكرسي البطريركي. وقد سمعناه يصرح آنذاك إلى الذين عرضوا عليه ذلك قائلاً:

---

(١٠) راجع التفاصيل في كتاب *"قصة الكنيسة القبطية"* الكتاب السادس، صفحات من ٢٧-٢٨

(١١) المرجع السابق، صفحة ٢٨

[إني مرتبط بشعبي وإيبارشيتي، فلا أنا مستعد للطلاق منها، ولاهم مستعدون للتفريط في اقتراني بهم لأن شعبي يحبني وأنا أحب شعب إيبارشيتي].

وقد نشر بياناً بهذا المعنى في الصحف العامة آنذاك.

إذن، فشهود الحق الكنسي في مصفٍّ المجمع الأسقفي لكنيسة الإسكندرية يقفون في كل جيل وزمان، يكملون ويحققون موهبة التعاقب الرسولي الذي تحمله كنيسة الله الأرثوذكسية.

+ أما موقف الشعب وشهادته للحق الإلهي في هذا المجال فهو معروف ويمكن الرجوع إلى هذه المواقف منذ عام ١٩٢٨ وحتى الآن[١٢].

+ ومن بين أحدث وأقوي الشهادات المعاصرة للحق الإلهي بشأن هذه القضية، والتي لابد من أخذها في الإعتبار بسبب علو كعب صاحبها في العلم اللاهوتي، البحث القيِّم للعالم القبطي المتنيح **الأستاذ يسى عبد المسيح** المعَنْوَن: "***علم قانونية اختيار البطريرك من بين الأساقفة***"[١٣].

إننا نصلي من أجل كنيسة هذا الجيل الذي نعيشه من أجل أن تثبت على أمانتها للتقليد الرسولي والكنسي والذي نحن جميعاً مؤتمنون على توصيله للأجيال اللاحقة، من خلال شهادة حاملي موهبة التعاقب الرسولي في الكنيسة وعلى الأخص في طقس اختيار بابا الإسكندرية المعتبر أعلي وأقدس مرجع في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، تحت ربوبية ربنا يسوع المسيح الذي هو "**الأسقف الكبير ورئيس الأسقفية والأول في طغمة الكهنوت ورأس الكهنة**"، والذي له كل المجد والكرامة في كل جيل وإلى أبد الدهور.

([١٢]) المرجع السابق، الجزء (أ) من الكتاب السادس بأكمله والكتاب السابع والكتاب الثامن.

([١٣]) العالم القبطي يسى عبد المسيح (١٨٩٨ - ١٩٥٩)، أمين المتحف القبطى سابقاً والأستاذ بالكلية الاكليريكية حتى ١٩٥٧، في بحث نشر في مجلة مدارس الأحد، المجلد الثامن، العددان ٦و٧ يونيو ويوليو ١٩٥٤، صفحة ١-٥.

الباب الثاني

رتبة القس

البريزفيتيروس

أولاً: الأصول الأولى لرتبة "الشيوخ" أو "القسوس"

البريزفيتيروس Bresveteros

نبوة عن درجة القس /البريزفيتيروس

ومركزها أمام الله

حينما كتب القديس بولس الرسول إلى قسوس كنيسة كورنثوس يعاتبهم على تركهم رعيتهم يلجأون للمحاكم الصغرى للأمم لتقضي في خلافاتهم الصغيرة قائلاً:

- "أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر أن يُحاكَم عند الظالمين وليس عند **القديسين**.

- ألستم تعلمون أن **القديسين سيدينون العالم**. ألستم تعلمون أننا **سندين ملائكة** ..." (١كو٦:١-٣)،

فإنه كان يشير إلى نبوتين هامتين من العهد القديم عن رتبة "الشيوخ" أو "القسوس":

١.ففي النصف الأول من الآية يشير إلى نبوة دانيال (الإصحاح ٧) عن القديسين، حيث نقرأ أنه بتملك ابن الإنسان على الأرض فإنه "سيعطى المملكة **للقديسين**".

٢.أما بقية الآية فهي مقتبسة من نبوة **إشعياء** (٢٤:٢١-٢٣) عن وضع القسوس وهو يتكلم عن يوم دينونة الملوك، حيث يقول فيها:

•"ويكون في ذلك اليوم أن الرب يُنزل يده على عالم السماء وعلى ملوك الأرض، ويجمعهم معاً ويغلق عليهم في جُبٍّ وسجن. ثم بعد أجيال كثيرة تصير محاكمتهم، وتنهار الحجارة وتسقط الأسوار، لأن الرب سيملك في صهيون وفي أورشليم، **وسيتمجد أمام شيوخه (قسوسه/بريزفيتروس)**" – (طبقاً للترجمة السبعينية للعهد القديم.)

ففي نبوة إشعياء نرى عالم الأرواح الذي أخطأ قديماً أي الملائكة الذين عصوا قديماً واحتجزهم الرب إلى دينونة اليوم العظيم (يهوذا٦)، وكذلك ملوك الأرض الذين أُغلق عليهم في سجن الجحيم، **حتى يأتي يوم الرب العظيم** حيث يأخذ الرب عرشه في صهيون وسط شيوخ/قسوس إسرائيل، وتتداعى حجارة وأسوار السجن أمام مجد الرب، **ويأتي الرب مُحاطاً**

بشيوخه أي تلاميذه القديسين ليدينوا الرؤساء والملائكة الأشرار.

فهذا هو المنظر الذي استعاره القديس بولس، وهو منظر مجيء المسيح الأول وإحاطة قسوس العهد الجديد به، ليعرِّف قسوس كنيسة كورنثوس بمركزهم النبوي أمام الله، فلا يتهاونوا في مهمتهم تجاه رعيتهم المقدسة الذين يسميهم "قديسين" كما سماهم دانيال في نبوته.

القسوس في بداية المسيحية:

مركز الشيوخ في العهد القديم:

كانت المجامع اليهودية في فلسطين يدبرها من يُسمَّوْن بـ "**الشيوخ**"، واسمهم بالعبرية "**ذِقنيم**" وباليونانية "بريزفيتروي–والمفرد **بريزفيتيروس**"، وكان هؤلاء الشيوخ يكوِّنون **مجلس السنهدريم** الذي يرأسه **رئيس الكهنة** في أورشليم. وكانوا يُنتخبون لمدى الحياة. ومن بين أعضاء هذا المجلس كان هناك من يسمَّون بـ "**الكتبة**" أو "**الرابيين**" والذين كانوا يمارسون تأثيراً كبيراً على الشعب، إذ أنهم هم حفظة الناموس الذين يجلسون على كرسي موسى يعلِّمون الشعب شريعة الله بكل تفاصيلها ودقائقها. (ويقابل هذه الوظيفة في العهد الجديد من يسميهم الرسول بولس "**الشيوخ المعلمون**" ١تي٥:١٧).

هؤلاء الشيوخ/البريزفيتيروي كانوا **يُرسمون**، أي **توضع عليهم اليد لينالوا الروح الذي حل على موسى، والذي انتقل من موسى إلى يشوع، ومن يشوع إلى شيوخ بني إسرائيل.** فالشيخ "البريزفيتيروس" اليهودي كان مُفرزاً وموشحاً بالروح من أجل القيام بعمل روحي، ويماثل هذا العمل ما كان يقوم به "القضاة" بعد ذلك في العهد القديم.

(ولكن كانت هناك في نفس الوقت **وظائف أخرى داخل مجامع اليهود** بخلاف الوظيفة الروحية المشار إليها أعلى الخاصة بالكتبة الرابيين، هذه الوظائف كان يقوم بها **أعضاء من الشعب يُسمَّون باليونانية "أرخونتس" وبالعربية "أراخنة"**، أي "رؤساء" أو المقدَّمين من الشعب، وهؤلاء لم يكونوا من الكهنة الهارونيين أي لم يكونوا يقومون بتقديم الذبائح في الهيكل، بل كانوا يؤدون أعمالاً مدنية. هؤلاء هم الذين يسميهم الإنجيل "**الرؤساء**" أو "**رؤساء المجمع**"، وكانوا مسئولين عن مبنى المجمع المنتمين إليه وباقي الخدمات التي تجرى فيه. كما كان هناك **مسئولون آخرون عن أعمال الخير والصدقات**. وهؤلاء الخدام من أعضاء الشعب كانوا يسمَّون أيضا الشيوخ ولكن لم يكونوا رابيين. (وهؤلاء يقابلهم في العهد

الجديد من يسمَّون بالأراخنة ومقدَّمي الشعب الذين بالرغم من عدم نوالهم أية رتبة كهنوتية إلا أن لهم مسئوليات مدنية داخل الكنيسة، مثل الأعمال الإدارية والمالية والخيرية وغيرها).

ولأن الشيوخ المعلمين كانوا معتبَرين أنهم حفظة الناموس، لذلك أُقيموا رؤساءَ لمجامع اليهود.

مركز الشيوخ/القسوس في الكنيسة المسيحية:

أما في الكنيسة المسيحية فالوضع منذ البداية كان مختلفاً. فالكنيسة لم تكن تحيا بالناموس وعلى الماضي، بل باختبارها الحي لسلطان الله، وبرجائها في الاستعلان النهائي والحاسم لهذا السلطان في المستقبل متمثلاً في المجيء الثاني للرب. والعهد القديم لم ينتهِ في العهد الجديد، بل تحقق واكتمل فيه. وبهذا، فإن العهدين لابد أن يُشرحا بطريقة جديدة: العهد القديم كممهِّد ومتنبئ للعهد الجديد، والعهد الجديد كاستعلان وشرح واستيضاح لكل غوامض العهد القديم.

مركز الكنيسة في العهد الجديد:

والكنيسة في العهد الجديد هي الأداة الأساسية لكل هذا. فهي التي اقتنت العهد الجديد والتعليم الجديد للرب، وعليها أن تحافظ عليه. والرب الذي تخدمه الآن بالطاعة – ليس بالطاعة الناموسية بل بالطاعة الحرة الإرادية– هو المسيح مُعطي الناموس، الذي هو الآن حقيقة شخصية حاضرة ومنظورة، بالعيان للرسل وبالإيمان للمؤمنين بالرب بواسطة كلام الرسل. لذلك فقد أصبح الإيمان بتعاليم المسيح وحياته وقيامته ثم المعمودية هو **الختان الجديد** (بدلاً من الختان بالجسد الذي كان في العهد القديم) أي هو المدخل الذي يؤهل المؤمن للدخول في عضوية شعب الله الجديد بسر المعمودية.

وفي هذا الإطار يصبح **الشيوخ الجدد هم الذين يمثلون التقليد الجديد ويقدمونه للأجيال اللاحقة**. وكل هذا يتم بالروح القدس، الذي أصبح مرافقاً وماكثاً في الكنيسة يكمل عمل المسيح ويستعلنه ويُظهره ويشرحه للمؤمنين بعد صعود المسيح.

لذلك فسلطان الشيوخ البريزفيتيروس/القسوس ليس سلطاناً مأخوذاً من البشر، بسبب انتخابهم بواسطة البشر وليس بواسطة الرب على مثال تلاميذ المسيح الأوائل، بل إن سلطان

الشيوخ هو سلطان روحي مأخوذ من الله، بموجب اختيار شعب الكنيسة لهم. لذلك لابد أن تكون ممارسة هذا السلطان قائمة على طاعة روح المسيح، وفي خدمة إنجيل المسيح، ومن أجل بنيان الكنيسة، ومن أجل كل ذلك منح الرب لهم هذا السلطان.

أما إذا انقلبت هذه العلاقة الأصيلة بين السلطان ومانح السلطان أي الله، لدى حامل السلطان الذي انتخبته الكنيسة، وصارت هذه السلطة تُمارَس وكأنها مطلقة بلا حدود وليس بحسب مشيئة الله ولا من أجل بنيان الكنيسة، فنكون قد ابتعدنا عن مفهوم الإختيار الإلهي للشيخ/البريزفيتيروس.

طقس السبعين شيخاً مع موسى وعلاقته بطقس القسوس:

هذا من الناحية التاريخية، أما من الناحية التقليدية الكنسية، فالشيوخ صاروا يُقامون في الكنيسة المسيحية على نسق الشيوخ السبعين الذين اختارهم موسى النبي ليعاونوه في تدبيره لأمور إسرائيل وهم في البرية (ونجد قصتهم كاملة في سفر العدد إصحاح ١١: ١٦-٢٥).

وقد ورد هذا الربط في نص صلوات رسامة القسوس المبكرة والمتأخرة، منها خولاجي القديس سيرابيون:٢٧، وكما ورد في الدسقولية (٨: ١٦: ٤)، وكذلك في مخطوطة الأفخولوجيون من القرن الثالث عشر المطبوعة في رومية.

مركز مجمع الرسل، ودور الشيوخ معهم:

على هذه الخلفية يمكننا أن نتتبع **أصل المؤسسات الإكليروسية المسيحية:**

فجماعة المسيحيين الأوائل في أورشليم كان يرأسهم **"مجمع الرسل"**. وكان هؤلاء الرسل مُعتبرين "معلمين" أو "رابيين". ومعروف أن المعلم أو الرابي لابد أن يكون تلميذاً لمعلم أو رابي أسبق منه (مثل بولس الذي تتلمذ على يدي غمالائيل قبل إيمانه بالمسيح).

وقد كان الاثنا عشر فعلاً تلاميذ مُتَلمذين لـ **"المعلم" و"الرابي" الكبير والوحيد في الكنيسة، ألا وهو ابن الله المتجسد الرب يسوع المسيح**. ولكن لأن أي واحد يُدعى بلقبه الأعظم، لذلك لم يُسَمَّى الرسل باسم "الشيوخ" (بالرغم من أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم هكذا، كما يدعو بطرس الرسول نفسه "أنا الشيخ **(القس)** رفيقكم" (بطرس الأولى ٥ : ١)، وكما يسمى القديس يوحنا الرسول نفسه في رسائله باسم **"الشيخ"** (يوحنا الثانية ١:

١، يوحنا الثالثة ١: ١)] - إلا أنهم كانوا يُدعَون باللقب الأكبر وهو "**رسول**" يسوع المسيح.

سلطان "الرسول" في المسيحية:

وكلمة "**رسول**" كان لها دور كبير في نظام الكنيسة اليهودية في العهد القديم. فالرسول اليهودي واسمه بالعبرية "**شلّيح**" أو "**سلّيح**"، كان هو الشيخ المبعوث من مجلس السنهدريم في فلسطين إلى مجامع الشيوخ خارج فلسطين ليبلغهم رسائل الكهنة والشيوخ في فلسطين، أو ليجمع منهم تقدماتهم للهيكل. وكان سلطان هذا الرسول المبعوث مستمداً ممن أرسله أي من رئيس الكهنة في أورشليم.

وأما "**الرسول**" في العهد الجديد **فهو يستمد سلطته من رئيس كهنة العهد الجديد الرب يسوع المسيح.**

وهكذا كان الرسل الاثنا عشر هم نواة إسرائيل الجديد، أُرسلوا باسم شخص ربنا يسوع المسيح نفسه ليكملوا ويمتدوا بإرساليته، مزوَّدين بسلطانه الشخصي وقوة حضوره الإلهي، من خلال عطية الروح القدس التي نالوها من الرب نفسه بعد قيامته من بين الأموات، ثم في يوم الخمسين في العلية، تحقيقاً لوعد الرب لهم قبل صعوده إلى السموات: "دُفع إليَّ **كل سلطان** في السماء وعلى الأرض. **فاذهبوا وتلمذوا** جميع الأمم **وعمِّدوهم** باسم الآب والابن والروح القدس، **وعلّموهم** أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. **وها أنا معكم** كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين" (متى٢٨: ١٨-٢٠).

هذا هو سلطان الرسول المستمد من سلطان المسيح في السماء وعلى الأرض.

مركز الشيوخ/القسوس بالنسبة لمجمع الرسل:

إلا أن "مجمع الرسل" ظل خارجاً عن المؤسسات الكنسية المسيحية المكانية وأعلى منها كما سنرى فيما بعد.

وأول ما نقرأ عن "الشيوخ" في العهد الجديد، نقرأه في سفر أعمال الرسل (أع١٥:٤) في سرده لانعقاد أول مجمع كنسي. فنقرأ عن وجود "الشيوخ" جنباً إلى جنب مع الرسل، ولكن دون الإفصاح عن متى رُسم هؤلاء الشيوخ ومَنْ الذي رسمهم في أورشليم. إلاّ أن سفر الأعمال يقدم لنا رواية في مكان آخر أن بولس وبرنابا وهما يبشران في أنطاكية "انتخبا لهم

(للمؤمنين الجدد في أنطاكية) قسوساً (شيوخاً) في كل كنيسة" (أع١٤: ٢٣)، أما "الشيوخ" الموجودون في كنيسة أورشليم فلم يُذكر عنهم شئ من قبل. على أي حال، فقد ظهر أن هناك هيئة جديدة إلى جانب مجمع الرسل هي **"مجمع الشيوخ أو القسوس"**، الذين نالوا وظائف روحية غير وظائف شيوخ اليهود.

لكن مجمع الرسل كان له التأثير الأول والأساسي على مجمع القسوس في أورشليم وعلى مثيله في الكنائس التي تأسست خارج فلسطين. ونجد في الرسائل الرعوية التي أرسلها الرسل إلى الكنائس، أن الرسل كانوا يملكون زمام السلطة على هذه المجامع القسوسية وإن كانوا يتعاملون معها كهيئات معترف بسلطانها.

وكانت علاقة "الرسول" بالكنائس ذات تأثير خاص، لأن الرسول كان يستمد سلطانه من الرب يسوع المسيح نفسه. فبهذا السلطان كان الرسل يحثون ويقنعون المؤمنين، وأحياناً يمارسون السلطة الفائقة التي للرب نفسه، مثلما حدث في موقف القديس بولس من أحد الخطاة الزناة في كنيسة كورنثوس حينما أمر بأن **"باسم ربنا يسوع المسيح**، إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع" (١كو٥: ٤،٥).

معالم رتبة القسوس ورتبة الأسقف:

لكن مثل هذا التدخل لم يكن يحدث باستمرار، لأن الرسل أوكلوا سلطة إصدار مثل هذه الأوامر إلى مجامع القسوس في كل كنيسة. ثم تحددت السلطة في يد أحد هؤلاء القسوس الذي انتخب ليكون رئيساً لمجمع القسوس باسم **"إيبسكوبوس"**.

وهذا الاسم مقتبس من الكلمة التي تصف أهم وظائف هؤلاء القسوس وهي: **حراسة النفوس وافتقادها وملاحظتها والإشراف عليها من أعلى** (كما تدل عليها معنى كلمة "إيبسكوبي **Episcopei**"). لأن خدمة رعاية النفوس التي يقوم بها هؤلاء الشيوخ/القسوس تتضمن هذه الوظائف المعبَّر عنها بكلمة "إيبسكوبي"، بالإضافة طبعاً إلى الوظائف الأخرى مثل تقديم ذبيحة العهد الجديد بخبز وخمر (الوظيفة الكهنوتية)، ووظيفة التعليم، ووظيفة التدبير وغيرها.

لذلك، لا نعجب حين نقرأ في سفر الأعمال أن بولس الرسول استدعى **"قسوس الكنيسة"** في أفسس وقال لهم "...**أقامكم الروح القدس فيها أساقفة**...". فليس هنا في هذا

النص اختلاط بين القسوسية والأسقفية اللتين نعرفهما اليوم متميزتين، لأن "قسوس الكنيسة" هم خدام الكنيسة ورعاتها، أما كلمة "**إبيسكوبوس**" فهي هنا **ليست "لقباً" لرتبة بل "مضمون الوظيفة" التي يقوم بها هؤلاء القسوس أي الافتقاد.**

ويمكن أن تتضح هذه الآية إذا ترجمناها هكذا: "...التي أقامكم الروح القدس فيها **نُظّاراً/ حراساً/ مفتقدين/ملاحظين**" (وكل هذه المترادفات هي مشتقة من وظائف راعي الخراف واستعيرت لتصف عمل القسوس). وهذه الترجمة العربية لكلمة "**إبيسكوبوس**": "**نُظّاراً**"، هي التي تُرجمت إليها نفس الكلمة اليونانية "**إبيسكوبي**" في رسالة بطرس الرسول الأولى ٥: ٢ "ارعوا رعية الله التي بينكم **نُظّاراً**".

كما ندرك نفس هذا المفهوم ونحن نقرأ توجيه رسالة فيلبي إلى "**أساقفة وشمامسة**" (في ١: ١). إذ ليس من المعقول كنسياً أن يكون في مدينة واحدة أساقفة عديدون؟ فواضح أيضاً أن اللغة التي يستعملها بولس الرسول وهو يقول "**أساقفة**" يقصد بها مضمون **مهام الافتقاد والملاحظة الروحية للنفوس** التي يشترك فيها القسوس وليس لقب الوظيفة الأسقفية.

أصل الوظيفة الكهنوتية للأسقف والقس

إن سر الإفخارستيا هو محور العبادة المسيحية منذ البدء. وحسب إيمان الكنيسة الأرثوذكسية، فقد تأسس هذا السر يوم خميس العهد في العشاء الأخير للرب مع تلاميذه.

هذا العشاء كان طقساً من طقوس وليمة عشاء ذي صبغة دينية يمارسه في بعض المناسبات أفراد البيت اليهودي أيام المسيح، وبالرغم من أنه لم يكن له أية صفة ذبائحية، أي لم يكن يُذبح فيه خروف الفصح، بل كان طعاماً عادياً، إلا أن المسيح أعطاه معنى جديداً تماماً في هذه الليلة.

فقد رأى الرب يوم خميس العهد وهو جالس على مائدة العشاء الأخير، رأى بعين النبوة أن موته الكفاري الذى سيتم غداً الجمعة، هو موت ذبائحي، أي أنه سيموت كذبيحة العهد الجديد المقدَّمة عن خلاص وحياة كل العالم، أي أنه سيصبح غداً هو **حَمَل الفصح الحقيقي**، وليس الخروف الذي تعوَّد اليهود أن يذبحوه في كل عيد للفصح والذي سيكون موعده غداً الجمعة.

ولأن المسيح تقدم إلى الصليب بإرادته وسلطانه وحده، لذلك اعتُبرت ذبيحة الصليب ذبيحة إرادية. ومن أجل أن يبين المسيح هذه السمة الإرادية في ذبيحته، سبق وقدَّمها بالسر

يوم الخميس بقوله لتلاميذه وهو يشير إلى الخبز والخمر الموضوعين على مائدة العشاء: **"هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري ... وهذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم"** (لوقا ٢٢: ١٩-٢٠).

فهذان المقطعان اللذان نطقهما المسيح ارتبطت فيهما وليمة العشاء اليهودي القديم بموت المسيح كذبيحة. لذلك فإن هذا العشاء دخل في هذه اللحظات المقدسة إلى المجال الذى لابد فيه أن يكون مقدِّم هذه الذبيحة (وهو هنا المسيح له المجد) كاهناً. وهذه هي الصفة التي في المسيح والتي أستعلنت لنا لأول مرة في العهد الجديد، **صفة كهنوت المسيح**، وهو يقدم نفسه ذبيحة جسداً ودماً، يُبذلان كفّارةً من أجل حياة العالم.

وكما كان مُقدِّم ذبيحة الفصح في العهد القديم هو فقط رئيس الكهنة وليس غيره، **كذلك فالمسيح يُطلق عليه لقب رئيس الكهنة (آرشي إيريفس) أو الكاهن الأعظم**، بسبب تقديمه ذبيحة نفسه كفّارة عن خطايا العالم أجمع.

ومنذ ذلك اليوم المبارك، وتنفيذاً لأمر الرب: **"اصنعوا هذا لذكرى"** (لوقا ٢٢: ١٩)، أصبح كل من يرأس الاحتفال الإفخارستي ويقدم الخبز والخمر في الكنائس المسيحية، إنما يتركز عمله في أن يعيد ويحقق ويعلن حضور **"رئيس الكهنة الأعظم"** الرب يسوع المسيح ويفسح له أن يكهن لشعبه. فكهنوت المسيح فريد، كون المسيح هو **وحده الكاهن الأعظم**، مقابل الكهنة ورؤساء الكهنة الكثيرين في العهد القديم، وذبيحته واحدة وحيدة لكنها حية، ولذلك لم ولن تتكرر، مقابل تعدد وتكرار ذبائح العهد القديم.

ومن ذلك الوقت أصبح هذا الكهنوت الجديد الذي للمسيح ينضح من المسيح على جسده أي الكنيسة، كما يصف ذلك المزمور ١٣٣ بروح النبوة: "هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الأخوة معاً (إجتماع المؤمنين في الكنيسة). مثل الدهن الطيب على الرأس (دهن مسحة كهنوت المسيح رأس الكنيسة) النازل على اللحية لحية هارون (رمز الإكليروس) النازل إلى طرف ثيابه (وعلى جسم الكنيسة كلها أي شعب الله اللاؤس)، دون أن يُحسب كهنة العهد الجديد كثرة في العدد، **بل هم كلهم محتوون في كهنوت الكاهن الأعظم الواحد الأوحد، الرب يسوع المسيح، ويمثلونه أي يعلنون حضوره مجدَّداً كاهناً أعظم يقدم جسده ودمه عن حياة العالم.**

الحركات الطقسية للكاهن أثناء القداس تُعلن حضور المسيح وسط شعبه:

وكل هذا يتضح بأروع صورة في الحركات الطقسية التي يلتزم بها الكاهن في القداس الإلهي: إذ بعد تقديس الذبيحة (بعد كلمات التأسيس والرشومات) تتغير الطريقة التي يعطي بها الكاهن البركة للشعب. إذ لا يعود الكاهن يلتفت إلى مواجهة الشعب ويرشمهم رافعاً يده معطياً البركة لهم، لكنه وهو واقف على المذبح يتنحى قليلاً بعيداً من أمام الذبيحة لتكون الذبيحة المقدسة التي على المذبح (الجسد والدم الأقدسين اللذين لربنا يسوع المسيح) في مواجهة الشعب، ويقول "السلام لجميعكم" **دون أن يرشم**[1] **أي دون أن يرفع يده بوضع من يبارك، لأن المسيح نفسه الآن هو الذي يبارك.** ما أروع طقس الكنيسة وهو يفسح للمسيح مكانه الحقيقي في الكنيسة ككاهن ومُبارك وراعٍ ومعلم لشعبه!

كما في ذلك الزمان، الآن أيضاً:

وهكذا أيضاً صار المقطعان من قول المسيح ليلة خميس العهد **يُنطقان بفم مقدِّم الإفخارستيا** في كل احتفال بالافخارستيا بعد ذلك (فيما يُعرَف بكلمات التأسيس والتي تبدأ بقول الكاهن: "**لأنه فيما هو راسم أن يسلِّم نفسه للموت عن حياة العالم...**")، وذلك في كل قداس يُقام، على مدى الأجيال وفي كل كنائس المسكونة، وبالتالي أصبحت كلمات المسيح هذه التي قالها ليلة خميس العهد تحمل في ذاتها كل قوة وفاعلية لإتمام السر، كونها سبق أن نُطقت بفم المسيح الكاهن الأعظم الأوحد مرة واحدة ليلة خميس العهد، فصارت هي التي تعطي للتقدمة المقدسة من الخبز والخمر سمتها الذبائحية، باعتبار أن المسيح حاضر وهو الذي يقدِّسها بكلماته ذات الفاعلية الأبدية، وإن كان ينطقها بفم مقدِّم الإفخارستيا خادم مذبح العهد الجديد، فهو الذي **كما صنع في ذلك الزمان، هكذا الآن أيضاً يبارك بنفسه الآن، ويقدس، ويكسر، ويعطي كنيسته وكل شعبه،** (كما يصلي الكاهن بذلك في القداس الغريغوري).

هذه هي أهم التغييرات التي حدثت في وظيفة الشيخ اليهودي، حينما انتقلت إلى المسيحية. فالمشيخة أو مجمع القسوسية بالإضافة إلى أنها ظلت في المسيحية، كما في اليهودية قديماً،

---

[1] *كتاب الخولاجي المقدس*، مصحح ومستوفي الترتيب عن يد القمص عبد المسيح صليب (المسعودي)، مطبعة عين شمس، سنة ١٦١٨ للشهداء ١٩٠٢، ميلادية صفحات ٣٩٦ و٤٠٤

جماعية، وتمارس مهامها في التدبير والتعليم؛ إلاّ أنها، في المسيحية، أُضيفت إليها مهامٌ ليتورجية مسيحية جديدة ذات صبغة وسمة **"كهنوتية"** بسبب خدمة رفع القرابين وتقديم ذبيحة المسيح في شكل خبز وخمر، أي **بسبب السمة الذبائحية لطقس عشاء الإفخارستيا**، الذي أسسه الرب يسوع المسيح ليلة عشاء الخميس الكبير.

ثانياً: طقس رسامة القسوس

نعود مرة أخرى - كما فعلنا في الفصل الخاص برسامة الأسقف - إلى وثيقة **القديس هيبوليتس "التقليد الرسولي"**، لنقرأ صلوات وطقس رسامة القس، ولنستنبط منها المبادئ والأسس التي تقوم عليها مهام وطبيعة وظيفة القسوسية.

يقول العلامة هيبوليتس:

[حينما يُرسم قس، يجب أن يضع الأسقف يده على رأسه، والقسوس أيضاً يلمسونه(١).

ثم يصلي عليه الأسقف، أما القسوس فليضعوا أيديهم على القس المختار، لأن نفس الروح يشترك فيه كل الكهنة، لكن القس يحوز السلطان من أجل هذا الأمر الواحد فقط: أن يأخذ، ولكن ليس له سلطان أن يعطي الرتبة المقدسة **Kleron**. لذلك فهو **لا يقسم Cherotonei** كاهناً آخر. ولكنه في رسامة القس **يختم Sphragizei** (بمعنى يشهد ويؤمِّن على الرسامة - راجع استخدام هذه الكلمة في يو٣: ٣٣ "ومَنْ قَبِل شهادته فقد ختم أن الله صادق")، بينما الأسقف هو الذى يقسم](٢).

هذه المعالم التي يصفها هيبوليتس في رسامة القسوس (الشيوخ المسيحيون)، تجدها في إقامة الشيخ المنتخب جديداً في المجمع اليهودي في العهد القديم. فهي ممارسة يهودية قديمة في فلسطين. أما في المسيحية فكان القسوس "**يلمسون**" فقط رأس القس المرسوم، بينما الأسقف هو الذى **يضع عليه اليد**. لذلك يفرق هيبوليتس بين "**لمس**" **اليد و"وضع" اليد** على القس المرسوم. فاللمس هو عمل القسوس السابقين عليه، أما وضع اليد فهو عمل الأسقف.

ونقرأ في **الرسالة الأولى إلى تيموثاوس** أن الأسقف تيموثاوس نال **الموهبة** (القسوسية)

---

(١) هذا الطقس الأخير لم يعد مُطبقاً الآن.

(2) Apos. Tr., VII,1 and IX,6

بوضع أيدي مجمع القسوس في أفسس (١تي٤: ١٤)، وفي الرسالة الثانية أنه نال "موهبة الله" بوضع يديّ الرسول بولس نفسه ليصير أسقفاً (٢تي١: ٦).

وفي الإسكندرية كان أسقف الإسكندرية الجديد، الذي كان يُنتخب من بين القسوس في الإسكندرية ليرأسهم، كان يُسام أسقفاً بوضع أيدي القسوس شركائه الذين تعودوا أن يسمُّوه بلقب "الأسقف". وظل هذا الوضع حتى زمان البابا هيراكلاس والبابا ديونسيوس، حينما رسم الأول أول أسقفين ليقوما فيما بعد برسامة القسوس. إذ هكذا يقرر العلامة والقديس جيروم (٣٤٧-٤١٩م) في رسالته إلى البريزفيتيروس (القس) إفانجيلوس(٣):

[في الإسكندرية ومنذ القديس مرقس الإنجيلي وحتى زمن الأسقفين هيراكلاس وديوناسيوس (البابوان الـ ١٣و١٤)، كان القسوس يختارون واحداً منهم، ويقيمونه في مركز الكرامة ويسمونه "أسقف"]

ومن هذا يظهر مجمع الشيوخ/القسوس في الكنيسة أن له شأناً كبيراً ومكانة أساسية في ترتيب نظام الكهنوت، حتى وإن كان سلطان الرسامة قد انتقل منه إلى الأسقف بعد أن تكاثر عدد الأساقفة نتيجة امتداد المسيحية في أقاليم كثيرة متباعدة، إلاّ أنه (أي مجمع القسوس) ظل قائماً كمجلس مشارك بجانب الأسقف كمثل مجلس شيوخ بني إسرائيل مع موسى النبي قديماً.

صلاة الرسامة:

يقول كتاب التقليد الرسولي:

يقول الأسقف:

[اطّلع على عبدك. املأه من روح النعمة والمشورة،
ليشترك في القسوسية،

---

(٣) كما ورد في *رسائل القديس جيروم* - الرسالة ١٤٦: ١. النص عن:
John T. Lienhard, SJ, *Ministry*, M. G., Wilmington, Delaware, p. 161

وليدبر شعبك بقلب نقى،

حتى إذ يمتلئ من حكمتك، يعلّم شعبك.

كما اطّلعت على شعبك الذى اخترته، وأمرت موسى أن يختار له الشيوخ الذين ملأتهم من روحك الذى سبق أن أعطيته لعبدك، الآن أيضاً يا رب اجعل أن يكون ذلك علينا أن يحل روح نعمتك بلا توقف. وأنعم علينا إذا آمنّا بك أن نخدمك في وحدانية القلب].

وتضيف صلوات رسامة القس في مخطوطة القرن الثالث عشر:

[امنحه روح حكمتك ليمتلئ من **أعمال الشفاء**،

وليكمل **أعمال الكهنوت** على شعبك،

وأما الذين يقتربون إليه أيضاً **فيجددهم بحميم الميلاد الجديد**]

ويصرخ الأرشي ذياكون:

[فلان قسيساً **على المذبح المقدس بالبيعة المقدسة الجامعة الرسولية كنيسة الله بالمدينة المُحبة للمسيح فلانة. فلان** قسيساً **على هيكل بيعة الله الجامعة بالمدينة المُحبة للمسيح فلانة**]

ويصرخ الأسقف قائلاً:

[تدعوك يا فلان قسيساً **على المذبح المقدس** الذى دُعي للأرثوذكسين]

ويلاحظ من هذه الصلوات ما يلي:

١.القس **سيشترك في مجمع "القسوسية"**.

٢.الأسقف معتبر بمقتضى وظيفته أنه **يرأس هؤلاء القسوس** الذين جرت العادة قديماً أن يلقبهم **"شركائي القسوس"** لأنه كان واحداً منهم قبل رسامته أسقفاً.

٣.من الملاحظ أن صلوات الرسامة تحدد أن الروح الذى يوهب للقس المختار هو الروح **"الذى سبق أن أعطيته لعبدك (موسى) ومنه للسبعين شيخاً (بريزفيتيروس)"**. أي روح المشورة.

٤. بينما وظيفة القس في صلوات الرسامة بحسب هيبوليتس تنحصر في **التعليم والتدبير** (وهؤلاء يسميهم بولس الرسول **"الشيوخ المدبرون حسناً"** و**"الشيوخ المعلمون"** (١تي٥: ١٧)؛ نجد في صلوات الرسامة في مخطوطة القرن الثالث عشر أنه أُضيفت لهاتين الوظيفتين **"أعمال الكهنوت"** أي:

1. **تقدمة القرابين، أو ذبيحة الإفخارستيا،**
2. **كذلك أعمال الشفاء:**

أ) سواء الجسدي في سر مسحة المرضى،

ب) أو الشفاء الروحي كما في سر التوبة والمصالحة.

٥ . في صلوات الرسامة الواردة في مخطوطة القرن الثالث عشر، يُرسم القس مرتبطاً بمذبح كنيسة محددٍّ اسمها ومكانها "المدينة المُحبة للمسيح فلانة". لذلك فالقس يُرسم وقد تحدد في طقس رسامته (مثله مثل الأسقف) أنه:

1. **خادم مذبح أولاً،**
2. **ومرتبط بكنيسة محدَّدَ مكانها الجغرافي.**

لذلك فالقس في التقليد القبطي يُلَقَّب: **"خادم مذبح** كنيسة العذراء..." أو **"خادم مذبح** كنيسة الملاك...". إن اقتران القس بمذبح محدد هو الذى **يشهد بأن له الصفة الكهنوتية،** على حسب ما قال القديس بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين: **"الكاهن يلازم المذبح"** (عب٧: ١٣).

ولذلك أيضاً أتت القوانين المجمعية والكنسية **تحرم انتقال القس من مذبح الكنيسة التي يُرسم عليها**[٤] إلى مذبح كنيسة أخرى. وفي الوقت نفسه حرمت رسامة قس على غير مذبح كنيسة محددة في طقس صلوات الرسامة.

وتتضمن خدمة المذبح بناءً على المبدأين المذكورين:

---

(٤) قانون رقم ١٥ من قوانين مجمع نيقية، الرسل ١٤، ١٥؛ أنطاكية ٣، ٢١؛ قرطاجنة ٥٧.

١.**تقديم ذبيحة سر الشكر**. وهـي تحتوي، حسب صلوات الليتورجية القبطية، على طلبات من أجل كـل احتياجـات الكنيسـة، الروحيـة منهـا وحتـى المادية، كما في الأواشي والطلبات من أجل الخلاص، وكذلك من أجل الزروع والمياه والهواء وحتى من أجل البهائم.

٢.**خدمة الشعب، بالإرتباط بنفوس الرعية بروح الأبـوَّة الحانيـة** الـتي يُعبِّر عنهـا طلب الغفران لهم من الله، والتماس "**اشتراك الله معهم في كل عمل صالح**" يقومـون بـه، وتقديم الإرشاد الروحي لهم لتهيئتهم للتناول من الأسرار المقدسة.

الإيغومانس (القمص) وهو كبير القسوس

كلمة "**إيغومانس**" (ونطقها العربي المتداول محرَّفاً " قُمُّص") يونانيـة الأصـل **Hegoumenos** ومعناها: **مدبِّر**، أو كما يسميه كتاب الرسامات "**الهـادي**" و"**المرشـد**"، وهاتـان صفتـان مـن صفات وأسماء قبطان الباخرة وقائدها، وهما تنطبقان على مهام الإيغومانس(٥).

إقامة أو انتداب الإيغومانس، وليس ترقية:

وعملية إقامة الإيغومانس لا يسميها كتاب الرسامات "رسامة" بل "**انتداب**" و"**انتقال من طغمة (أي رتبة) القسوسية إلى الإيغومانسية**"، حيـث لا يُعـاد وضـع اليـد على رأس القس المنتدَب للإيغومانسية. إذن، فليس لائقاً أن توصف هذه العملية بأنها "**ترقيـة**" على نسق ما يحدث في المؤسسات المدنية(٦). فهي "**دعوة إلهية**" كما يسميها كتاب الرسامات، ولهـا مهـام محددة تضاف على مهامه كقس قبل الانتداب.

مهام الإيغومانس:

١.من بين مهام الإيغومانس (كمـا وردت في مخطوطـة صلـوات الرسـامة) -بالإضافـة إلى

---

(٥) ويسمى عند السريان "الربان" وهو استعارة من إسم ربان السفينة أيضاً.
(٦) عوني برسوم، *التقنين الكنسي*، مادة ١٢٤ "انعدام مفهوم الترقية في النظام الإكليروسي"- صفحة ١٢٧.

مهامه كقس- أن "**يصير أباً ومدبراً**" للرعية في الموضع الذى أُقيم عليه. كأن يكلّف بقبول اعترافات الرعية والنطق بالحلّ لهم، وكذلك التدخل في المسائل الشخصية العويصة، مثل حالات النزاع الأسري ومحاولات الطلاق. وهذه المهمة الأخيرة تحتاج إلى مَنْ يكون حاملاً لمواهب الأبوة والتدبير والروح الرئاسي، وبعد خبرة طويلة في خدمة القسوسية.

لذلك كان إيغومانس الإيبارشية يسمى **بوكيل شريعة الأقباط** في الإيبارشية، حيث كان مساعداً للأسقف أو المطران في إنهاء وفض النزاعات الأُسرية وإصدار التصاريح الشرعية المختصة بالزواج وغيره.

٢.ومن بين المواهب التي تحل على الإيغومانس موهبة "**الروح الرئاسي**"، وهو في هذا يماثل الأسقف في نوال هذه الموهبة. إذن، فيمكن أن نقول أن من مهام الإيغومانس أن يكون مركز وحدة وأداة تدبير حسن وتنسيق بين قسوس الكنيسة التي أُقيم عليها من بينهم.

كما أن من عمله - كما أوضح كتاب الجوهرة النفيسة - "**قراءة التحليل على كل قسيس يقلّس**"، أي يتلو صلاة التحليل قبل بدء القداس الإلهي، وذلك في حالة **غياب الأسقف والمطران**، فهو يُعتبر بمثابة نائب أو **وكيل الأسقف أو المطران في بعض الأعمال الرئاسية في إيبارشيته**. ولهذا السبب، فإنه أجدر مَنْ يُكلّف بأداء الخدمات العامة والمؤسسات التي تتبع الأسقف والمطران، حيث أن صفته الرئاسية والتدبيرية والنيابية عن الأسقف تؤهله لذلك.

بعض ما يمكن أن يوكل للإيغومانس من مهام

إن الإيغومانس في كل إيبارشية يمكن أن يكون خير معاون للأسقف أو المطران في تكميل مهامه المتشعبة الصعبة في الرعاية.

ففي المدن الكبيرة مثل مدينة العاصمة أو مدينة الكرسي الرسولي، فيمكن للإيغومانس أن يكون مسئولاً ومنسّقاً لخدمات الرعاية في حي أو ضاحية، ومعاوناً كفؤاً للبابا البطريرك في حلّ النزاعات والمشاكل الرعوية اليومية. فيمكن أن يُعيَّن "**وكيل البطريركية** لشئون الحي الفلاني أو الضاحية الفلانية" **من أحياء وضواحي العاصمة المترامية الأطراف**، أو "**النائب البابوي**" لبعض الخدمات العامة مثل تنظيم والإشراف على مدارس التربية الكنسية أو المعاهد اللاهوتية أو خدمة اخوة الرب أو في المؤتمرات أو حمل الرسائل إلى الكنائس الشقيقة الأخرى أو لأعمال السكرتارية الخ. وذلك على مستوى الإيبارشية أو الكرازة.

ولاشك أنه في هذه الحالة سيكون مستوجباً كرامة خاصة من الموفد إليهم بسبب صفته النيابية عن الأسقف أو البابا وبموجب تكليفه البابوي أو الأسقفي، وحسب ما أمر به القديس بولس الرسول: "**أما الشيوخ (البريزفيتيروس) المدبِّرون حسناً (أي الإيغومانسيون) فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة**" (١تي٥:١٧).

وإن حُسْن اختياره من بين القسوس وتكليفه بالمهام التي تتناسب مع المواهب الروحية التي نالها بصلوات الانتداب للإيغومانسية يمكن أن تُعطي **للخدمات العامة المختصة بالرعاية والتدبير** في الإيبارشية أو الكرازة دفعات قوية وتساهم في التنسيق بين قسوس الكنيسة الواحدة أو المنطقة أو الإيبارشية الواحدة أو كافة إيبارشيات الكرازة.

سر التوبة والاعتراف بالخطايا

الاعتراف بالخطية فعل أساسي وهام في عملية التوبة والمصالحة منذ عصر الكنيسة المسيحية الأول. وقد اختلفت طريقة ممارسته على مدى التاريخ من اعتراف علني إلى اعتراف سرّي عن بعض الخطايا المحددة.

١.والاعتراف بالخطية مذكور في الأناجيل كممارسة تلقائية من إنسان يحس بضعفه فيعترف بأنه خاطئ، مثل "بطرس" الرسول: ".. خرَّ عند ركبتي يسوع قائلاً: أخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ" (لو ٥:٨). ونجد المسيح يؤكد على مبدأ الاعتراف بالخطية في مَثَل الابن الضال "فقال له الابن: يا أبي أخطأتُ إلى السماء وقدَّامك... " (لو١٥:١٨،٢١)، وكذلك في مَثَل العشار التائب (لو ١٨:١٣). وفي سفر الأعمال نجد الاعتراف مرتبطاً بالتجديد للتوبة والإيمان بالمسيح "وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون **مُقرِّين ومخبرين بأفعالهم**" (أع ١٨:١٩).

والاعتراف بالخطايا تفصيلاً نجده مذكوراً في الرسالة الأولى ليوحنا كوضع قائم في الكنيسة في عصر الرسل، حيث يشير إلى الاعتراف بالخطايا كتمهيد لغفرانها: "إن اعترفنا بخطايانا، فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم" (١ يو ١:٩). وفي رسالة يعقوب يحث قارئي رسالته أن يعترفوا بخطاياهم: "اعترفوا بعضكم على بعض بالزلاّت" (يع ٥:١٦). فالاعتراف هنا يتم على يديٍّ القسوس.

في الكنيسة الأولى:

وفي نهاية القرن الثاني الميلادي، يصف العلاّمة ترتليانس (من شمال أفريقيا) إجراءات مصالحة الخاطئ، حيث كان المسيحيون يعترفون بخطاياهم، ويلتمسون معونة الكنيسة، ويعلنون ثقتهم في رحمة الله:

[هذا الاعتراف **Exomologesis** هو عمل نسكي ذو صفة تواضعية عظيمة... فهو يعلّم التائب أن يُلقي بنفسه عند أقدام الشيوخ / البريزفيتروس، وأن يرتمي بركبتيه أمام محبة الله، ويلتمس من كل الإخوة أن يتشفعوا من أجله)- كتاب التوبة:٩.

فعل الاعتراف بهذه الصورة، كان يتم أثناء الاضطهاد الروماني تحت إمبراطورية "ديسيوس" في منتصف القرن الثالث، حينما كان من الضروري في الكنيسة مواجهة الذين جحدوا المسيح تحت وطأة الاضطهاد ثم أرادوا التوبة والرجوع مرة أخرى.

وفي هذا الإطار يصف القديس كبريانوس عملية المصالحة مع الكنيسة أنها تتضمن "الاعتراف" **Exomologesis**، ثم وضع أيدي الأسقف على رأس التائب المعترف كإشارة إلى عودة القبول الكامل له في شركة الإفخارستيا.

وحوالي القرن الخامس، استُبدل الاعتراف العلني بالاعتراف السري. وهذا التغيير في طريقة الاعتراف يصفه المؤرخ "سوزومين" هكذا:

[ولأن طلب الغفران أصبح يستلزم الاعتراف بالخطية، بينما قرر الأساقفة منذ البدء، وهذا حق، بأنه ثقل شديد جداً أن يعلن الواحد خطاياه في محفل عام أمام الكنيسة المجتمعة كشهود، فقد اختاروا لهذا الغرض شيخاً/بريزفيتيروس/قس، **رجلاً على أعلى درجة من النقاء، رجلاً هادئاً، حكيماً، لكي يأتي الخطاة إليه ويعترفوا بأفعالهم...**](٧)

ومنذ ذلك الوقت والكنيسة تمارس سر الاعتراف بهذه الصورة الدقيقة على رجال تحتّم أن

(٧) كتاب *التاريخ الكنسي* لسوزومين ٧,١٦

يكونوا "**على أعلى درجة من النقاء، هادئين، حكماء**". وكان الأسقف هو الذى يختارهم من بين مجمع القسوس، إذ لم يكن يُسمح لأي قس/بريزفيتروس مرسوم حديثاً أن يسمع اعترافات التائبين، بل فقط الذين يختارهم الأسقف ويعطيهم حِلاً لتلقى اعترافات الشعب بموجب خطاب رسمي بذلك، وكان يسمى "**معلم الاعتراف**". (وإلى وقت قريب جداً كان هذا النظام مُطبَّقاً في الكنيسة القبطية)(٨). لذلك تذكر مخطوطة الإفخولوجيون (القرن الثالث عشر) في نهاية صلوات رسامة القس/البريزفيتروس وصية للقس في قبول الاعتراف هكذا:

[ولا بأس أن تقبل الاعتراف إذا جاء إليك أحد معترفاً بخطيته، **إن كنت مدرّباً بهذه الصناعة**. فإن القانون المقدس يقول: "إن الكاهن الذى لا يقبل المعترف، يُنفى من الجماعة". ويعقوب الرسول يُنذر المعترف ومعلم الاعتراف معاً ويؤكد أن ذلك واجب وفرض، بقوله للمعترف: "وليعترف بعضكم لبعض بخطاياكم"، ويقول للمعتَرَف له: "وليُصلِّ بعضكم على بعض"، أي الكاهن يصلي على الرعايا. "لأن من يردّ الخاطئ عن ضلاله يخلّص نفساً من الموت ويستر على خطايا كثيرة"].

ويشترط الطقس الخاص بتلقي الكاهن القس المسمَّى "**معلّم الاعتراف**" لاعترافات الشعب، أن عليه أن يتعلم أولاً ما يسميه الآباء "**الطب الروحي**" أو "**طب النفوس**"، وذلك على يد أب روحي وشيخ خبير بالمعالجة مشهور بالنجاح:

[ويجب أن تتخذ لك قبل ذلك - أي قبل ممارسة تلقى اعترافات الشعب - أباً وشيخاً خبيراً بالمعالجة، مشهوراً بالنجاح، حتى يعلّمك أن تضع الدواء والمرهم بما يلائم الوجع والجراح].

---

(٨) ذكر الأناغنوستيس وهيب عطاالله (نيافة الأنبا إغريغوريوس الآن) أنه اطلع على خطاب لدى أحد الآباء الكهنة الشيوخ في الصعيد من أسقفه يخول له حق مباشرة سر الإعتراف، وذلك بعد سيامته كاهناً بعشرين سنة. راجع مجلة مدارس الأحد ٢:٥:٣٨ (أكتوبر ١٩٤٨).

محاذير ممارسة تلقي الاعتراف دون خبرة روحية:

فليس كل قس مرسوم حديثاً مسموح له بأن يتلقى اعترافات الشعب إلا بعد أن يتعلم طب الأرواح والنفوس أولاً. وهذا العلم الروحاني، تشرح الوصية محاذير الجهل به:

[لكي لا تضع دواء العين على الرِّجْل فلا يُنتفع بذلك، وتتشدد على العضو الترابي الزمني فيصير هالكاً. وكُن سائلاً عن السن والعادة والوضع والزمان والطبع، والمكان والإمكانية والمزاج والتحصُّن "أي القدرة على احتمال التأديبات"، معتمداً في ذلك الرأفة على بنيك والتحنن. ولاطف كلاً مما ذكرناه بما يلائمه من الدواء، حتى يعود العليل من مرضه إلى حالة الصحة والاستواء.]

وتوصي الوصية المقروءة على القس يوم رسامته أن تكون حياته وخبرته الروحيتين كما يريده عليهما المسيح راعي النفوس وأسقفها هكذا:

[لِتكُنْ مَرْكِباً روحياً، يحمل البركات إلى ميناء الخلاص.

ومعلماً روحانياً نورانياً، ترفع المتعلمين إلى درجات الاختصاص.

لتستحق بهذه الصفة الأجر المتضاعف، ويسبغ الرب عليك الخير المترادف].

إذن، فمهمة الكاهن في سر الاعتراف تشمل أيضاً، ليس فقط سماع الاعتراف وإعطاء الحِل، بل وأيضاً إعطاء الدواء الروحي والتوجيه المناسب لكلٍ فرد على حدة، حسب قامته الجسدية والنفسية والروحية. لذلك فهذه المهمة تستلزم جداً من الكاهن المعرِّف أن يكون متدرباً على يد شيخ روحاني مختبر ناجح في تدبير النفوس سبق أن تتلمذ عليه الكاهن قبل البدء في تلقيه اعترافات الشعب.

وقد صار هذا التقليد في الكنيسة أن يتخذ كل **كاهن له أب اعتراف** (يسمى في اللغة الكنسية: أب ذمة)، شيخاً مختبراً هادئاً حكيماً قادراً أن يشفي النفوس المعتلّة ويترقّى بالمتعلمين والأصحاء إلى أعلى درجات الكمال. وقد وضع الآباء الكهنة والأساقفة والبطاركة أنفسهم

في وضع التلمذة "لأب ذمة" أي أب اعتراف([٩]) قبل وبعد رسامتهم، ومازال الآباء الحريصون يسلكون هكذا.

الاعتراف السري أثناء العبادة الليتورجية:

ومن بين ما شمله الاعتراف السري، نوع آخر من الاعتراف أثناء الخدمات الليتورجية ويشمل الاعتراف "على المجمرة" - مجمرة البخور. وهو لا يُغني عن الإعتراف على يد الكاهن. ويشرحه ابن كبر في مخطوطته "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" هكذا:

في خدمة رفع بخور باكر وعشية

[وينزل الكاهن يبخر باب الهيكل ثلاثاً، ويمسح البيعة كلها، والشعب والنساء والشمامسة يقبِّلون يده، وهو يباركهم. ويُستحبُّ اعتراف الإنسان بخطيته وطلبه المغفرة عند وقت تبخيره، سرّاً وبوجيز من الكلام. فقد قال بعضهم إن إخراج البخور للشعب هو بمنزلة الحيوان الذى كان يخرج - في العهد القديم - إلى خارج المحلة ويعترف مَنْ يقدمه بخطيته في أذنه، ثم يُقرَّب عنه - (يقصد طقس تقديم تيس "ذكر الماعز" الذي يعترف على رأسه رئيس الكهنة بخطايا الشعب ثم يقدمه ذبيحة رمزاً لغفران خطايا الشعب بالاعتراف وتقديم الذبيحة - راجع سفر اللاويين ١٦).

([٩]) يذكر التاريخ إسم القديس إيسيذوروس البيلوزومي (٣٦٠-٤٣٥م) كأب ذمة للقديس البابا كيرلس عمود الدين (٣٧٥-٤٤٤م)، راجع *تاريخ الكنيسة القبطية* للقس منسّى يوحنا، صفحات من ٢٩٤ - ٢٩٦. وقرأنا في نشرة صدرت في أكتوبر ١٩٣١ رسالة من أب اعتراف البابا الأسبق كيرلس الخامس (١٨٧٤-١٩٢٧) وهو القمص عبد المسيح المسعودي أرسلها له في ٢٠ برمودة ١٦٠٣ للشهداء (٢٠ أبريل ١٨٨٧ ميلادية) ينصحه ويُبصِّره ببعض التعاليم الروحية النافعة. كما قرأنا القرار البابوي للبابا الأسبق يوساب الثاني (١٩٤٦-١٩٥٦) بتعيين "أب ذمة" له أسماه "السكرتير الروحي" في عام ١٩٥٤ وكان يقيم في البطريركية إلى جوار البطريرك (كما ورد في *مجلة الأسبوع* العدد ١٥، ١٢ أبريل ١٩٥٤، السنة ٢٠، صفحة ٩). وكذلك البابا السابق الأنبا كيرلس السادس، كان القمص شنودة البرموسي (أحد شيوخ دير البراموس-تنيح سنة ١٩٧٣) أب اعترافه وظل كذلك طوال حبرية البابا كيرلس، وكان يقيم معه في البطريركية. إذن فتقليد وجود أب اعتراف للبطاركة من شيوخ البرية كان سارياً حتى وقت ليس بالبعيد.

وإذا فرغ الكاهن من تبخير الشعب كله، الرجال والنساء وأماكن الهياكل وأيقونات الشهداء والقديسين، يعود ويطلع فوق قدس الأقداس، كأنه يرفـع اعـتراف الشـعب للإله ويقول: "يا الله الذى قَبِلَ إليه اعتراف اللص على الصليب المكرَّم، اقبل إليـك اعتراف شعبك واغفر لهم جميع خطاياهم، مـن أجـل اسمـك القـدوس الـذى دُعـي علينا، كرحمتك يا رب ولا كخطايانا"](١٠).

ويقول الخولاجي المقدس (١١) إن هذه الصلاة واسمها **"سر الرجعة"** يقولها الكاهن في رفـع بخور عشية وباكر وفي القداس الإلهي أثناء قراءة رسائل بولس الرسول والإبركسيس.

وواضح أن الاعتراف على المجمـرة أو الشـورية ممارسـة قديمـة مكمِّلـة لممارسـة الاعـتراف السري على يد الكاهن (وليست بديلـة عنـه). ومنهـا يتضـح أن تكـرار الفـرص الـتي يمنحهـا الطقس الكنسي للمؤمنين أثناء القداس الإلهـي للاعـتراف بخطايـاهم ومنحهـم الحِـل(١٢)، إنمـا يهدف إلى تطهير ضمائر المتقدمين للتناول من الأسـرار المقدسـة ليكونـوا في حـال اسـتحقاق لقبول هذا السر الرهيب، حتى إلى آخر لحظة قبل التقدم للتناول.

(١٠) *"مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة"* لابن كبر صفحة ١٦١، طبعة خاصة للمهتمين بالدراسات القبطية، إعداد الراهب القس صموئيل السرياني، ١٩٩٢ (نيافة أنبا صموئيل أسقف شبين القناطر الآن).

(١١) *القداسات الثلاثة*، طبعة جمعية أبناء الكنيسة، سنة ١٩٦٠، صفحات ٥٠، ١٣٤، ١٥٧.

(١٢) بالاضافة إلى صلاة تحليل الخدام في بدء القداس الإلهي، وصلاة التحليل بعد تلاوة الصلاة الربانية التي تلو القسمة.

ثالثاً: وضع القسوس في الكنيسة الأولى

سلطة الرسل وخدمة المواهب

من المعروف أن الكنيسة في عصر الرسل لم يكن فيها سوى سلطة واحدة أقامها الرب قبل صعوده إلى السموات، تلك هي سلطة الرسول. أما ماعدا ذلك من خدمات داخل الكنيسة فهي **"مواهب"** معطاة من الروح القدس لكل واحد لإظهار الروح للمنفعة (١كو١٢:٧). وكانت شرعية هذه المواهب مستمدة فقط من ممارستها في إطار الحياة الروحية التابعة من الروح القدس والتي تُمارَس داخل الجماعة المسيحية. هذه الحياة الروحية لم تكن من صنع الكنيسة أو هي التي تخلقها من ذاتها، بل كانت عطية الله. وأما استعلانات هذه الحياة من الخارج فكانت هي المواهب. وهذه المواهب كان يتقلدها كل عضو من أعضاء الكنيسة كما يقسم له الروح (١كو١٢:١١). وبمرور الوقت استمرت الخدمات التي كان يقوم بها أصحاب بعض هذه المواهب، وهي تلك المختصة بتدبير وخدمة الكنيسة، ثم تثبتت في الكنيسة تحت أسماء وألقاب مثل: النبي المعلم، المدبِّر، والخادم (الأسقف والقس والشماس) وغيرها من المواهب التي وردت أسماؤها في (١كو١٢:٤-١٠).

خضوع أصحاب المواهب والخدام لحكم الكنيسة:

وكل هذه الخدمات كانت تؤدَّى وسط الجماعة المسيحية كإسهام في بنيان جسد المسيح (١كو١٤:٤)، ولكن دون أن يصاحبها أي نوع من التسلط من فرد على فرد أو من فئة معينة على باقي الجماعة المسيحية.

بل كان أصحاب هذه المواهب يخضعون دائماً لتقييم وحكم الجماعة المسيحية، وذلك بقصد:

- **التأكد المستمر لدى الكنيسة من صدق الموهبة التي يحملها صاحب الاسم أو الوظيفة،**
- **ولمراقبة أن تكون خدمته هادفة إلى بنيان الجسد الواحد وتدعيم وحدته في المسيح،**
- **ولمتابعة سلامة تعليمه وعدم انحرافه عن تعليم الرسل.**

وقد برزت في الكنيسة لهذا الغرض الموهبة الروحية المسماة "**تمييز الأرواح**" (١كو١٢: ١٠، ١يو٤: ١)، أي تمييز روح الحق من روح الضلال في حاملي المواهب. وهذا هو الأساس الكتابي المبكر لانعدام الاعتراف بأية عصمة شخصية لأيٍ من خدام الكنيسة.

وعلى أساس هذه المواهب نشأت وظيفة "الشيوخ/ القسوس–البريزفيتيروس". ومع لقب "**الشيوخ**" بُدئ بتلقيبهم "**آباء**" بسبب كبر سنّهم من جهة، ونظراً لخدمتهم الرعوية التي تتسم بالإشفاق والحنان الأبوي من جهة أخرى. ومن هاتين الصفتين أيضاً نال القسوس ما للشيوخ وللآباء الجسديين من "**الكرامة**" الواجبة.

وضع القسوس في الكتابات الرسولية

لكي نستطلع وضع القسوس في الكنيسة الأولى، لا نجد أفضل من رسائل القديس بولس الرسول والرسائل الجامعة (أو الرعوية) التي كتبها الرسل الآخرون (بطرس ويعقوب ويهوذا ويوحنا)، لنتتبع فيها كل ما كُتب عن القسوس من جهة وظائفهم، والمهام الملقاة على عاتقهم، والشروط والكفاءات الواجب توافرها فيهم، ومركزهم وسط الجماعة المسيحية الأولى.

الرسالة إلى تسالونيكي:

ففي رسالة تسالونيكي الأولى نجد إشارة إلى وجود **سلطة للتدبير** في الكنيسة هناك والتي لم يكن قد مضى على تأسيسها سوى شهور قليلة، والتي يخبرنا عنها القديس لوقا أن برنابا وشاول وهما في طريق عودتهما من رحلتهما الكرازية الأولى هناك انتخبا "**قسوساً / شيوخاً**" في كل كنيسة كانا يفتقدانها (أعمال١٤: ٢٣).

– "ثم نسألكم أيها الاخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم **ويدبرونكم** في الرب وينذرونكم، وأن **تعتبروهم** كثيراً في المحبة من أجل عملهم. سالموا بعضكم بعضاً".

(ثم يوجه حديثه لهؤلاء المدبرين):

– "ونطلب إليكم أيها الاخوة (أي المدبرين):

+ **أنذروا** الذين بلا ترتيب.

+ **شجعوا** صغار النفوس.

+ **اسندوا** الضعفاء.

+ تأنَّوا على الجميع.

+ انظروا أن لا يجازى أحدٌ أحداً عن شرٍّ بشرٍّ، بل كل حين اتَّبعوا الخير بعضكم لبعض،

+ وافرحوا كل حين.

+ - "صلوا بلا انقطاع. (يقول العلاَّمة أوريجانوس إن الكاهن -على مثال موسى حينما كان رافعاً يديه بالصلاة حتى غلب الأعداء "خروج ١٧:١١"- **هكذا عليه أن يصلي بلا انقطاع حتى يمكن للشعب الذي تحت رعايته أن يغلب الأعداء غير المنظورين، فإن عماليق الذين هم الشياطين يهاجمون كل من يريد أن يعيش بالتقوى في المسيح يسوع**)(١)

+ **اشكروا في كل شيء**، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم. (إقامة **صلوات الشكر / الافخارستيا** أي القداديس بانتظام وبلا انقطاع).

+ - "**لا تطفئوا الروح** (إطفاء الروح هو الاكتفاء بشكليات العبادة والاعتماد على سلطة الوظيفة، دون إقناع الروح القدس).

+ **لا تحتقروا النبوات، امتحنوا** كل شيء، **تمسكوا** بالحسن، (عدم منع المواهب ولكن وضعها تحت امتحان وتدبير)،

+ امتنعوا عن كل **شبه شر**" (الحرص على أن يكون سلوك وتصرفات الخادم فوق أي شبهة من كل النواحي).

(١تس ٥:١٣-٢٢)

هنا نجد رجالاً ذوي وظيفة روحية: فهم "**يدبِّرون في الرب**". وعليهم واجب التعليم الصحيح سواء للجماعة مجتمعة أو للأفراد كلٌ على حدة. ومسئوليتهم الرعوية تتضمن توجيه الأعضاء في سلوكهم ليكون بحسب وصايا الإنجيل. ومن مهامهم الصلاة والشكر (إقامة الافخارستيا). وهذه المهمة هي من أهم وأول أعمالهم ولا يجب أن تنقطع. وهم يضبطون النظام في العبادة الجماعية، ولكن بطريقة لا يمنع فيها القس/الشيخ الكلمات الروحية المُلْهَمة

---

(١) العظة السادسة على سفر اللاويين ٧:٣٥-١٣-٨. النص عن:

John T. Lienhard, SJ, ***Ministry***, M. G., Wilmington, Delaware, p. 69

التي ينطق بها الذين هم أنبياء (**لا تحتقروا النبوات**)، ولكن على الكنيسة أن تمارس الإفراز والتمييز لكي "**تمتحن**" كل قول، فتتمسك بما هو أصيل أي من الروح القدس فعلاً، وترفض ما هو ليس من الروح.

✠ **فالمواهب الروحية، حتى في وجود رتبة القسوس، لها مكان داخل الكنيسة**، لكن على أن تكون تحت تدبير وامتحان الكنيسة. **لأن أصحاب المواهب الروحية معرّضون أن يفلت زمامهم لو تُركوا إلى ذوات أنفسهم**، فلابد من وجود موهبة التمييز وامتحان كل شئ والتمسك بالحسن.

✠ لكن هناك أيضاً إغراءً بأن يحاول ضابطو النظام في الكنيسة **التقليل من الفرص المتاحة لأصحاب المواهب أو أن يحبسوها ويمنعوها من الظهور خوفاً على النظام أو التعليم الصحيح**. لذلك يحرص القديس بولس أن ينبِّه القسوس المدبرين إلى ضرورة تحقيق التوازن بين النظام وبين انطلاق مواهب الروح القدس في الكنيسة.

الرسالة إلى أهل غلاطية:

أما في رسالة غلاطية فنقرأ شبه عظة موجهة إلى الشيوخ/القسوس يتبعها كلام موجَّه إلى شعب الكنيسة:

الحديث الموجَّه إلى القسوس:

- "إن كنا نعيش بالروح **فلنسلك حسب الروح**،

لا نكن **معجَبين** نغاضب بعضنا بعضاً ونحسد بعضنا بعضاً،

أيها الاخوة، إن انسبق إنسان فأُخذ في زلة، **فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة** ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرَّب أنت أيضاً،

- "**احملوا بعضكم أثقال بعض**، وهكذا تمموا ناموس المسيح.

لأنه إن ظن أحد أنه شئ وهو ليس شيئاً، فإنه يغش نفسه.

ولكن ليمتحن كل واحد عمله، وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط لا من جهة غيره.

لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه."(غلاطية ٥:٢٥-٦:٥)

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس:

أما الرسالة الأولى إلى كورنثوس فهي تطبِّق بالتفصيل جوهر الرسالتين السابق ذكرهما. فالشيوخ/القسوس يجب عليهم :

١ - **أن يتفقوا** بعضهم مع البعض، **ولا يفتخر الواحد على الآخر** على أساس ثقافته أو فلسفته أو نسبه الروحي لهذا المعلم أو ذاك (أنا لبولس وأنا لأبولس وأنا لصفا).

بل بالأحرى عليهم أن يكرسوا أنفسهم لفحص ذواتهم، ليتأكد كل واحد من صلابة عمله الرعوي وتعليمه من أجل بنيان الكنيسة (أصحاح١-٤).

٢ - **أن يمارسوا واجبهم** في ضبط سلوك الجماعة (إصحاح ٥).

٣ - **أن يقيموا من بينهم قضاة** يحكمون بينهم في خلافاتهم الصغرى (إصحاح ٦)

٤ - **أن يرتبوا مسائل الزواج** -حسب توجيه الرسول -وكذا موضوع الأكل من اللحم الذى ذُبح للأوثان (إصحاح ٧-١٠).

٥ - **أن يحفظوا لنظام العبادة روح الهدوء** وعلى الأخص أثناء الاحتفال بالإفخارستيا.

ويضبطوا أقوال الأنبياء (أي يمتحنوها)، سواء كان الناطقون بكلام النبوة من القسوس أو من غيرهم (إصحاحات من١١-١٤).

٦ - **أن يكرزوا ويعلّموا بالتعليم الصحيح** المختص بالقيامة (إصحاح ١٥)

٧ - **أن يرتبوا الجمع للقديسين** (العطايا والعشور للفقراء) (أصحاح ١٦)

٨ - **أن يعتبروا سلطة تيموثاوس** باعتباره خادم الرسول. ويعترفوا برئاسة استفاناس في كل الأوقات (إصحاح ١٦).

وبلا شك، فإن موافقة الكنيسة كلها مطلوبة في هذه الأمور، ولكن بالأكثر موافقة مجمع القسوس.

الرسالة إلى أهل كولوسي:

وفي الرسالة إلى الكولوسيين يخاطب أولاً الرعاة، بالإضافة إلى توجيهات عن واجبات القسوس: الرحمة والاتضاع، السلام والتسامح المتبادل، النطق بـ "كلمة المسيح" المثمرة، التعليم شرح والأسفار، إقامة العبادة الجماعية، وبالإجمال عمل كل شئ "باسم المسيح" (٣ :

: ١٢ - ١٧).

- " فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً،

إن كان لأحد على أحد شكوى، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً.

وعلى جميع هذه، **البسوا المحبة التي هي رباط الكمال**. وليملك في قلوبكم سلام الله الذى إليه دُعيتم في جسد واحد. وكونوا شاكرين.

لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنىً، وأنتم بكل حكمة معلمون ومُنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب.

وكل ما عملتم بقول أو فعل، فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به" (كولوسي٣: ١٢-١٧).

الرسالة إلى العبرانيين:

وفي الرسالة إلى العبرانيين يخاطب القديس بولس المسيحيين ذوى العمر المتقدم في الإيمان (الشيوخ) الجديرين بأن يكونوا معلمين "بسبب طول الزمان"، لكن للأسف فقد ارتدُّوا إلى صفوف المتعلمين (٥ : ١١)، لكنه يمدحهم أنهم كرسوا ذواتهم لخدمة القديسين (٦ : ١٠). وهو يذكِّرهم بما عانوه قبل معموديتهم حينما "صبروا على مجاهدة آلام كثيرة" (١٠ : ٣٢ - ٣٤). ثم يوجه نظرهم إلى مسئوليتهم عن خدمة الرعاية للجميع (١٢ : ١٢ - ١٧) في هذا النص المبدع:

- "لذلك قوِّموا الأيادي المسترخية والرُكَب المخلعة، واصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة، لكي لا يعتسف الأعرج (أي لا يَعرِج عن الطريق المستقيم)، بل بالأحرى يُشفي.

— "اتبعوا السلام مع الجميع، والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب. **ملاحظين**[٢] لئلا يخيب أحد من نعمة الله. لئلا يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجاً فيتنجس به كثيرون.

---

(٢) وفي الأصل باليونانية **Episcopountes** أي فعل **الإفتقاد**، ونظن أن الترجمة المناسبة في هذا المجال يجب أن تكون: "**مفتقدين**".

لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسـو الـذى لأجـل أكلـة واحـدة بـاع بكوريته. فإنكم تعلمون أنه أيضاً بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة رُفض إذ لم يجد للتوبة مكاناً مـع أنه طلبها بدموع".

لاحظ أنه في هذه الآيات يركـز على "**افتقـاد النفـوس وحراسـتها**" وهـي إحـدى مهـام الخدمة الإفتقادية (**Episkopei**) **أي متابعة المؤمنين في جهادهم الروحـي اليومـي، وملاحظـة مدى تقدمهم أو تأخرهم**. إن "الافتقاد" هو أحـد مهـام الأسـقف والقـس/الشـيخ الأساسـية لتكميل عملهما العظيم والخطير في الخدمة المباشرة للنفوس.

وإضافة إلى الافتقاد يركز القديس بولس في هذه الرسـالة علـى خدمـة الوعـظ (أي الحـث على التوبة وديننونة الأفكار والأعمال لدى المؤمنين)، انطلاقاً من انتظار المجيء الثـاني للمسـيح والرجاء في سرعة مجيئه:

– "غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر قدر مـا تـرون اليوم يقرب" (عب ١٠ : ٢٥).

ثم هو يوجه كلامه للمؤمنـين عامـة لكـي يطلـب منهـم ليـس فقـط أن يطيعـوا مدبريهـم الحاليين (أي القسوس والإيغومانسيين) الحـاليين، بـل وأن ينظـروا أيضـاً إلى نهايـة سـيرة مـن انتقلوا منهم:

– "اذكروا مرشديكم الذين كلّموكم بكلمة الله...

– "أطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجـل نفوسـكم كـأنهم سـوف يعطـون حساباً، لكي يفعلـوا ذلـك بفـرح لا آنـين، لأن هـذا غـير نـافع لكـم (أي أن طاعـة المؤمنـين للقسوس والمدبرين تجعل هؤلاء الأخـيرين يـؤدون مهمتهـم بفـرح دون صعوبـات وعقبـات، موضحاً أن عدم طاعة المؤمنين للمدبِّرين أمر مؤذٍ لخلاص حياتهم هم أولاً).

– "انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم" (عب ١٣ : ٧، ١٧)

(سفر أعمال الرسل):

الخطاب الموجه إلى قسوس كنيسة أفسس:

من أبدع الكلمات والوصايا المقدمة إلى القسوس ما ورد في سفر أعمال الرسل (٢٠ : ١٧ - ٣٨). وهي جديرة بأن تُكتب بحروف من ذهب ونور وتوضع أمام ناظرَيْ كل قس لتكون دستوراً يومياً يبدأ به الكاهن يومه، وينهيه بالجثو على ركبتيه ويصلي، كما فعل قسوس كنيسة أفسس مع القديس بولس بعد انتهاء خطابه لهم.

وفي هذا النص يذكِّر القديس بولس في رسالته الوداعية إلى شيوخ كنيسة أفسس، يذكِّرهم بالرسالة الأصلية لهم وهي رعاية وافتقاد وملاحظة النفوس والتي أقيموا من أجل إتمامها. وفي هذه الرسالة نقف عند المبادئ الهامة الآتية:

أولاً: القدوة الشخصية للرسول:

يقدمها للقسوس لتكون نوراً ونبراساً ومثالاً يخدمون على مثاله:

١. أخدم الرب بكل تواضع، ودموع كثيرة، وبتجارب أصابتني بمكايد اليهود.

٢. لم أؤخر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلّمتكم به جهراً وفي كل بيت.

٣. شاهداً... بالتوبة إلى الله والإيمان الذى بربنا يسوع المسيح.

٤. لست أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة...لأشهد ببشارة نعمة الله... كارزاً بملكوت الله.

ثانياً: وصايا الرسول للقسوس:

١. "احترزوا لأنفسكم" (الاهتمام بالخلاص الشخصي يحتاج إلى احتراز شديد: "حتى بعدما كرزتُ للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً" - ١كو ٩:٢٧).

٢. ولجميع الرعية" (والاهتمام بخلاص أنفس الرعية).

٣. **مهمة القسوس الأساسية** : "التي أقامكم الروح القدس فيها (مفتقدين، حُراساً،

ملاحظين، مراقبين)([٢])

٤. لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.

ثالثاً: نبوة مستقبلية عن ظهور هرطقات في الكنيسة تتمثل في اتجاهين :

١. **قيام رعاة قساة لا تشفق على الرعية،**

٢. **ومعلمين يتكلمون** بأمور ملتوية (أع ٢٠ : ٢٩، ٣٠).

مواجهة هذا الخطر المزدوج : "**اسهروا** متذكرين أني ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد".

٣. ثم يعرض **حياة الفقر الاختياري التي يعيشها**، والعمل الدائب ليقيت نفسه والآخرين من الفقراء والمعوزين (حتى لا يثقل على الرعية بأية مطاليب مادية).

٤. ولهذا يحذر القديس بولس من **إساءة استخدام الوظيفة الكهنوتية للربح المادي الشخصي**، تلك الرذيلة التي منها تأتي الانقسامات. لذلك **يحذر القديس بولس أيضاً من الانقسامات والشجار** حول الأمور المادية.

٥. وفي النهاية، ولدى ذكر قرب انتقاله، يستودعهم لله ولكلمة نعمته، أي يستودعهم لكل ما عند الرسول من رسالة سامية وقوة إلهية تضمنان استمرارية الرسالة الرعوية الموكلة إليهم. وهما ما يجب أن يحتفظ بهما الكاهن دائماً في جدة وتجدد دائمين طوال أيام خدمته.

رسالة القديس يعقوب الرسول:

فإذا ما انتقلنا إلى الرسائل الجامعة (أو الكاثوليكون)، فإننا نجد في رسالة القديس يعقوب الرسول إشارات إلى وظائف أخرى للقسوس:

([٢]) الترجمة البيروتية تقول "أساقفة". فظهر هنا اختلاط بين الأعمال المنوطة بالقس وبين إسم لقب الأسقف. ولعل السبب في ذلك هو أن الكلمة اليونانية الأصلية المستخدمة في النص هي: **Episkopus**، فظنها المترجم العربي أنها تعني لقب "أساقفة"، لكنها تعنى **مهمة وعمل المدبرين والرعاة: "مفتقدين، حراساً، ملاحظين"**، وهي استعارة لفظية للوظائف التي ترتبط في الحياة الريفية بصورة راعي الخراف، واستخدمت في الكنيسة لتصوير وظائف الخدمة الرعوية المنوطة بكلا الأسقف والقس.

١.ففي حالة المرض يؤدون سر **مسحة المرضى** بالصلاة والدهن بالزيت باسم الرب (٥ : ١٤ – ١٥). وهذه الخدمة أختص بها القسوس بعد أن كان يقوم بها مؤمنون يحوزون موهبة الشفاء. ولكن بسبب شيوع بعض حالات ادعاء وجود هذه الموهبة دون وجودها فعلاً، فقد حُصرت الصلاة من أجل الشفاء في سر مسحة المرضى الذى يجرى بواسطة القسوس مع التأكيد على الشفاء الروحي أكثر من الشفاء الجسدي فقط: "وإن كان قد فعل خطية تغفر له".

٢.ويتبع هذه التعليمات توجيه النظر إلى أن القسوس يقومون **بخدمة تلقي اعترافات الشعب وأدائهم خدمة الشفاعة من أجل الغفران (صلاة الحِل)**: "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات. وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفَوا" (عدد ١٦ من نفس الأصحاح). فخدمة سر مسحة المرضى التي يقوم بها القس ليست أصلاً لشفاء الجسد بقدر ما هي أولاً وأساساً لشفاء الروح.

٣. كما يكمل القديس يعقوب سرد واجبات القس، فيذكر **خدمة رد الضال إلى طريق الحق**، مبيناً عظمة هذه الخدمة أمام الله، بتسمية من يقوم بها أنه "يخلّص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا"(يع٥: ١٩). وهذا يعنى أن هذه الخدمة ليست قاصرة فقط على القسوس، لأن القديس يعقوب يقول: "إن من ردَّ خاطئاً عن طريق ضلاله"، فهو يريد أن يخاطب القسوس بأنه إن كان تخليص نفس من الموت هو مهمة كل عضو مؤمن في الكنيسة، فكم بالأولى تكون مهمة القسوس الذين أقامهم الروح القدس حُراساً وملاحظين على النفوس لئلا يخطفها أحد من يد المسيح.

رسالة القديس بطرس الأولى:

أما في رسالة القديس بطرس الأولى فنجد محاولة للتأكيد على ما سبق وأكده القديس بولس من **تعددية المواهب**، وفي الوقت نفسه ضرورة وجود **انضباط لحرية الروح داخل الكنيسة**، والتي تمنع في ذات الوقت أي مفهوم للنظر إلى الأمور من جانب واحد، وكذلك **منع التسلط على الخراف داخل الكنيسة** (١بط٤: ١٠، ١١).

ويخاطب القديس بطرس موجهاً الحديث إلى "الرعاة" كما إلى "الشيوخ/القسوس"،

بالتحديد، مكرراً نفس كلمات القديس بولس في أفسس:

- "ارعوا رعية الله التي بينكم، **نُظَّاراً (أو مفتقدين وملاحظين)**(٤) لا عن اضطرار بل بالاختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط، ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية. ومتى ظهر رئيس الرعاة، تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى" (١بطـ٥ : ١ -٤).

والقديس بطرس هنا يوجه النظر إلى "**رئيس الرعاة**" الذى هو المسيح "**الراعي الصالح**"، لِيُظهر منذ البداية **مركز المسيح في البنيان الرئاسي الكهنوتي في الكنيسة أنه هو على "رأس" هذا البنيان ورئيس هذا التنظيم الروحي**. فحضور المسيح الرأس والرئيس في الكنيسة لا تحجبه أية رئاسات أو ألقاب بشرية، لكن هذه الرئاسات بالأحرى **تعيد وتحقق حضور المسيح وتمجُّده وسط الكنيسة التي هي جسده**.

ثم هو يصف نفسه باتضاع شديد وببساطة أشد واضعاً نفسه كواحد من الشيوخ:

- "**أنا القس**(٥) شريككم"، وذلك لكي ينفي أي تفكير في أنه يظهر بمظهر من يُنصِّب نفسه في وضع أعلى منهم أو متسلط عليهم، بالرغم من مركزه الرسولي المكرَّم.

- و"الشاهد لآلام المسيح" (امتياز خاص للرسول).

وأيضاً هو يستدعي إلى أذهان قارئي رسالته **انتظار المجئ الثاني المرتقب** للرب يسوع المسيح الذى هو **المرجع والسلطة العليا النهائية والحقيقية في الكنيسة**. فالمسيح هو "**الراعي**" و"**الأسقف**" الحقيقي للنفوس (١بط ٢ : ٢٥).

وبناء على ذلك فإن الأشخاص البشريين المتقلدين الرتبة الإفتقادية التدبيرية في الكنيسة لابد أن يعطوا **الأولية والرئاسة الكاملة "للرب"**. أما القسوس فهم بالذات وبمقتضى كونهم رعاة تحت إمرة "**رئيس الرعاة**" فلأنهم يحوزون نصيباً في خدمته الكهنوتية وعمله الرعوي، فإذا صاروا "**أمثلة للرعية**"، فسينالون سلطان تقديم المسيح كمثل أعلى لرعاياهم (١بط ٢ : ٢١)، وسوف يمتحن المسيح الرئيس والراعي الأعظم الرعاة الأرضيين في اليوم الأخير (١بط ٥ : ٤).

---

(٤) "مفتقدين" هكذا وردت في القراءة التي تتلى أثناء رسامة القس، كما وردت في مخطوطة القرن الثالث عشر وابن كبر. راجع الحاشية رقم (٢).

(٥) "القس" هكذا وردت في القراءة التي تُتلى أثناء رسامة القس – عن مخطوطة القرن الثالث عشر وابن كبر.

سفر الرؤيا:

هذا الإحساس الجديد بسمو الدعوة الكهنوتية وعلوّ مسئولية ووظيفة القسوس، نجد له أعظم تعبير في سفر الرؤيا للقديس يوحنا الرائي، حيث يصور الأربعة والعشرين قسيساً المحيطين بعرش الله لابسين ثيابهم البيضاء (ثياب الخدمة الليتورجية) ومكلّلين بالأكاليل الذهبية (رمز تزكية الإيمان)، ثم وهم يلقونها أمام الجالس على العرش (أي مُعطين كل التزكية والمجد للمسيح رئيس الرعاة والكاهن الأعظم وحده رافضين كل تكريم يعطيه لهم البشر)، بينما يرفعون أصواتهم بالتسبيح والتمجيد لله وللحمل (رؤ ٤: ٤ ، ١٠؛ ٥ :١١، ١٤؛ ٧ :١١؛ ١١ :١٦، ١٩ :٤).

إنه المنظر الأصلي الحقيقي الذى تنطبع منه آلاف المناظر داخل كنائس الله على الأرض حينما يقف القسوس أمام الله والحمل الكائن على المذبح، يُقدمون الشكر (الإفخارستيا) والتمجيد (الذكصولوجيا) للجالس على العرش.

في الرسائل الرعوية:

أي الرسائل المرسلة إلى أساقفة، مثل الرسالتين إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس.

١.ويريد القديس بولس أن يوضح أنه إذا تقلد إنسان وظيفة الكهنوت، فمن الطبيعي أن يتوقع الآخرون، وعلى الأخص الذين أُقيم عليهم، أن **يكون جديراً بهذه الوظيفة**. فإذا أثبت ذلك، فعلى الآخرين أن يعطوه **الكرامة اللائقة** (١تي ٣ :١٣). وعلى المؤمنين ألاّ "**يستهينوا**" برعاتهم، سواء بسبب حداثة سنهم (١تى ٤:١٢)، أو لأي سبب آخر (تيطس ٢ : ١٥).

٢.والقسوس/الشيوخ باعتبارهم الخدام الرسميين في الكنيسة، والذين تصير حياتهم وسيرتهم مكشوفة أمام الآخرين، **لابد من توفير الحماية والحصانة لهم:**

- فالشكاية ضد أي منهم لا يُعتدُّ بها إلا إذا كانت **بشهادة اثنين أو ثلاثة شهود**. يقول القديس بولس الرسول للأسقف تيموثاوس صريحاً: **"لا تقبل شكاية على قس (بريزفيتروس) إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود"**(١تي ٥ : ١٩).

٣.وتظل الوظيفة الروحية معتبرة أنها "**خدمة**" ليسوع المسيح (١تى ١ : ١٢، ٤ : ٦).

٤.والاحترام الواجب من الجميع لمتقلدي هذه الرتبة أكد عليها الإنجيل بكل وسيلة. فنجد

القديس بولس يحث تيموثاوس الأسقف أن يحترم القسوس حتى وهو يسائلهم ويصححهم:

– وصية للأسقف بخصوص قسوس إيبارشيته: "لا تزجر قساً (بريزفيتروس)، بل عِظْه كأب" (١تي ٥ : ١).

٤. وطبيعة وعمل هذه الوظيفة هي روحية في طبيعتها. وهي تتضمن التعليم. فالقس يجب أن يلاحظ نفسه بالنسبة للتعليم الصحيح لأنه بهذا "يخلِّص نفسه والذين يسمعونه أيضاً" (١تي ٤ : ١٦).

٥. وهذا التعليم يجب أن يقدمه بكل أسلوب ممكن:

– "عظ. وبخ. انتهر.. في وقت مناسب (أي إذا دُعيت) ووقت غير مناسب (وحتى إذا لم تُدعَى)" (٢ تي ٤ : ٢)، وعلى الأخص ضد أصحاب الأفكار والتعاليم الفاسدة. على أن يحرص أولاً على أن يقدم في شخصه النموذج الحي والقدوة لتعليمه:

– "كن قدوة للمؤمنين في الكلام، في التصرف، في المحبة، في الروح، في الإيمان في الطهارة" (١تي٤:١٢)،

– "مقدماً نفسك في كل شئ قدوة للأعمال الحسنة" (تيطس ٢ : ٧).

٦. ومن أجل سلامة تعليمه لابد أن يعكف دائماً على الدراسة والبحث والاستزادة من معرفة أسرار الإيمان:

– "إلى أن أجئ، اعكف على القراءة" (١ تي ٤ : ١٣).

٧. ولابد أن يكون أيضاً مستعداً، وهو يخدم الإنجيل، أن يتألم من أجل المختارين كما يفعل الرسول نفسه، مُهيئاً نفسه لهذا المنهج في الخدمة والحياة:

– "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدُون" (٢ تي ٣ : ١٢).

رسائل القديس يوحنا الثلاث:

صورة واقعية جميلة للشيخ "البريزفيتروس":

هذه الصورة الواقعية الجميلة أو المثالية نراها جلية في الرسائل الثلاث التي أرسلها القديس يوحنا الرسول. وفي هذه الرسائل يلقب نفسه بـ "الشيخ" أو "البريزفيتروس" (٢ يو ١، ٣

يو ١). وهو نفس اللقب الذى أطلقه القديس بطرس الرسول على نفسه كما أوضحنا سابقاً. والقديس يوحنا، بهذا الوصف، لا يقصد طبعاً أنه واحد في مجمع القسوس في الكنيسة. بل هو يقف كنبي وكمعلم، وأولاً طبعاً **كرسول** يسوع المسيح. ثم هو، بحسب التقليد اليهودي الذى يحمله، أحد **شيوخ مجمع الرسل الإثني عشر** الذين أحاطوا **بالرابي والمعلم الأكبر الرب يسوع المسيح**. وبهذه الصفة هو يرسل رسائله إلى المؤمنين التابعين لكرازته.

بعض معالم خدمة القسوس وحياة المؤمنين:

• إن تابعيه هؤلاء معروفون بعضهم للبعض، ويمارسون الشركة المتبادلة (٢ يو ١٢، ٣يو١٢). وكل الجماعات والمجموعات المؤمنة تنظر إلى القديس يوحنا الرسول أنه أبوهم الروحي:

• "يسلم عليكِ أولاد أختك المختارة" (٢ يو: ١٣). و"المختارة" هو لقب الكنيسة "المختارة" للخلاص وللميراث الأبدي. وهو يضع ثقة خاصة في بعض الأعضاء ويسبغ عليهم محبة خاصة "إلى غايس الحبيب الذى أحبه بالحق" (٣ يو: ١). ومن بين هؤلاء الأعضاء هناك من يقدم خدمة الضيافة للاخوة والغرباء والمبشرين المتجولين (٢يو ١٠، ٣ يو ٥).

• وهم يشهدون بعضهم عن البعض بالحق الذى فيهم وبالسلوك الذى يسلكونه بالحق وبمحبتهم (٣ يو ٣، ٦، ١٢). هذه الشهادات المتبادلة تظهر بجلاء صدق أمانتهم ليسوع وللحق وللوصية التي من الآب (٢ يو : ١، ٤).

ومن الملفت للنظر أن هذه الشهادات المتبادلة بين الأعضاء يدخل فيها أيضاً **امتحان المعلمين للتأكد من أن تعليمهم هو من الله:**

– "أيها الأحباء **لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح** هل هي من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم" (١ يو ٤ : ١).

لقد كانت الكنيسة شعب الله، ومازالت هي التي تمتحن كل تعليم وفكر وكل سلوك يسرى في الكنيسة من قِبَل المعلمين والمدبرين. وهذه الموهبة معطاة من الله للكنيسة (في أشخاص النخبة الذين يمكنهم أن يقيِّموا ويزنوا الأقوال والتصرفات والأفعال) من أجل حفظ التقليد الرسولى نقياً طاهراً.

ولكن **"الشيخ/البريزفيتروس"** بمبادئه وتعاليمه وشهاداته الرسولية عن الحرية والحق، واجه

مقاومة من البعض مثل "ديوتريفس" الذى قال عنه "الذي يحب أن يكون الأول بينهم" (شهوة التسلط التي تغري أحياناً المتقلدين لموهبة الرئاسة). وقد رفض رسائل القديس يوحنا، وكان يمنع الذين يستضيفون مبعوثيه إلى الكنيسة (٣ يو ٩). نفس السلوك الذى يسلكه الكثيرون في كل زمان ضد رسائل الحق الإلهي.

ويبدو أن "ديوتريفس" هذا كان قائداً في إحدى المجموعات المؤمنة التي تخضع لكرازة القديس يوحنا الرسول. وفي الغالب كان يستغل طاعة الأعضاء وخضوعهم له لكي يتشامخ على معلمه القديس يوحنا الرسول، ويفترى عليه بأقوال خبيثة (٣ يو : ١٠).

ولكن كيف واجه "الشيخ البريفيتروس" خصومه الذين هم في الوقت نفسه خصوم الحق؟

لقد حزن بأسى شديد، لكنه لم يستخدم حقوقه كرسول في مواجهة الإنسان الآخر، ولا أضاع الوقت في تفنيد ادعاءاته. لكنه يستند على السلطان الحي الذى يتقلده، **سلطان "الحق"**، وحين يتسلح بالحق يتقدم لمواجهة "ديوتريفس" **وجهاً لوجه**، ليقنعه ويقمعه عن الاسترسال في مقاومة الحق (٣ يو : ١٠)، بقوله الهادئ :

- "من أجل ذلك إذا جئتُ فسأذكِّره بأعماله التي يعملها هاذراً علينا بأقوال خبيثة".

ويدعو كل فرد في الشعب:

- "**أيها الحبيب لا تتمثل بالشر بل بالخير، لأن من يصنع الخير هو من الله**، ومن يصنع الشر فلم يُبصر الله"(٣ يو : ١١).

إن الحق يحمل برهانه في داخله، وليس محتاجاً كثيراً إلى البراهين الخارجية عنه.

ولا شك أن هذا الأسلوب الهادئ في مواجهة الاضطراب في الكنيسة كان هو سمة الرسل جميعاً. فالقديس بولس واجه الاضطراب الذى حدث في كورنثوس بنفس الأسلوب في رسالته الأولى الأصحاحين ٣و٤، وختمهما بقوله :

- "ولكني سآتي إليكم سريعاً إن شاء الرب، فسأعرف ليس كلام الذين انتفخوا بل قوتهم" (١ كو ٤ : ١٩).

• المواجهة الشخصية، وليس مقاطعة الإنسان المخطئ، هي الأسلوب الأمثل لحل الكثير من المشاكل، وإعادة السلام للنفوس، وإرجاع أواصر المحبة التي انقطعت، والبرهان الأكيد على أننا نتعامل معاً كأولاد الله وأولاد الحق والمحبة.

♦معنى "صادقة هي الكلمة إن ابتغى أحد الأسقفية، فيشتهي عملاً صالحاً" (اتي ٣ : ١)؟

كلمة **"الأسقفية"** هنا ليست هي الرتبة بما يصاحبها من مظاهر الكرامة والتسلط والأبهة عند البعض. لأن التقليد النسكي الروحي الملازم للتقليد الرسولي يوصى بالزهد في الوظائف التي قد يقع حاملها في تجربة الكرامات والسيادات، "ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعُو من الله كما هارون أيضاً" (عب٥:٤). ولكن المقصود بكلمة "الأسقفية **Episkopes**" هنا مضمون الرتبة الإفتقادية وهو **"عمل افتقاد النفوس وحراستها وملاحظتها"**، وهو عمل شاق جداً وبالتالي فهو ممدوح جداً أمام الله.

لذلك أتينا على شرح هذا القول هنا في القسم المختص بالقس "البريزفيتروس" وليس في القسم المختص بالأسقف "إبيسكوبوس"، لأنه ينطبق على فعل **"الأسقفية"** وليس على لقب الأسقفية والتي ترتبط عادة في أذهان الناس، نتيجة لسلوك البعض، بمظاهر التسلط والأبهة والبذخ(٦) لذلك تبدو هذه الآية غريبة أحياناً على مسامع الناس.

أما مضمون الوظيفة الروحية المسماة **"الأبيسكوبيس"**، ما دامت ليست هي الكرامة والوجاهة والأبهة، ولا هي وظيفة المتقدمين في العمر ينالها الإنسان تلقائياً بمجرد بلوغه هذا العمر، فهي وظيفة روحية سامية الغاية عالية المقدار، **إذا ابتغاها الإنسان فيجب أن يكون كفؤاً لها. لذلك يُتبِع الرسول هذه القول، بذكره شروط الأسقف :**

- **"فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم"**

حتى لا تتحول الوظيفة الروحية إلى مجرد مظهر وسلطة. ويحدد الرسول شروطاً وكفاءات هي الحد الأدنى لما يجب أن يتوفر في شاغل هذه الوظيفة، وهي مطلوبة في الأسقف كما في القسوس، من حيث أن الأسقف كان قبل انتقاله للأسقفية قساً في الكنيسة.

ومما يؤكد شمولية هذه الشروط على كلٍ من الأسقف والقس، أن القديس بولس في

---

(٦) إن تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية حافل بسير الأباء البطاركة والأساقفة والقسوس الذين أعطوا الصورة الحسنة والقدوة في حفظ صفة **"العمل الصالح"** للرتبة الإفتقادية، سواء في ممارسة خدمتهم في بذل وتفان دون إعلان، أو في حياة الزهد والنسك والبعد عن مظاهر الأبهة والسلطان، أو في عدم البذخ في اللبس والمعيشة والإحتفالات. مثل البابا بطرس الجاولي والبابا كيرلس السادس من البابوات في العصر الحديث، والأنبا ابرآم أسقف الفيوم والأنبا صرابامون أسقف المنوفية والقمص ميخائيل ابراهيم والقمص بيشوي كامل وغيرهم.

رسالته إلى تيطس يأمره أن : "تقيم في كل مدينـة **شـيوخاً/بريزفيتـيروس**" ثـم يتبعهـا مباشـرة بقولـه: "لأنـه يجـب أن يكـون **الأسـقف** بـلا لـوم..."(تيطـس١:٥-٧). فهـو يقصـد بكلمـة "**الأسقف**" هنا "**المفتقد والحارس والملاحظ للنفوس**" سواء كان في رتبة الأسقفية أو في رتبـة القسوسية، كما شرح ذلك الإرتباط القديس جيروم(٧):

[في الرسائل إلي تيموثاوس وتيطس نجد كلاماً عن رسـامة الأسـقف والديـاكون أمـا عـن البريزفيتـيروس/القـس فـلا نجـد شـيئاً. ذلـك **لأن البريزفيتـيروس مُتضَمَّـن في الأسقف، فالكلمة الأولى (البريزفيتيروس) تشير إلى السن والثانيـة (الأسـقف) إلى الرتبة**]

عن الرسالة ١٤٦ إلى القس إفانجيلوس

(7) النص عن: **John T. Lienhard, SJ, *Ministry*, M. G., Wilmington, Delaware, p. 162**

رابعاً: الشروط الشخصية لحاملي الرتبة الافتقادية:

يمكننا أن نعرض هنا بالتفصيل **الشروط الشخصية لحامل الرتبة الافتقادية** (أسقفاً كان أو قساً) هكذا :

- **بلا لوم** (١ تي ٣ : ٢، تيطس ١ : ٦، ٧).
- **بعل امرأة واحدة** (١ تي ٣ : ٣ : ٢، تيطس ١ : ٦).

والمقصود أن **لا يكون له أكثر من زوجة واحدة**، وذلك في مواجهة الوضع التاريخي المؤقت الذى كان سائداً في العصر المبكر للمسيحية، حينما كان ينضم للمسيحية الرجل الوثني وزوجاته، وكانت وصية الإنجيل ألاّ يطرد الزوج من يَزِدْن من زوجاته على زوجة واحدة (١) تنفيذاً لمبدأ المسيحية زوجة واحدة لزوج واحد. والشرط هنا ينصبُّ فقط على كلمة **"واحدة"** وليس على كلمة **"بعل امرأة"**.

فبالنسبة للأسقف، لم يكن من شروط الأسقفية الحتمية أن يكون الأسقف متزوجاً، فهذا تعسف في تفسير النص لأن الزواج في حد ذاته لا علاقة له بشروط وكفاءات الأسقف أو القس. لكن المقصود هو حالة الزواج **من الأمراة الواحدة**، وهذا الشرط جاء لكي يكون الخادم بلا أية ملامة من جهة القدوة بخصوص شريعة الزوجة الواحدة. أما بالنسبة للقس فالزواج حتمي من قبيل تسهيل قيامه بالخدمة الإفتقادية باعتباره هو الخادم المنخرط في خدمة الأسر من رعية الله (كما حتم بذلك مجمع نيقية المسكوني وذلك بعد خطاب الراهب القبطي القديس والمعترف بفنوتيوس الذي ناشد فيه المجمع المسكوني بعدم تحريم اختيار متزوجين للقسوسية)(٢).

---

(١) (١ كو٧:١٢-١٤) "إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها. والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها، فلا تتركه. لأن الرجل غير المؤمن مقدَّس في المرأة، والمرأة مقدَّسة في الرجل، وإلا فأولادكم نجسون، وأما الآن فهم مقدَّسون".

(٢) راجع كتاب: *الشرع الكنسي*، صفحة ١٠٩، ١١٠. ويلاحظ أن الذي عارض تبتل القسوس هو راهب لم يتزوج. وذلك انطلاقاً من إدراكه لأسرار الطبيعة البشرية وضعفها وإحساسه العميق بمتاعب القسوس، إذا كانوا متبتلين، وهم متداخلون وسط العائلات. فأراد أن يمنع عنهم هذا النير الثقيل. وهذا هو ما نردُّ به على الذين يهاجمون الرهبنة أنها "حياة غير طبيعية فمن أين للرهبان روح الأبوة وحنان العاطفة". أليس هذا الراهب يحمل روح الأبوة بأقوى ما فيها من عاطفة سامية وهو يشفق على القسوس في كل مكان وزمان؟

- **صاحياً** (أي غير مُدمن الخمر) (١ تي ٣ : ٢، ٣، تيطس ١ : ٧)
- **عاقلاً** (أي متعقلاً، ضابطاً لنفسه). (١ تي ٣ : ٢، تيطس ١ : ٨)
- **محتشماً** (١تى ٣ : ٢)
- **مضيفاً للغرباء** (١تي ٣ : ٢، تيطس ١ : ٨)
- **صالحاً للتعليم** (١تي ٣ : ٢، تيطس ١ : ٨)
- **ولا ضرّاب** (١تي ٣ : ٣، تيطس ١ : ٧)
- **ولا طامع بالربح القبيح** (١تي ٣ : ٣، تيطس ١ : ٧)
- **حليماً غير مخاصم** (١تي ٣ : ٣)
- **ولا محباً للمال** (١تي ٣ : ٣)
- **باراً ورعاً** (تيطس ١ : ٨)
- **غير حديث الإيمان** (١تي ٣ : ٦)
- **يجب أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج** (١تي ٣ : ٥).
- **غير مُعجب بنفسه** (تيطس ١ : ٧).

ويلاحظ أن هناك **شرطين** يؤكد عليهما الرسول **بتحذيرين** شديدين إذا تمت مخالفتهما:

الشرطان: أن يكون:

- غير حديث الإيمان،
- له شهادة حسنة من الذين هم من خارج.

التحذيران:

- "لئلا يتصلف فيسقط في دينونة إبليس"،
- و"لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس".

ليت هذين الشرطين يكونـان ذا اعتبـار شـديد لـدى جميـع مـن هـم منـوط بهـم انتخـاب واختيار خدام كنيسة الله، التزاماً بوصية الرسول وتفادياً لتحذيريّه الشديدين. فحديثو الإيمـان لم يكونوا مقبولين، ومعنى هذا الشرط الآن أن حديثي الخبرة الروحية أيضاً ممنوعون.

- لذلك كان الأسقف يُختار من نخبة العـابدين الناسـكين لعشـرات السـنين ممـن يُطلـق عليهم "الرهبان الإسكيميون".

- أما القسوس فكانوا يُختارون من المتقدمـين في العمـر أو ممـن لا تقـل أعمـارهم عـن

الثلاثين، وممن يكونون متزوجين ولهم أولاد في الإيمان:

- يدبر بيته حسناً وله أولاد في الخضوع بكل وقار (أي أولاد مؤمنين) (١تي ٣ : ٤، تيطس ١: ٦)

وفي وصف شروط القس/البريزفيتيروس من جهة هذا الأمر، يستخدم القانون الكنسي كلمة: "أن يكونوا في زي الشيوخ":

[يجب للقسوس أن يكونوا في زي الشيوخ، وقد جازوا عن حد أن يلامسوا امرأة.]

القانون الثالث عشر من القوانين ال٧١

وكلمة "**في زي الشيوخ**" المقصود بها أن يكون متحلياً بحكمة الشيوخ ورزانتهم ووقارهم وطول أناتهم وحسن بصيرتهم، حتى وإن لم يكن قد بلغ سن الشيوخ.

وهذا الشرط يتنافى مع رسامات القسوس بعد زواجهم مباشرة أو بعد وقت قصير لا يكفي لاختبارهم كمدبرين لبيوتهم حسناً، "**وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله**"(١تي ٣ : ٥).

- ورسوخ المدعو للكهنوت في الإيمان أمر حتمي، حيث تكون أسرته ذات صيت قوي في التقوى، تُقرأ فيها الأسفار المقدسة منذ الأجيال القديمة بانتظام، كما شهد بذلك القديس بولس الرسول عن أسرة تيموثاوس : "إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذى فيك، الذى سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكى... " (٢ تي ١ : ٥)، وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة..." (٢تي ٣ : ٥).

وبالإجمال فإن كل الفضائل المطلوبة في المؤمن العادي ورب الأسرة المسيحية هي مطلوبة بالأكثر، بل وأكثر منها، في شاغلي وظيفة تدبير الكنيسة ومفتقدي النفوس.

أول صفة : الاتضاع:

وأول صفة يجب أن تتوفر في شاغل الوظيفة الكنسية "**الإتضاع**". لذلك يجب عليه أن "يلاحظ نفسه" (١تي ٤ : ١٦). إنه لأمر جد خطير أن "يتصلف فيسقط في دينونة إبليس (أي يتكبر ويسقط في خداع النفس)" (١تي ٣ : ٦). إن الله وحده هو القادر أن يهب خدامه القوة التي يحتاجونها كل واحد في عمله، كما يقول الرسول نفسه: "...وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قواني..."(١تي ١ : ١٢). فإرجاع الفضل إلى قوة الله لابد أن

يكون دائماً على لسان الكاهن، وإنكار الذات والاتضاع لابد أن يكونا في قلبه لكي تحل عليه قوة الله. لذلك لابد أيضاً أن يسعى ليكون دائماً مُزكّى أمام الله (٢تي ٢ : ١٥). وليكون متقوِّياً "بالنعمة التي في المسيح يسوع " (٢تى ٢ : ١).

✠ **ولكن من أين يستمد صاحب هذه الوظيفة شجاعته وقوته لأداء عمله ؟**

الرسول بولس يُذكِّره بحقيقة دعوته، وبكلمات محددة، بطقس رسامته ووضع الأيدي عليه (١تي ٤: ١٤). ففي هذه اللحظات المقدسة، فإن الكاهن يؤتمن على التقليد الرسولي الذى أصبح دليله ومرشده سواء في حياته الشخصية أو في خدمته وتعليمه للشعب. وبهذا يكون متسلحاً ومتجنداً لكي يحارب المحاربة الحسنة (٢تي ٢ : ٢ – ٤، ١تي ١ : ١٨، ٤ : ١٤). إن المسئولية التي أخذها على عاتقه يوم دعوته ورسامته هي ثقيلة، وليس الجميع ظلوا أمناء عليها (١تي ١ : ١٩). ولكن الله لم يعطِنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنُصح (أي ضبط النفس)" (٢تي ١ : ٧). فإن هو أوفى بأمانة مطاليب دعوته، وإن لم يكلّ أو يملّ من إضرام الموهبة التي فيه (٢تي ٦ : ١)، فإنه سيمضى قُدُماً في حياته وخدمته بضمير صالح. وسيرجو، مثل بولس نفسه، أن يُكمِّل في يوم من الأيام جهاده بسلام، وينال إكليل البر (٢تي ٤ : ٧ – ٨).

والقديس بولس يسمى الكاهن (أسقفاً كان أو قساً) "**رجل الله**" (١تي ٦: ١، ٢ تي ٣ : ١٧)، ويراه مسنوداً في أداء واجبه في تدبير الكنيسة ليس فقط بصفاته الروحية ولا حتى بمواهبه الطبيعية مهما كانت نافعة، بل مسنوداً ومؤيَّداً أيضاً بالتقليد الرسولي والدعوة الرسولية التي دُعي إليها، أي بموجب التزامات الوظيفة نفسها وبالسلطان الذى تقلده من هذه الوظيفة، باعتباره "**وكيل صالح لله**" و"**وكيل سرائر الله**" (١كو ٤ : ١، ١بط ٤ : ١٠). **فهو ليس وكيل إنسان بشري على الإطلاق.**

إن تقلد الإنسان وظيفة الخدمة الإفتقادية هو عمل كنسي روحي سرائري. وأخطر لحظة في طقس رسامته هي "وضع اليد" عليه المسمى "الشيروطونيا([٣])– أو الشرطونية" لنقل موهبة وقوة الروح القدس. لذلك فالرسامة عمل سرائري يوصل للمرسوم نعمة فاعلة فعالة تتناسب مع نوع وظيفته.

([٣]) النطق العربي للكلمة اليونانية **Cherotonia** أي وضع اليد. راجع شرح هذه الكلمة في البند رقم ٥ من الفصل الثاني من القسم الثاني من هذا البحث.

وهذا هو أساس اليقين الذى يحس به الكاهن أنه مدعو من الله، والذي يعترف الشعب بموجبه بجدارته واستحقاقه. ولكن هذا يوجب بالتالي على الخادم المرسوم أن يضع نصب عينيه دائماً أن يتمم مطاليب والتزامات دعوته الإلهية، ويثبت ذلك بأفعاله قبل أقواله.

✥ ولكن كثيراً ما يساور الكاهن إحساس التوتر حينما يرى **الفجوة بين دعوته الإلهية وبين ضعفات حياته البشرية اليومية**. والقديس بولس يقهر هذا التوتر ويسدُّ هذه الفجوة بأن يُخضع وجوده البشري كل يوم لعمل النعمة، وذلك بأفعال **إماتة الذات** التي يمارسها كل يوم، حتى ينال مجدداً من الروح القدس وحده نعمة الحياة الجديدة المجددة التي تتوافق مع دعوته: "من أجلك نُمات كل النهار... ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رو ٨ : ٣٦، ٣٧).

✥ **وفعل إماتة الذات هذا يعطي للسر الكنسي الذى ناله الكاهن بالرسامة معناه الحقيقي**. فسرُّ الكهنوت لا يعطي الكاهن عصمة شخصية أو تأميناً سحرياً ضد الخطية والخطأ، لذلك فإن أفعال الإماتة اليومية هي مطلب حتمي للكاهن، لأنه بجانب عمل النعمة في سر الكهنوت هناك مسئولية الكاهن الشخصية أن يحفظ مفعول السر فيه جديداً مجدداً.

القانون الكنسي، وأهميته في حفظ الطبيعة الروحية للكنيسة:

ولذلك وبموجب هذا الوضع السرائرى للخدمة الإكليروسية، ولأن الوظيفة الكهنوتية أصبحت جزءاً من التنظيم الكنسي، وإذ هي الأداة لحفظ التعليم الرسولي، ظهر **القانون الكنسي ليحفظ العلاقة بين الوظيفة والتعليم الرسولي. فالقانون الكنسي** عنصر أساسي في الحفاظ على دوام الطبيعة الروحية للكنيسة وأصالة خدماتها التي تؤديها للمؤمنين.

فالأسقف أو القس، وهو مسئول عن توفير مناخ الإيمان والحياة المسيحية في الكنيسة، فهو باعتباره المعلم والمرشد للمؤمنين، **مُقيَّد أن يراعى كل القوانين والقواعد والحدود المنظِّمة للحياة الكنسية**. وهذه القوانين تتمثل في ما يسميه القديس بولس **"الاعتراف الحسن"** (١تي ٦ : ١٢) الذى يذكِّر به الرسولُ بولسُ تيموثاوسَ دائماً أنه اعترف به يوم رسامته أمام شهود كثيرين (هم أعضاء شعب كنيسته التي قُسم عليها)، **وهو التعهد بحفظ التعليم الرسولي والتمسك به والكرازة بموجبه**.

لذلك، يجب أن يحرص الكاهن (أسقفاً كان أم قساً) في كل خدمته وتعاليمه وأقواله وتصريحاته أن لا يحيد عن التعليم الرسولي وعقيدة الآباء وحدود وقوانين الكنيسة.

ومن أجل الحفاظ على حدود الوظائف الكهنوتية والتدبيرية في الكنيسة، قامت المحاكم الكنسية، كما يجمل ذلك **القانون التاسع والعشرون من قوانين الرسل:**

[في تأديب الكهنة والرؤساء:

ولا يجترئ أحد من الرؤساء والأئمة أن يتعدَّوا الأمر الذي نُدِب له (كل واحد منهم)، ولا يتجاوز الأمر الذي قلَّدوه إياه وجعلوه له.

بل يكون له فيه الأمر والنهي والسلطان بما ينبغي ويجب له أيضاً، مما لا يلحقه فيه خطية ولا لائمة، ولا يكون عليه فيه مقال]

لذلك شرَّعت المجامع المكانية والمسكونية طريقة تأديب ومحاكمة المخالفين من الرؤساء والكهنة دون استثناء أحد.

خامساً: بعض ملامح لوضع القسوس في الكنيسة الأولى

١.القديس كلمنضس الروماني (حوالي سنة ٩٦م.)

هو أسقف روما في القرن الأول. أرسل إلى شعب كنيسة كورنثوس رسالة يعالج فيها مشكلة بعض أعضاء الكنيسة الذين قاموا بالتمرد على سلطة قسوس الكنيسة. ولم يذكر القديس كلمنضس أسباب الخلاف، لكنه دعا الجميع إلى المحبة والوحدة واحترام كل واحد الآخر، وموبخاً الذين تطاولوا وأخطأوا.

ومن بين المبادئ الهامة التي وردت في هذه الرسالة عن العلاقة بين القسوس والشعب ما يلي:

- **[الكبير لا يمكن أن يوجد بدون الصغير، ولا الصغير بدون الكبير]**، والمنفعة المشتركة تكمن في هذا المزيج المتبادل والمكمل بعضه للبعض. (٣٧: ٥).

- **كل عضو يجب أن يضع اعتباراً للآخر ولا يزكي أحد نفسه، بل يزكيه الآخرون** (٣٨: ١).

- **ولكن هذا لا ينبغي أن يعطل طقس رتب الكنيسة.** فلابد من معرفة حقوق وواجبات كل رتبة: فهو يحتم خضوع الصغير للكبير، المرأة للرجل، الشباب للشيوخ، وجمهور المؤمنين للقسوس والأساقفة والشمامسة؛ أما الطرف الآخر (أي الكبير، سواء كان الرجل أو القسوس أو الشيوخ في العمر...الخ)، فهم من جانبهم يؤدون خدمتهم تجاه الطرف الأصغر بالإتضاع (٤٤: ٣).

ويشهد كلمنضس بأن القسوس في كورنثوس أحد أطراف النزاع أدوا خدمتهم **"بلا لوم"**. لذلك فالكنيسة، أي الشعب، **يجب أن يتخذوا قرارهم بدون أي ضغط أو إكراه من فئة ما.** ووجَّه الحديث لكنيسة كورنثوس بأنهم يجب أن ينصتوا بملء حريتهم، لا لإكلمنضس ولا لكنيسة روما، بل للروح القدس المتكلم في رسالته (٥٦: ١؛ ٥٩: ١؛ ٦٣: ٢).

ولكن من الجهة الأخرى، فإنه مقابل وقوف هذه الرسالة إلى جانب القسوس ضد قسم

من الشعب، نجد موقفاً آخر في وثيقة رومانية أخرى من نفس التاريخ تقريباً تحمل تحذيرات للقسوس.

هذه الوثيقة هي:

٢. كتاب الراعي لمؤلفه "هرماس" (حوالي أواخر القرن الأول):

وكاتب هذه الرسالة واسمه هرماس معاصر لإكلمنضس الروماني. وقد كتب كتابه في زمن متأخر قليلاً عن زمن كتابة رسالة كلمنضس، وهو لا ينتمي إلى طغمة القسوس. وبمقتضى رؤاه واستعلاناته الروحية، فإننا نفهم أنه من فئة مَنْ كانوا يسمَّون قديماً بـ "الأنبياء" وهم الذين نالوا موهبة "النبوة" إحدى مواهب الروح القدس (١كو١٢: ١٠)، والذين كانوا يعظون الشعب و الإكليروس ويحذرونهم ويوبخونهم بشدة إن أخطأوا، ويدعون الجميع إلى الاستعداد لمجيء المسيح الثاني.

ويقول هرماس إنه نال سلطان الحديث إلى القديسين، أي إلى أعضاء الكنائس، سواء كنيسته أو الكنائس الأخرى. ويُبدى رغبته في أن يرسل كتابه هذا للقسوس في روما على يد "كلمنضس"، وغالباً هو كلمنضس الروماني الأسقف. وهنا يظهر بوضوح **العلاقة المتناغمة المتآلفة بين الرجال الروحيين أمثال هرماس وبين رجال الإكليروس في الكنيسة مثل الأسقف كلمنضس**، وهو لا يتحرج أن يدعو إلى التوبة " **قادة الكنيسة**"، تماماً كما يدعو كافة المسيحيين إلى التوبة (الرؤى ٣: ١: ٨).

• وهو **يحذر الرعاة**: [ويل للرعاة إذا ضلّت غنماتهم، هل يحتجون بأنهم هم الذين أُعثروا من خرافهم؟] (الأمثال٩: ٣١، ٥).

• **ويدعو إلى التناغم والتآلف بين درجات الخدمة المختلفة:**

القدوة: - [كيف تحاولون أن تعلّموا المختارين، وأنتم أنفسكم لستم متعلمين] (الرؤى ٣: ٩، ١٠).

٣. القديس إغناطيوس الأنطاكي (استشهد حوالي سنة ١١٠):

وما بين زمن كلمنضس الروماني وهرماس في روما، نلمح صورة أخرى للكنيسة في أنطاكية، من خلال رسائل القديس إغناطيوس أسقف أنطاكية الشهيد في القرن الثاني، وهى

قليلة في عددها، صغيرة في حجمها، وقد كتبها في رحلتـه الأخيرة الـتي حطّـت بـه في رومـا ليصير فيها شهيداً.

وفي هذه الرسائل لا ينحو القديس إغناطيوس النحو القانوني كمـا في رسـالة كلمنضـس، ولا النحو النقدي كما في كتاب "الراعي" لهرماس. ولكنه يقدم اختباره عن الكنيسة:

فالكنيسة هي سرٌّ حي، وهي في مجموعها **متحدة بالمسيح** الذى هـو كلمـة الله المتجسـد الآتي إلى العالم (الرسـالة إلى مغنيسـيا ٨: ٢). إنهـا **حقيقـة إلهيـة سـرية Mystical** تنتمـي إلى الأبدية. هذه الرؤيـا الروحيـة للكنيسـة يربطهـا القديـس إغنـاطيوس بمفهومـه الخـاص للبنيـان الوظيفي الكهنوتي في الكنيسة. فالكنيسة ككيان حي يُستعلن ويظهر من خلال هـذا الشـكل الخاص **لنظام الأسقفية والقسوسية والشماسية** في الكنيسة [الذين بدونهم لا يمكن أن يوجـد ما يسمى بالكنيسة] – الرسالة إلى ترال ٣: ١؛ إلى بوليكاربوس٦: ١.

• هذا التنظيم الكنسي يعتمد على أن الوظيفة الأسقفية وباقي الوظائف الكهنوتية تشـترك في قداسة جسد المسيح العام. لذلك **فوحدة الكنيسة** لها قيمة كبرى لدى إغناطيوس، لأنهـا هـي العلامة الأكيدة على العنصر الإلهي في الكنيسة وعلـى اتحادهـا بالمسـيح وبـالآب (الرسـالة إلى ترال ٣: ١؛ الرسالة إلى بوليكاربوس ٦: ١).

وحينمـا لا يمـل القديـس إغنـاطيوس مـن المنـاداة **بـالوحدة والاتفـاق والتـآلف والسـلام والتناغم والترابط، والمحبة التي لا تنفصم** التي يجب أن تسود داخل الكنيسة؛ فإن ذلك يرجـع إلى أنه كان داخلاً في معركة لا تهدأ ضد الهرطقة. فهـو يكيـل الضربـات، بمقاومـة لا تهـدأ، للعلم الكاذب الاسم (أي الغنوسية الهرطوقية) والذي سبَّب الانقسام:

[تجنبوا الانقسامات، لأنها أصل كل شر]

(الرسالة إلى سميرنا٧: ٢؛ الرسالة إلى فيلادلفيا ٢: ١؛ ٩: ١و٣؛ ٧: ٢، ٨: ١)

• **فالوحدة وعدم الانقسام لهما أساس لاهوتي وتوجُّه إلهي عند القديس إغناطيوس:**

[صلاة واحدة، توسل واحد، ذهن واحد، رجاء واحد في المحبة، في الفرح الذى بـلا عيب، الذى هو يسوع المسيح]

(الرسالة إلى مغنيسيا ٧)

والوحـدة عنـد القديـس إغنـاطيوس **ليسـت توحـداً وانفـراداً**، كمـا في المفهـوم الحسـابي للوحدة، بل هي وحدة **في تناغم وفي اتفاق وتعاطف بين المتعددات**، وهي **كاتحاد وتآلف بين**

كثرة من **الأجزاء**. وفي هذا التشبيه يميل القديس إغناطيوس دائماً إلى استخدام مَثَل الموسيقى(*)، فهو يشبِّه علاقة القسوس بالأسقف بأوتار القيثارة نفسها، **فالأسقف ومجمع القسوس يجب أن يكونوا في تآلف وترابط واشتراك في العمل، ليخرج لحن تمجيد الله رائعاً.**

من كل هذا الحديث عن طبيعة الكنيسة كما يؤمن بها القديس إغناطيوس، ومن هذه الرؤية الفائقة على رؤى الأرض، يدعو إغناطيوس المؤمنين إلى **طاعة القسوس والشمامسة**، ويدعو الجميع إلى طاعة الأسقف، في تناغم، كخورس واحد يجتمعون في معبد واحد وحول هيكل واحد وأمام المسيح الواحد (الرسالة إلى مغنيسيا ٧: ٢).

• **فالوحدة عند إغناطيوس هي وحدة حول المسيح وآلامه الحقيقية التي تألم بها "في الجسد"**. وهذه الآلام هي التي يُقام الاحتفال بها في سر الإفخارستيا، هذه الحقيقة السرائرية للكنيسة كلها، مع إكليروسها وأسقفها.

هذه المقارنات بين الكنيسة والتدبير الإلهي تأتي عند القديس إغناطيوس تلقائية وطبيعية، من حيث أن القديس إغناطيوس يتخذ مرجعه دائماً ويتحصن في **الإنجيل وفي جسد المسيح وفي كتابات الرسل (وهي الكتابات الوحيدة التي كانت متوفرة في أيامه)**، بل **وفي مجمع القسوسية** في الكنيسة (فيلادلفياه: ١).

وبهذه المقارنات والتشبيهات، فإن القديس إغناطيوس حينما يدعو إلى طاعة الأسقف والقسوس والشمامسة **فهو أبعد ما يكون عن "الأوتوقراطية" التي هي حكم الفرد المطلق**:

* **ففي إدارة الكنيسة يشكل القسوس مجلساً معه** (إلى مغنيسيا٦: ١٣؛ إلى ترال٣)،

* وهم معه **"كالأوتار بالنسبة للقيثارة"** (إلى أفسس٤)،

* **وطاعة المؤمنين لهم هي طاعة "بحسب ناموس يسوع المسيح"** (إلى ترال٣)، **أي أنهم يطيعون الأسقف والقسوس في حدود تعاليم الإنجيل والتقليد ووصايا المسيح**. وهذا هو التقليد الأرثوذكسي في علاقة المؤمنين بالإكليروس.

(*) أفسس٤؛ فيلادلفيا١: ٢ ؛ رومية ٢: ٢). ومن المعروف أن القديس إغناطيوس كان موسيقياً ألّف ولحّن ترانيم تؤدَّى بطريقة الأنتيفونا – أي بطريقة الترديد بين خورسين متقابلين.

• ومن الملفت للنظر أن القديس إغناطيوس لا يؤمن بوجود فئة عليا تتسلط على المؤمنين، لأنه يعتبر أن المسيحيين هم مثلـه تماماً: **"حـاملون الله – ثيئوفـوروس"، و"حـاملون المسـيح – خريسـتوفوروس"، و"حـاملون القداسـة – هـاجيوفوروس"**. وكـل هـذه الصفات وصف بها المؤمنين كما وصف بها نفسه. **لكن وسط هؤلاء المتشحين بـا لله وبالمسيح وبالقداسة، يقف الأسقف ليجسد كـل هـذا النمـوذج الروحـي في نفسـه ليكمله ويحققه بأكثر وضوح كمثل أعلى وكقدوة للمؤمنـين**. وبهـذه القـدوة يمكـن للأسقف أن يكون على مستوى وظيفته.

٤.القديس جيروم (٣٤٧-٤١٩م)

يقول القديس جيروم لأحد الكهنة([1]):

* كلمة "كليروس" تعني "نصيب". الإكليروس يُدعَوْن هكذا إما لأنهم هم نصيب لـلرب أو لأن الرب نفسه هو نصيبهم.

* الإنسان الذي يقتني الله ويقول مع النبي "نصيبي هو الـرب" (٧٣:٢٦)، لا يكـون لـه شئ بجانب الرب، لأنه إن كان له شئ آخر غير الرب فالرب لن يكون نصيبه. فـإن كـان له ذهب أو فضة أو أملاك أو أثاث فاخر، فالرب لـن يرضـى بـأن يكـون نصيبـه جنبـاً إلى جنب مع هذه الأنصبة.

* كن حريصاً أن تكون فوق أي شبهة، ولا تدع الناس يظنون فيك ما ليس فيك.

* إقرأ الأسفار الإلهية كثيراً. وتعلم منها مـا يجـب أن تُعلِّـم بـه. واحفـظ هـذه الكلمـات الثمينة المختصة بالتعليم، حتى يمكنك أن تعلِّم التعليم الصحيح: "لاحظ نفسك والتعليـم... اعكف على القراءة... تمسك بصورة الكلام الصحيح... وأما أنت فاثبت على مـا تعلمـت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت" (١تي ٤:١٦؛٤:١٣؛ ٢تي ١:١٣؛٣:١٤).

* حينما تعظ في الكنيسة، فلا تستثر في الناس **تصفيقهـم** بـل **تنهداتهـم للتوبـة**. فدمـوع مستمعيك، لا تصفيقهم، يجب أن تكون هي مجدك. لأنه ما أسـهل خـداع غـير المتمكنـين والجماعة قليلة المعرفة بلسان مستملح! فحينما لا يفهمون يصفقون أو يصمصمون!

([1]) Jerome, *To Nepotian*, cit. in Joseph T. Lienhard, SJ, *Ministry*, 1984

سادساً: العلاقة التاريخية بين القسوس والأسقف

١ – المجال الجغرافي لخدمة كل منهما:

مجال عمل الأسقف:

مجال عمل الأسقف هو الـ **Diokesis** (باليونانية) وبالإنجليزية **Diocese**، وبالعربية نسميها "إيبارشية" وهى النطق العربي للكلمة اليونانية **Eparchia**، والتي توصف بها الوحدة الإدارية في التقسيم الإداري للدولة في النظام المركزي للحكومة الرومانية قديماً.

وتشمل الإيبارشية الكنسية مدينة أو عدة مدن في المحافظة في التقسيم الإداري للدولة والقرى المحيطة بها. وفي القديم كان لكل مدينة في المحافظة أسقف، بينما أسقف عاصمة المحافظة كان يُدعى **"المتروبوليتيس"** باليونانية وتعني **أسقف المدينة الأم أو أسقف أم المدائن**. وتُنطق "المِطران" بالعربية، وهو الأسقف المتقدم بين أساقفة مدن المحافظة، وكان يشكل معهم مجمع أساقفة مدن المحافظة.

مجال عمل القس:

أما مجال عمل القس فهو يسمى بالـ **Paroichia** (باليونانية) وتُنطق باريخيا، وتسمى بالإنجليزية **Parish**. و"الباريخيا" مصطلح مأخوذ عن الترجمة السبعينية للكتاب المقدس (العهد القديم). ويعبِّر عن مجموعة من المرتحلين معاً الغرباء في أرض غريبة عن وطنهم، أو تعني مجموعة من السكان المتجانسين الذين يعيشون متجاورين في مكان واحد. وليس لهذه الكلمة في اللغة العربية في كنيستنا القبطية ترجمة. ومن المهم تحديد اسم لهذا المجال الرعوي للقس لاستخدامه في التعامل اليومي الكنسي بين الأسقف والقسوس، ويمكن تسمية مجال خدمة القس باسم **"رعوية"**، أي المجال الرعوي للقس. والقس يسمى **"كاهن الرعية"**، فيقال رُسم فلان قساً على مذبح كنيسة العذراء ليخدم رعوية منطقة كذا أو مدينة كذا أو حي كذا.

٢ - كيف اختارت الكنيسة لقب "الأسقف" وميَّزته عن لقب "القس":

١. **في المجتمع اليوناني القديم**، كانت الوحدة الاجتماعية هي "**المدينة**" **POLIS** ذات الحكم المحلى الذاتي كأنها جمهورية قائمة بذاتها؛ بينما **لدى اليهود** كانت الوحدة الاجتماعية هي الجماعة العابدة في "**المجمع اليهودي**". لذلك كان يوجد أحياناً في "**المدينة**" الواحدة عدة "مجامع"، وبالتالي عدة مجالس شيوخ متعددة.

٢. أما **في الكنيسة المسيحية**، فقد اتخذت لنظام رعايتها:

أ. "**المدينة POLIS**" كوحدة أساسية (حسب النظام الروماني) ويرأسها الأسقف،

ب. ويتبعها **الجماعات المسيحية العابدة في الأنحاء المتفرقة من أحياء المدينة** (حسب نظام المجامع اليهودية). **وكل جماعة من هذه الجماعات تسمى "الباريخيا Paroichia"**. وهذه يرأسها القسوس كمندوبين عن الأسقف.

وحتى القرن الثاني الميلادي كان لقب "**الكنيسة**" أو "**كنيسة الله في مدينة كذا**" مرادف لمعنى "**الكنيسة الجامعة**"، ولم يكن هناك أي رباط للتنظيم بين الكنائس المحلية بعضها والبعض، بل كانت كل كنيسة تدبر نفسها بمجمع قسوسها ويرأس هذه المجامع الأسقف.

٣. **وفي القرن الثالث** بدأت الكنائس **تحس باحتياجها إلى الاتحاد** فيما بينها، ولكن دون أن تشكل تنظيماً اتحادياً (على نمط الاتحاد الروماني بين ولايات الإمبراطورية الرومانية في العالم التي كانت كل ولاية فيها تدبر نفسها بنفسها ولكن تحت إمرة الإمبراطور الروماني). وهكذا بدأت تظهر هذه الوحدة الكنسية بطريقة تلقائية بين الكنائس الأربع الكبرى: **روما، الإسكندرية، قرطاجنة، أنطاكية**.

٤. وكان الأسقف هو المعتبر أنه الكاهن والمعلم لكل رعيته الذين سبق أن ولدهم جديداً من جرن المعمودية. وكان هو الذى يقيم ليتورجية الإفخارستيا بمعاونة كل الشمامسة ومحاطاً بكل القسوس، وهو الذى يناول الأسرار للشعب.

+ولكن ظهرت **الحتمية التي واجهت الكنيسة بسبب الاضطهاد الجديد** الذى أثاره ديسيوس وفاليريان على المسيحية، ثم نتيجة لموت الأسقف استشهاداً أو لنفيه أو لجوئه إلى مكان آمن، إذ وجدت كثير من الكنائس نفسها في منتصف القرن الثالث محرومة من رئيسها الليتورجي السرائري. فالقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة كان غائباً عن كنيسته لمدة ١٤

شهراً. ولنفس السبب وفي نفس الفترة الزمنية كان أسقف الإسكندرية ديونيسيوس غائباً عن الإسكندرية. وفي نفس الوقت تقريباً ترملت كنيسة روما مرتين ، وذلك لمدة عامين، بعد استشهاد أسقفها سيكستوس الثاني مع مجمع شمامسة الكنيسة الرومانية.

✚**ولأن الاحتفال الأسبوعي بالافخارستيا في كل كنيسة كان أمراً حيوياً** من أجل تجديد وتثبيت الحياة المشتركة للمؤمنين، أصبح واضحاً أنه يتحتم وجود مندوبين للأسقف في الكنائس المختلفة للقيام بالخدمات الليتورجية والصلوات على الراقدين وتذكارات الشهداء والاهتمام بالمسجونين بسبب الإيمان (والذين يُسمَّون "المعترفون").(1)

كل هذا **جعل من القس أنسب من يمثل الأسقف** في الاحتفالات بإقامة الإفخارستيا في أحياء المدينة، ولا عجب فالأسقف كان قبل رسامته قساً وعضواً في مجمع القسوس.

✚**وفي مجمع نيقية المسكوني** (سنة ٣٢٥م.) والمعتبر المرجع لكل المجامع المسكونية والمكانية اللاحقة، اعترف المجمع في سياق نص القانون ١٨ أن القس مُعتبر ضمن الذين "يقدمون/يرفعون**Prospherousi** " القرابين.

✚ولكن القس لم يعُد فقط يتشابه مع الأسقف في رفع القرابين، بل وأيضاً في إجراء سر المعمودية، وكذلك في سر المسحة المقدسة الذى كان يؤديه الأسقف وحده (بوضع اليد قبل شيوع المسح بالزيت المقدس).

✚ويقول أحد الكُتاب المسيحيين في أواخر القرن الرابع هو أمبروزياستر (حوالي سنة ٣٨٠م): [إنه في الإسكندرية وفي كل مصر حينما يكون الأسقف غير متواجد، يعطى القس سر المسحة المقدسة أو التثبيت](2)

✚كما أنه **بتداعي نظام الاعتراف العلني والتوبة العلنية** وتحوُّلهما إلى اعتراف وتوبة سريين، أصبح للقسوس مسئولية إعطاء الحِل عن الخطايا، بعد أن كانت قاصرة على الأسقف وحده.

✚ويقول القانون ٤ من قوانين هيبوليتس: [الأسقف يساوى القس في كل شئ، عدا

---

(1)وفي رسالة رقم ٥ من رسائل القديس كبريانوس (القرن الثالث) يذكر قيام قس يعاونه شماس بالاحتفال بسر الإفخارستيا للمعترفين داخل السجن.

(2)*Liber Quaest.* Ci,5, cited in *The Apost. Minis.*, p. 317

الكرسي(٣) والرسامة، حيث أنه لم تُمنح هذه السلطة للقس].

والكاتب المسيحي **أمبروزياستر** يوضح مزيداً من التفاصيل هكذا:

[كل من الاثنين (الأسقف والقس) هو كاهن. ولكن الأسقف هو الرأس. فبالرغم من أن كل أسقف كان قساً قبل رسامته، ولكن ليس كل قس أسقفاً. لأن الأسقف هو الرئيس وسط مجمع القسوس. ويوضح الرسول أن تيموثاوس انتُخب ورُسم "قساً" بوضع أيدي القسوسية، ولكن لأنه لم يوجد من هو أعلى منه رتبة، فقد كان معتبراً أنه هو الأسقف](٤)

٤. **وفي القرن الرابع**، وكما نقرأ في كتاب التقليد الرسولي لهيبوليتس وفي رسائل القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة، **كان مجمع القسوس هو الأداة الجماعية في يد الروح القدس.** ومن ذلك التاريخ بدأ مركز القسوس يتثبت بالنسبة للأسقف: **كل قس في الموضع الذى رُسم عليه. وهكذا منع قانوني١٥و١٦ من قوانين مجمع نيقية المسكوني(سنة ٣٢٥ م) انتقال الأساقفة من الإيبارشيات التي رُسموا عليها، وكذلك أمر أن القسوس يخدمون في الكنيسة التي رُسموا عليها حتى الموت.** ودرجت المجامع الكنسية الإقليمية على تقرير نفس المبدأ، أي تحريم انتقال القسوس من كنائسهم إلى كنائس أخرى، كما حرَّمت أن يستخدم أسقف قسوسَ أسقف آخر أو أن يقبل القسوس المتنقلين من مكان إلى مكان دون خطابات من أسقفهم (مجمع أنطاكية قانون ٣، مجمع سرديقا قانون ١٧، ١٨).

٥. وابتداءً **من الربع الثاني من القرن الرابع**، وبعد السلام الذى أرسى قواعده حول الكنيسة، ثم بسبب النمو السريع في أعداد المنضمين للإيمان وازدياد بناء الكنائس، أصبح هذا الوضع (قيام الأسقف بممارسة كل الأسرار وحده) غير ممكن. وأصبح الحل الوحيد هو في ازدياد مندوبي الأسقف في أداء واجبات الأسقف الليتورجية.

وهكذا أَوْكَلَ الأسقف بعض مهامه إلى القسوس.

٦. وهكذا بدأنا نرى **قسوس الكنائس يُرسمون على مذابح الكنائس التي تقع في دائرة إيبارشية الأسقف.** فكان القس هو الذى يُعلِّم ويخدم الأسرار للجماعة المسيحية البعيدة عن

---

(٣) المقصود بالكرسي هو كرسي التعليم، أي حق إعلان تعليم الكنيسة الرسولية المُعطى للأسقف وحده.

(4) ***Comm. in 1 Tim.,iii. 10*, cited in *The Apost. Minis.*, p. 317**

موضع كنيسة الأسقف المسماة "الكاتدرائية". وكان الأسقف يزور الكنائس التابعة لإيبارشيته بين الحين والآخر باعتباره رئيس الكهنة ورئيس مجمع القسوس. ومن هذا الحين بُدئ في إطلاق لقب "كاهن" على القس، وكان هذا اللقب قاصراً على الأسقف وحده. وكان ذلك **منذ النصف الثاني للقرن الرابع(٥).**

٧. **ولكن ظل الأسقف هو الذى يجري سر المسحة المقدسة ويقوم بالرسامات الكهنوتية.** وللقديس جيروم وصف في إحدى رسائله للأساقفة وهم يتنقلون إلى ضواحي المدينة ليعطوا سر المسحة المقدسة للمعمَّدين الذين عمَّدهم القسوس.

٨. **وفي القرن الخامس استقر الوضع، فلم يعُد الأساقفة هم الوحيدين الذين يعطون سر المسحة، ولكن ظلوا هم وحدهم الذين يقومون بتقديس زيت الميرون الذى يُستخدم في سر المسحة.** واقتصر إجراء الرسامات الكهنوتية عليهم.

نشأة وظيفة "الخوري إيبسكوبوس" أو أسقف (أو رئيس) القرية:

وكان على أسقف المدينة أن يوفر لكنائس القرى خُداماً مولودين في هذه القرى لكي يقوموا أساساً بأداء سر الإفخارستيا. ولكن لم يكن مسموحاً لهؤلاء برسامة الدرجات الكهنوتية اللاحقة. وسُمي هؤلاء "خوري إيبسكوبوس" أي أسقف القرية، وكان ذلك قرب منتصف القرن الرابع – في مجمع سرديقا (سنة ٣٤٣). ولكن لم يكونوا مُعتبَرين أساقفة بكل صلاحيات الأسقف، بل قسوساً ولكن بكرامة خاصة أعلى. وكانوا يُسمَّوْن أحياناً "رئيس القرية".

على أن نظام الخوري إيبسكوبوس لم يُكتب له الاستمرار بسبب المشاكل التي نجمت عن تداخل الاختصاصات بين أسقف المدينة ومن يتبعونه من الخوري إيبسكوبيين، فبدأ هذا الطقس يتوارى إلى أن اختفي نهائياً من الكنيسة بسبب المشاكل التي حدثت من جراء أي نظام يتعدد فيه أكثر من أسقف واحد في الإيبارشية الواحدة(٦).

---

(٥) لذلك كان إجراء سر المعمودية وسر المسحة قاصراً على أيام تذكارية في السنة، مثل عيد القيامة وعيد الغطاس.

(٦) راجع تاريخ هذه الرتبة في: N&P.N.FATHERS 2nd Series, Vol. xiv, pp. 21-23. وكتاب "مجموع الشرع الكنسي" صفحات من ٦٥-٦٩.

سابعاً: أساس العلاقات الصحيحة السوية بين الأسقف والقسوس

ومن هذا المنطلق والأساس الرسوليين لوظيفة كلٍّ من الأسقف والقس، يكتب **القديس جيروم** مُعلّقاً على بعض آيات وردت في سفر أعمال الرسل ورسائل الرسل ما قد يوحي بتبادل اسم الأسقف مع اسم القس، معلقاً التعليق الروحي العملي الذى يحدد أساس العلاقة بين الأسقف والقسوس، قائلاً:

[لذلك، فبينما يجب أن يعرف القسوس كيف يخضعون لمن أُقيم رئيساً عليهم بحسب عادة الكنيسة، فليتذكر الأساقفة أنهم يرأسون القسوس بحسب عادة الكنيسة أيضاً... ولذلك فيجب **أن يدبروا الكنيسة بالاهتمام المشترك**، متشبهين بموسى الذى بالرغم من أنه كان يحوز السلطان **أن ينفرد بالرئاسة** فوق شعب إسرائيل، إلا أنه **اختار سبعين شيخاً (بريزفيتروس)**، ليساعدوه في تدبير الشعب. (كما ورد في سفر العدد ١١ : ١٦ وما يليه)].

القديس جيروم– في تفسير رسالة تيطس (١ : ٦ –٧).

بهذا التعليق الروحي للقديس جيروم، وعلى خلفية هذا العرض التاريخي الكنسي للعلاقة بين الأساقفة والقسوس، ولبروز درجة الأسقف من بين مجمع القسوس، يمكننا أن نعرض للأوضاع الصحيحة أولاً، ثم للمشاكل المعاصرة، التي تحيط بعلاقة الأسقف بالقسوس، وكيفية التصدي لها ومعالجتها.

ارتباط الرتبتين الأسقفية والقسوسية وتعاونهما معاً من أجل بنيان الكنسية:

من حيث أن كنيسة الرعية (في حي أو منطقة أو مدينة) تكوِّن هي والكنائس الأخرى في الإيبارشية الواحدة الكنيسة الواحدة، هكذا خدمة الأسقف وخدمة القس تكوِّنان معاً الخدمة الإقتادية والكهنوتية الواحدة التي أسسها في كنيسته المقدسة الرب يسوع المسيح رئيس الكهنة الأعظم.

✤ فكما أن الأسقف يمثل – أي يعيد ويحقق ويعلن حضور – المسيح داخل كنيسته في

الخدمة الليتورجية للإفخارستيا، هكذا القس تماماً، فهو يمثل بنفس القوة السـرائرية -أي يعيد حضور المسيح وسط شعب رعيته، وفي الوقت نفسه يمثل - أي يحمل في قلبه - شعب رعيته في كل مكان يحل فيه ابتداءً من الوقوف أمام المذبح المقدس إلى الحضور في مجمع القسوس للإيبارشية المجتمع حول الأسقف.

✤ فالرتبتان الأسقفية والقسوسية مرتبطتان ومعتمدتان الواحدة على الأخرى، وكلتاهما تخضعان للمسيح الذي تمثلاته وتعلنانه أمام الكنيسة. إلا أنهما - في الوقت نفسه - متميزتان الواحدة عن الأخرى. ويظهر هذا التمايز من صلوات الرسامة -كما سبق أن أوضحنا - حيث ينال الأسقف موهبة رئاسية في الكنيسة في نطاق إيبارشيته، بينما يشارك القس في مهمة الرعاية تحت تدبير الأسقف ويكون له مشيراً في إطار مجمع القسوس. وهذه الرئاسة نابعة من تفرُّد الأسقف بسلطان الرسامة للدرجات اللاحقة، ولكن باتخاذهم مشيرين له.

✤ والقسوس والأسقف يشاركون معاً، كلٌّ حسب درجته - في خدمة **الرعاية والافتقاد وملاحظة النفوس وحراستها، بطريقة مجمعية وفي شركة**. وإن للقس إمكانية أفضل للتداخل وسط العائلات وحل مشاكلهم، أكثر من الأسقف الذي يجب أن تتحدد خدمته في الرعاية من خلال مجمع القسوس وفي الإشراف والتوجيه والتنسيق.

✤ وكما أن الأسقف يؤدى مهمته من خلال مجمع القسوس ومجلس الشمامسة ومجلس الأراخنة؛ هكذا القس يمارس عمله الرعوي بالشركة مع شركائه القسوس في الكنيسة، ومن خلال مجلس الكنيسة، وبالتعاون مع باقي الهيئات داخل الكنيسة: التربية الكنسية وخدمة اخوة المسيح، وباقي الخدمات التي يقوم بها بنشاط وحماس العديدون من أعضاء شعب الكنيسة "اللاؤس".

✤ والأساقفة وهم يمارسون واجباتهم "ليفصِّلوا كلمة الحق باستقامة"، ويرأسون خدمات الأسرار، ويحفظون النظام والحق داخل الكنيسة- كما أوضحنا سابقاً، فهم يعتمدون أيضاً على القسوس في إيبارشياتهم الذين **يؤدون الأعمال الواجب على كل قس** منهم أداؤها في مجال رعويته. كما يعتمدون عليهم في أداء **بعض الواجبات العامة** المنوط بالكنيسة القيام بها.

✤ وهذا الاعتماد يتميز بأنه اعتماد يقوم على تبادل المشورة الشخصية تجاه احتياجات الرعاية وكيفية تلبيتها، كما أنه اعتماد من جهة **حوار المشورة الجماعية** التي تتمثل في اجتماع الأسقف بمجلس قسوس الإيبارشية للتداول وإصدار القرارات العامة الحكيمة. وقد ثبت أن **الحكمة الجماعية** (أي الناتجة عن الحوار وتبادل الآراء ووجهات نظر المجتمعين) أكثر

أماناً ونفعاً من "الحكمة" الشخصية التي تعتمد على الفكر الشخصي المنفرد أو وجهة النظر الخاصة دون التفاعل مع أفكار الشركاء في الخدمة الرسولية أو الرعوية. وهي مطلوبة بشدة في تدبير بيعة الله.

✠ ومن جهة أخرى، فإن القسوس وهم يؤدون عملهم الشاق في صميم حقل الكنيسة، أي الخدمة المباشرة للنفوس، فإنهم كما يتعبون ليل نهار ليُعلِّموا ويرشدوا كل واحد من الرعية على حِدة: يزورون المرضى، ويأخذون الأسرار لمن يُقعدهم مرضهم أو سجنهم عن الحضور للكنيسة، ويتلقون استغاثات الشعب للمعونة في حل المشاكل الأسرية في وقت مناسب وغير مناسب، ويصيرون المشيرين للأسرة المسيحية بكل أفرادها حتى في شئونهم الزمنية، ويعملون من أجل خلاص عائلاتهم الخاصة وعائلات الكنيسة كلها؛ فإذ هم هكذا، فلابد أن يتوفر لهم **كل تعضيد ومحبة وعناية** من قِبَل الأسقف. حقاً هم ينتظرون من الله حسن الجزاء، لكنهم بالأَوْلى يتوقعون من أسقفهم، إن لم يكن الجزاء المادي، فعلى الأقل وبالأولى المحبة والرحمة والفهم والتعضيد الكامل لهم في عملهم الرعوي اليومي. وكما يصلُّون عن ويذكرون على المذبح أسقفهم، هكذا فهم ينتظرون منه أن يفعل كل ما بوسعه من أجلهم ومن أجل عائلاتهم.

هذه هي الخطوط العريضة للعلاقات الصحية السوية بين قس الرعية وأسقف الإيبارشية، وهما كلاهما يؤديان مهامهم ويمارسون مسئولياتهم (ولا نقول سلطانهم) في حياة الكنيسة في الإيبارشية.

فلنتوقف لعدة لحظات - إذن - مع بعض المواقف الحرجة في العلاقات بين الأسقف وقسوسه التي تجعل من هذه العلاقات ظواهر غير صحية، مما تنعكس آثارها على حياة الكنيسة في الإيبارشية ككل.

بعض المشاكل المعاصرة:

حينما نتكلم عن المشاكل المعاصرة، فلا يجب أن نتوقع أن تكون هذه المشاكل جديدة، فالكثير منها مشاكل قديمة لكنها تتجدد في عصرنا.

فمن جانب الأسقف:

فإن أهم المشاكل تكمن في ما **يظنه الأسقف أن له "السلطان المطلق" في التدبير**. هذه

المشكلة القديمة الجديدة ناقشها الرب مع تلاميذه حينما قال لهم :

✥"أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً، فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأتِ لِيُخدم بل لِيَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (متى ٢٠ : ٢٥ - ٢٨)

✥"أنتم تدعونني معلماً وسيداً، وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلتُ أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأني أُعطيكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسِله. إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه" (يوحنا ١٣ : ١٣ - ١٧).

وقد أثبتنا هذا القول في سياق الحديث عن كفاءات ومؤهلات الأسقف.

✥ فقد لا يكون الأسقف دائماً في موقف الأب الحقيقي لقسوسه وعائلاتهم، غير مبال باحتياجاتهم ومشاكلهم. وفي هذه الحالة فقد يتصرف بقسوة وبلا شفقة وهو يعالج مشكلة مع أحد قسوسه فيتسرع ويوقفه عن العمل الكهنوتي والرعوي، دون مبالاة بالآثار الناجمة عن ذلك على نفسه وعلى أسرته.

✥ وقد لا يسند الأسقف قسوسه حينما يكونون في أمسِّ الحاجة إلى هذه المساندة، فقد يستمع فقط إلى أحد الشاكين ضده، أو إلى مجلس الكنيسة، أو حتى إلى أحد العاملين في مدارس التربية الكنسية، فلا يقف موقف المساندة مع شريكه في الخدمة الرعوية والذي من المفروض أنه يمثل حضوره وسط كنيسته.

✥ وقد يتسرع الأسقف فيتخذ إجراءات متعسفة ضد أحد كهنته دون إعطائه الفرصة الكاملة للدفاع عن نفسه أو توضيح موقفه، أو حتى الاعتذار عن خطئه.

العلاج:

هذه المشاكل وغيرها لابد أن تُعالج أولاً في جو من السرية وللحفاظ على مصلحة الجميع، إن كان الأسقف يريد أن يكون كفؤاً في أدائه واجبه، وأيضاً إن كان يسهِّل لشركائه في الرعاية أن يؤدوا واجبهم بضمير صالح أمام الله.

✠ ونحن لا نرى أي مبرر أو سبب لممارسة الأسقف سلطاناً مطلقاً في الكنيسة، **فترتيب الكنيسة الأرثوذكسية وتدبير إدارتها قائمان على المشاركة والشركة والمجمعية، تماماً كما أنهما يتطلبان الحق والنظام في الكنيسة.** فحفظ النظام، وأيضاً ممارسة المجمعية، عنصران أساسيان في مهام الأسقف ولا غنى لأحدهما عن الآخر في طقس تدبير الكهنوت في الكنيسة الأرثوذكسية المستقيمة الرأي.

✠ **ولن يكون إهداراً لكرامة الأسقف أن يتأنى في أحكامه** وأن يستشير مجلس قسوس الإيبارشية، أو أن يستأنس بآراء أعضاء مجلس الأراخنة، أو أن يتحقق من الإشاعات أو الادعاءات على أحد القسوس، أو أن يعطيه الفرصة، بل ويسهِّل له، الدفاع عن النفس وتوضيح موقفه، ولو أدى الأمر إلى تأجيل اتخاذ القرار.

✠ **بل بالعكس سيكون ذلك إعلاءً وتعظيماً لروح الشركة والمشاركة في الكنيسة،** ورفعاً لراية الأرثوذكسية التي تتميز بعدم إسباغ أية عصمة شخصية على أي عضو في الإكليروس. بل ستكون الكنيسة - بالنهاية وبحق قدوة ورائداً ومناراً للشعب بل وللمجتمعات العلمانية المدنية التي حولنا والتي تجتهد لكي ترسي قواعد الحوار والديموقراطية على المستوى السياسي. والشركة (أو الكينونيا) والمشاركة بالحوار التي تتميز بها الكنيسة الأرثوذكسية، هي أنجع علاج لكثير من مشاكل العصر الذى نعيشه. بينما استخدام "السلطان المطلق" دون المشورة الجماعية هو أسوأ مثل للعالم الذي حولنا عن الدكتاتورية التي عفا عليها الزمن وصارت من مخلفات عصور الظلام والجهل في النظم الشمولية البائدة، ولا يصح بأي حال أن يكون لها أي أثر في الكنيسة.

إن حرص الأسقف على انتظام أداء مؤسسات الخدمة في الإيبارشية: مجلس القسوس، مجلس الشمامسة، مجلس الأراخنة، مجلس العاملين والخدام في التربية الكنسية وهيئات عمل الخير والرحمة... الخ وغيرها من الهيئات العاملة في الكنيسة، سوف يتيح له فرصاً نادرة ومفيدة ونافعة في إصدار قراراته لتكون قرارات صائبة تسعى للصالح العام للكنيسة، أفضل من أي قرار شخصي يعتمد على وجهة نظره أو وجهات نظر بعض المقرَّبين الذين غالباً ما يسعون إلى المنفعة الشخصية من وراء تأييدهم المطلق لوجهات نظر الأسقف أو بإغرائه لاتخاذ مواقف معينة لا تجني منها الكنيسة سوى النزاعات والشقاقات وبث روح العداوة بين أعضاء الجسد الواحد، كما يحدث في أي مجتمع علماني غريب عن جسد المسيح.

✠ ومن النصوص التقليدية الملفتة للنظر والتي نحن في أمسِّ الحاجة إلى اتِّباعها اليوم، ما

ورد في الدسقولية مُخاطبةً الأسقف محذّرةً إياه من الذين يزيِّنون له اتخاذ مواقف الشدة والقسوة تجاه الخطاة والمخالفين لآرائه:

[اقبل إليك الذين يتوبون. ولا تكن قط ذا قلبين. **ولا تقبل مشورة من الذين يمنعونك ويقولون لك بغير رحمة إنه يجب أن لا تتدنس مع هؤلاء أو تتكلم معهم،** فهذا كلام الذين لا يعرفون الله، وهم يخيِّلونك (يخدعونك) بشبه كلام مَنْ لا إحساس لهم، أو هم سباع شريرة. لأن هؤلاء لا علم لهم بأنه يجب، **لا أن نتحفظ من الشركة بالكلام مع الذين أخطأوا، لكن بالأحرى أن لا نصير شركاء معهم بالفعل**]. (الدسقولية ٣ : ٦٢)

✤ من هذا النص يتضح أن أسلوب **مقاطعة الخاطئ والامتناع عن التقابل والكلام معه لا يليق بالرؤساء الكنسيين والآباء الروحيين، بل هو ممنوع ومخالف لأمر القانون الرسولي.** وقد ثبت عدم جدوى هذا الأسلوب، **بل ثبت أنه بدل أن يعالج، يترك المشاكل تتفاقم.** ولكن بدلاً من ذلك، فحينما يمسك الأسقف بزمام واجبه الرعوي كأب لكهنته ولعائلاتهم، فسيكون حساساً لنفسياتهم ومشاكلهم، حتى إذا أخطأ واحد منهم. ولن يتأخر أو يتردد في أن يتقابل مع أي واحد منهم مهما حدث.

✤ وعموماً لابد أن يكون الأسقف مسانداً لكهنته في خدماتهم الرعوية، حافظاً لقنوات الاتصال معهم مفتوحة دائماً، مسهِّلاً لهم وسائل التراجع عن الخطأ إذا أخطأوا، والتوبة إذا تابوا، مقدماً لهم بكل محبة واتضاع الأبوة مشورته وحكمته وتأييده، بل استعداده لأن "يضع نفسه عنهم" (يوحنا ١٠ : ١١، ١٥)، كراع صالح قبل أن يكون رئيساً عليهم، على مثال المسيح بالنسبة لتلاميذه.

هذا من جانب الأسقف،

أما من جانب قس الرعوية :

– فمن أكثر الأدواء شيوعاً: الانعزالية، التعصب لمصالح الرعوية، عدم اهتمام القس برعيته الاهتمام الكافي وعلى الأخص تجاه الشباب والأحداث، روح التحزب داخل الرعوية الواحدة، التغطية على مجهودات الأسقف، عدم المشاركة الجدية في المشاريع العامة للإيبارشية، المساومات والتحالفات مع مجلس الكنيسة، عدم الشجاعة في إبداء الرأي الحق، انتفاء أو نقص التعاون مع شركائه القسوس في الكنيسة أو مع الأسقف، السعي لإنشاء

مشاريع أو أنشطة عامة بروح فردية أو دون موافقة وعلـم الأسـقف، التنـافس بـين القسـوس على اكتساب تبعية الشباب وأعضاء الشعب.

✣ هذه المشاكل وغيرها تحتاج إلى مواقف من الصبر والمحبة ومحاولة التفاهم بـروح الحـوار من جانب الأسقف، بالإضافة إلى دور مجلس قسوس الإيبارشية الـذى يمثـل وجـوده عنصـراً هاماً من عناصر فضِّ المشكلات وسوء الفهم بين القـس وأسـقفه أو بـين القـس وشـركائه في الرعوية الواحدة.

العلاج:

✣ وما يجب ألا ننساه، بل وأن نعيد حضوره في الكنيسة، هو حتمية وجود الأب الروحي الشيخ الذى يتلقى اعترافات الأسقف وقسوس الإيبارشية، الذي يمكنه أن يكون عاملاً حاسمـاً في حل بعض المشكلات الآنف ذكرها.

✣ وفي صلوات رسامة القس تُتلى وصية على القس المرسوم أن يتخذ لنفسه أب اعـتراف شيخاً مختبراً لكي يرشده في حياته الخاصة وكذا ليسلمه مبادئ الإرشاد الروحي للرعية:

[ويجب أن تتخذ لك قبـل ذلـك – أي قبـل ممارسـة تلقـي اعترافـات الشـعب – أباً وشيخاً خبيراً بالمعالجة، مشهوراً بالنجاح، حتى يعلِّمك أن تضع الـدواء والمرهـم بمـا يلائم الوجع والجراح](1).

✣ فليت يعود هذا الوضع ليكون سائداً لكل قسوس الكنيسة في كل الإيبارشيات. وليكن الأسقف قدوة لقسوس إيبارشـيته في هـذا التقليـد. كمـا أن اعتكـاف القـس في ديـر أو بيـت للخلوة بصفة دورية، شهراً في السنة أو أسبوعاً كل ٣ أشهر مثلاً، سيكون عاملاً على تجديـد القوى الروحية للكاهن وفرصة لترتيب أمور حياته الروحية الخاصة وخدمته بينه وبـين نفسـه، وليكن ذلك بجدول يشمل كل قسوس الإيبارشية.

✣ كما أن عقد ندوات ومحاضرات دورية للكهنة في كل إيبارشية يتلقون فيها ويتناقشـون حول أمور الخدمة في كنائسهم، لا شك أنه سيدعم الروابـط بـين القسـوس وبعضهـم، وبـين القسوس وأسقفهم، وبين الإكليروس والشعب.

---

(1) مخطوطة ابن كبر، ومخطوطة الإفخولوجيون، صلوات رسامة القس.

إن شيوع روح الشركة والمشاركة والجمعية داخل كل كنيسة وفي كل إيبارشية يمثل عاملاً هاماً في تلافي أسباب ما يحدث من مشاكل كثيرة، وبالتالي سيعمل على امتداد العمل الرعوي ورسوخه وشموله لكافة مناحي حياة المؤمنين، والارتقاء به لما فيه المصلحة الروحية العامة للكنيسة كلها.

ثامناً: العلاقة بين القسوس والشمامسة

والأساس الرسولي لاجتماعات الكنيسة اليومية

الشماس أصلاً هو مساعد الأسقف في مهام الافتقاد وأعمال الرحمة، ولكن هنـاك ارتباطاً بين القس والشماس في أداء العبادة الليتورجية والخدمة التعليمية في الكنيسة، وذلك كمـا ورد في قوانين هيبوليتس، حيث يذكر:

[فليجتمع الشمامسة والقسوس يومياً في الموضع الذى يحدده الأسقف لهم. ولا يهمل الشمامسة الاجتماع **كل يوم** إلا إذا أعاق واحداً منهم مرضٌ. وحينما يجتمع الكل **يعلِّمون الحاضرين في الكنيسة**. وبعـد أن **يصلي الجميع** ينصرف كل واحد إلى حاله]

التقليد الرسولي ٣٣

وكلمة "كنيسة" هنا عند هيبوليتس لا يُعنى بها المبنى. ففي زمان الرسل لم يكن قد بُنيت كنائس بعد، ولكن كانت الكنيسة هي الموضع حيث يجتمع المؤمنون معاً، سواء في بيت أو عند النهر أو في أي موضع يتفق عليه المسيحيون ويصدِّق عليه الأسقف. وكان القسوس والشمامسة ينطلقون معاً اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة إلى مواضع متفرقة من المدينة تحت إشراف الأسقف.

طقوس اجتماعات الكنيسة:

طقوس اجتماعات الكنيسة التي يشير إليها هذا القانون تتضمن:

١.القراءات من الأسفار المقدسة،

٢.والتعليم،

٣.والصلوات التوسلية (المسماة الآن بالأواشي).

ولكن هذه الاجتماعات كانت بدون إقامة إفخارستيا، حيث كانت ليتورجية الإفخارستيا هي العمل المشترك للكنيسة بكل درجاتها ابتداءً من الأسقف وبرئاسته مع القسوس والشمامسة إلى كل الشعب، يشتركون فيها كل واحد بليتورجيته (أي كل رتبة بالصلوات

التي تُخصص له أن يؤديها حسب طقس الليتورجية)، وذلك ليكملوا المهمة الأساسية والعمل الحيوي لجسد المسيح، ألا وهو إقامة الإفخارستيا.

وفي وقت هيبوليتس (القرن الثاني) كانت **إقامة الإفخارستيا تتم في أيام الآحاد فقط**، وكان المكان المفضل لإقامتها هو **الكاتدرائية حيث كرسي الأسقف** كما شرحنا سابقاً. على أن هيبوليتس يضع أيضاً احتمال عدم إمكان تحقيق ذلك (القانون ٤٤) بسبب ظروف المؤمنين وبُعدهم عن مكان الكاتدرائية.

لذلك كانت إقامة هذه **"الاجتماعات اليومية"** في أماكن متفرقة من المدينة بواسطة القسوس والشمامسة عملاً حتمياً، وتشبُّهاً بفكرة **"المجمع اليهودي"** الذى كانت تُقرأ فيه الأسفار ولكن لا تُقدم فيه الذبائح التي كانت لا تُقدَّم إلا في هيكل أورشليم.

أما في هذه الاجتماعات اليومية، فكان القسوس يمارسون مهمة من أهم مهامهم الأساسية وهي **"التعليم"**، مع الاحتفاظ بأن تكون عظة الأحد من نصيب الأسقف وحده. وظل الأمر يجري بهذا النظام حتى مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م.

مجالات اشتراك الشمامسة مع القسوس في الخدمة:

إن اشتراك الشمامسة مع القسوس في الاجتماعات اليومية، كان في الغالب كالآتي:

لكي يقوموا بدورهم في الخدمة أثناء أداء صلوات الأواشي حسب ما هو مخصص لهم في طقس الأواشي (أي المناداة على الشعب لكي يصلوا من أجل كذا وكذا) حيث يرد الشعب قائلين "كيرياليسون يا رب ارحم"؛

وكذلك لأداء وظيفتهم كمعاونين للأسقف في رعاية وافتقاد الشعب (كما ورد في قوانين التقليد الرسولي رقم ٣٠) حيث يذكر أن الشماس يُرسم لخدمة الأسقف، وفيما بعد صار خادماً ومعاوناً للقسوس أيضاً بجانب كونه منوطاً به إدارة الأموال وتقديم التقارير إلى الأسقف كلما استدعت الضرورة ذلك.

ومن هذا الوقت بدأت خدمة القسوس تتسع وتمتد قليلاً قليلاً مع اتساع رقعة إيبارشية الأسقف وامتداد تخومها إلى أبعد من المدينة، أو كلما كثرت الجماعات الرعوية في المدينة الواحدة.

وهذا النظام هو أساس قيام الاجتماعات التعليمية داخل الكنيسة، وبالأكثر في الأحياء والقرى والنجوع التي لا يوجد بها كنيسة، والتي يجب أن ينظمها الكاهن في كنيسته بالتعاون مع شمامسة الكنيسة وكل من هو كفء للتعليم من أعضاء الشعب مثل خدام التربية الكنسية وغيرهم بإشراف الكاهن.

الباب الثالث

رتبة الذياكون

أولاً: جذور هذه الرتبة في العهد القديم

الذياكونوس Diakonos Διακονος كلمة يونانية معناها "خادم" أو "مساعد". ويقابلها في الاستخدام اليهودي، في العهد القديم:

١. **"خادم" المجمع**، واسمه بالعبرية "خازان". وكان يقوم بمهام كثيرة تنوعت على مدى العصور وفي أماكن مختلفة:

- فكان يساعد في طقوس العبادة،
- يعتني بمباني المجمع،
- يعلِّم الأطفال (معلِّم الأطفال – رومية ٢:٢٠).

٢. **شُبِّه الذياكون في العهد الجديد، برتبة "اللاوي"** في العهد القديم:

وكانت مهام اللاوي كالآتي:

- خادم خيمة الاجتماع وأمتعتها (عدد ١:٥٠)،
- خدمة رئيس الكهنة هارون (عدد ٣:٥)،
- حمد الرب وتسبيحه كل صباح وكل مساء (١ أي ٢٣:٢٧).

والقديس كلمنضس الروماني، وهو يعدِّد الرتب في كنيسة الله يذكر "الذياكون" الذى يسميه "اللاوي":

[للكاهن الأعظم ليتورجيته المختصة به – أي خدمته القانونية ودوره في الخدمة الليتورجية، وللقسوس موضعهم TOPOS الخاص الذى تخصص لهم، **وللاويين خدمتهم – ذياكونيتهم – التي وُضعت عليهم**، وعضو الشعب – اللائيكون – محدد له طقوسه الخاصة. ليؤدى كل واحد منهم افخارستيته لله – أي يؤدي دوره المرسوم له في الاحتفال الإفخارستي –، دون أن يتعدى القانون المرسوم له].

الرسالة الأولى إلى كورنثوس ٤١:٤٠

٢. **الشيوخ السبعون الذين عاونوا موسى النبي**: ففي سفر العدد ١١:٤ – ٣٢ (أحد الموضعين اللذين ذُكرت فيهما قصة السبعين شيخاً مع موسى)، نقرأ كيف أن موسى تواجه

مع الجمهور المختلطة أجناسهم الذين خرجوا مع بنى إسرائيل من مصر (وتسميهم ترجمة بيروت للعهد القديم "اللفيف")، وهؤلاء كانوا من الأمم، أنهم اشتهوا أكل اللحم وطلبوه بإلحاح من موسى. فاشتكى موسى أمام الرب: "ألعلّي حبلتُ بجميع هذا الشعب، أو لعلّي ولدته حتى تقول لي احمله في حضنك كما يحمل المربّي الرضيع إلى الأرض... من أين لي لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب...".

فكلّفه الرب تكليفين، أن يجهز الشعب لوليمة لحم معجزية من السماء، وأن يجمع للرب سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل، كما ورد في الموضع الثاني لقصة الشيوخ في سفر الخروج ١٨، لمعاونته في تدبير الشعب.

وفي هذه القصة نجد مشابهة مع قصة اختيار الذياكونين السبعة (كما وردت في أعمال الرسل ٦) كالآتي:

- **الأمم** في العهد القديم، وكذلك **الأمم** في العهد الجديد، هم الذين تذمروا من جهة الطعام.
- **اختيار صف جديد من الخدام ليعاونوا**: موسى في العهد القديم، والرسل في العهد الجديد.

٤. **الخادم اليهودي، في الوليمة الدينية** (والمسماة "الشابوراه") **في البيت اليهودي**، والتي فيها أسس الرب يسوع المسيح سر الإفخارستيا يوم خميس العهد. وخادم الوليمة هذا كان يؤدى المهام الآتية:

- يصب الماء على أيدي الضيوف ليغسلوا أيديهم (١) مستخدماً إبريقاً وطستاً ومنشفة.
- يقدم الخبز لرئيس المحفل ليكسره،
- يمزج الخمر ليباركه رئيس الوليمة،
- يوزع الطعام والشراب على ضيوف الوليمة.
- ورئيس **الوليمة** كان غالباً هو أب الأسرة، وكان له امتيازات شرفية تختص بهذا

---

(١) يلاحظ أن المسيح – له المجد – أخذ صورة الخادم (الذياكون) والعبد (**Doulos**) ليلة العشاء السري، وغسل أرجل، وليس أيدي، التلاميذ في انسحاق قلب وتواضع بالغين.

الوضع. أما **خادم الوليمة** فكثيراً ما كان أحد الشباب من أعضاء الجماعة المجتمعة، وأحياناً كان أحد تلاميذ "الرابي" أو "المعلم" اليهودي[2].

٥. **البارناسيم (جمع بارناس بالعبرية)**: وهؤلاء كانوا يقومون بخدمة إطعام الفقراء اليهود في بعض الأماكن داخل أورشليم. وكان عددهم سبعة في كل مجمع.[3]

من هذه الخدمات الخمس في العهد القديم، أخذ الذياكون في العهد الجديد مهامه كما سنرى، وأصبح له مكانته ومكانه داخل **المثلث الكهنوتي المسيحي**.[4]

الذياكون والذياكونية في العهد الجديد (المعنى العام):

لقد أُطلقت كلمة "**ذياكونوس**" في كتابات العهد الجديد على أشخاص عديدين: "الساقي" (يو ٥:٢)، والموظفين الحكوميين (رو ٤:١٣)، وعلى تلميذ المسيح (متى ٢٣:١١)، وعلى حامل الرسالة (كو ٤:٧، ١ تس ٣:٢)، والمبشرين والمرسلين (١ تي ٤:٦، ٢كو٢٣:١١)، بل وعلى الرسل أنفسهم (متى ٢٠:٢٦، ٢ كو ٣:٦)، ثم أطلقت على المسيح نفسه أنه "خادم الختان" **Diaconon** (رومية ١٥:٨).

الذياكون والذياكونية (في الاستعمال الكنسي):

صار لكلمة "ذياكونوس" معنى كنسيٌّ في العبادة وترتيب الكهنوت.

١.فقد ذكرت في ديباجة **الرسالة إلى فيليبي** "إلى أساقفة وشمامسة" (في ١:١)، وفي **الرسالة الأولى إلى تيموثاوس** عن شروط وكفاءات "الشمامسة" (١ تي ٨:٣ – ١٣). وقد اقترن اسم الذياكونوس بالأساقفة في كثير من مراجع ترتيب الكنيسة، مثل **الديداخيه (القرن الثاني)**: "انتخبوا لأنفسكم أساقفة وشمامسة" (الديداخيه فصل ١٥)، **رسالة كلمنضس الروماني** (النص السابق ذكره:٤٢)، كما ورد اسم الشماس الذياكونوس مقترناً

---

(٢) " **الرابي**" أو " **الربان**" بالأرامية (تعني المعلم)، و "**ماران**" تعني السيد. وهذه الألقاب هي أعلى ألقاب التكريم للمعلمين اليهود. وقد استخدمها المسيح في وصف نفسه حينما قال:" إن كنت وأنا المعلم (الرابي) والسيد (ماران) قد غسلت أرجلكم.. "الخادم" (ذياكونوس) ليس أعظم من سيده، ولا الرسول (السليح) أعظم من مُرسله" (يو ١٣:٤).

(3)**Mishnah , Magilla , iii , cited in *Apost. Ministrs* P. 232,233**

(٤) كما يلقبه العالم القبطي يسى عبد المسيح (١٨٩٨ – ١٩٥٩)، أمين المتحف القبطي سابقاً والأستاذ بالكلية الاكليريكية حتى ١٩٥٧. في بحث شامل عن "*درجة الشماسية في الكنيسة القبطية*" نشر على حلقات في مجلة مدارس الأحد، سنة ١٩٥٥.

بالقسوس/ البريزفيتروس كما في **رسالة بوليكاربوس** (القرن الثاني) ٢: ٥، **وكتاب "الستروماتا" للعلامة كلمنضس الإسكندري ١٠: ١٢: ١٣، ٣: ١: ٧٢.**

٢. و**"الدياكونيا"** هي **"الخدمة"**. وقد أوضح المسيح أن معيار الحكم على أية موهبة من مواهب الروح القدس هي أن تؤدَّى بروح اتضاع الخدمة والخدام، كما عبّر عن ذلك المسيح نفسه بقوله: "إذا أراد أحد أن يكون أولاً، فيكون... خادماً **Diaconus** للكل" (مر ٩: ٣٥).

٣. ومن بعد المسيح وعلى هدى تعليمه، **يصف القديس بولس** عمل إستفاناس هكذا: "وأطلب إليكم أيها الأخوة، أنتم تعرفون بيت استفاناس أنهم باكورة أخائية. وقد رتبوا أنفسهم **لخدمة (ذياكونيا Diakonia)** القديسين. كي تخضعوا أنتم أيضاً لمثل هؤلاء ولكل من يعمل معهم ويتعب" (١ كو ١٦: ١٥-١٨).

•والقديس بولس هنا أمين لروح الإنجيل ولكلمات المسيح. ولكي تتحقق هذه القاعدة المختصة بمن يخدم، يجب أن يقابلها من المخدومين الطاعة الإرادية الحرة له. فكما رتب إستفاناس نفسه هو وأهل بيته لذياكونيا (خدمة) القديسين، هكذا أيضاً بالمقابل يجب على الباقين أن يخضعوا لهم ولتوجيهاتهم.

•ومن جهة أخرى، فإذا كان إستفاناس قد نال كرامة الرئاسة على كنيسة كورنثوس، فإن أهل بيته اعتبروا أنهم **"ذياكونيون"** أي **"خداماً"**، لأنهم أعطوا أنفسهم لخدمة "الذياكونيا".

٤. ثم نقرأ في **مقدمة رسالة فيلبي** توجيه الرسالة: "إلى جميع القديسين في المسيح يسوع... مع أساقفة وشمامسة" (في ١: ١).

ومن هنا بدأ تلقيب القائمين بالخدمة الذياكونية بـ "ذياكون". ومرجعنا هنا هو **رسالة القديس كلمنضس الروماني** أسقف رومية بعد ٤٠ سنة من كتابة رسالة فيلبي. إذ يُذكّر قارئيه برسالة القديس بولس إلى أهل كورنثوس، فيذكر أن الرسل عينوا "باكوراتهم" (جمع باكورة - أي أوائل الذين آمنوا في كورنثوس) أساقفة وشمامسة. والشمامسة موصوفون في الرسالة إلى كورنثوس أنهم أبناء الأسقف إستفاناس. وفي نفس الرسالة نجد نفس الوضع الرسولي في مكان آخر في كنائس آسيا:

- "أكيلا وبريسكلا مع **الكنيسة التي في بيتهما**" (١ كو ١٦: ١٩).

•فأهل بيت أكيلا وبريسكلا كانوا يؤدون خدمات متعددة **Diaconioe** للكنيسة المجتمعة

هناك. ومن بين هذه الخدمات الواجبات الليتورجية للشمامسة، مثل إعداد الخبز والخمر للإفخارستيا. فإن كان أكيلا هو الذى يرأس الكنيسة، فأهل بيته هم الذين كانوا يؤدون خدمة الدياكونيا.

•ولكن فيما بعد، وبعد أن اتسع نطاق المؤمنين، وتم ترتيب الأمور لتأخذ الوضع التنظيمي الأكمل، لم يعد الشمامسة هم أهل البيت (الذى فيه الكنيسة)، بل اختيروا من أعضاء الكنيسة.

٥.ونفس الوضع نجده في **كولوسي: فليمون** كان عنده كنيسة في بيته (رسالة فليمون ١، ٢). ولقد تلقى ابنه "أرخِبُّس" كلمة تشجيع من القديس بولس في سياق رسالته إلى أهل كولوسي:

•"وقولوا لأرخبُّس انظر إلى الخدمة (**الدياكونيا**) التي قبلتها في الرب لكي تتممها" (كو ٤:١٧).

"**فالخدمة**" التي قبلها أرخبُّس في الرب هي بلا شك خدمة "**الدياكونيا**".

٦.فإذا رجعنا إلى ١ كو ١٦، لنقرأ عن **الكنيسة التي في بيت أكيلا وزوجته الفاضلة بريسكلا**، فإذا كان أكيلا هو رئيس الكنيسة هناك، فإن زوجته لاشك صارت هي "**شماسة**" "**دياكونوس Diaconus**" الكنيسة في أفسس.

•وهذا هو نفس اللقب المعطى **لشماسة أخرى اسمها "فيبي"** ذكر اسمها في ديباجة الرسالة إلى رومية (١٦:١): "أختنا فيبي التي هي خادمة (دياكونوس) الكنيسة التي في كنخريا".

•وقد وصف عملها بالتحديد أنها "مُساعِدة (أو مُعاونة **Prostatis**) لكثيرين ولي أنا أيضاً" (رو ١٦:٢). وكلمة **Prostatis** التي يصف بها بولس الرسول عمل فيبي (مُساعِدة) أصبحت تُستخدم لوصف عمل الشمامسة عموماً وأنهم "معاونون" للأسقف (الدسقولية ٧).

المسيح الدياكون الأول والنموذج والقدوة:

.وقد سمّى الرب يسوع المسيح نفسه بالخادم. وبالرغم من النبوة القديمة عن المسيح التي وصفته بأنه "الخادم **Pais** والعبد **Doulos** للرب" (إش ٤٢:١)، إلا أن الأناجيل استخدمت كلمة دياكونوس **Diaconus**، لتعبِّر عن المسيح كخادم خلاص البشر.

٢.وفي إنجيل لوقا ١٢:٣٧، في مثل العبيد الساهرين، نقرأ أن السيد بعد أن يعود من العُرس ليجد عبيده ساهرين، فإنه "يتمنطق ويُتكئهم، ويتقدم **فيخدمهم Diaconise**". و"السيد" في هذا المثل رمز لشخص المسيح نفسه، الذي تمنطق وخدم تلاميذه ليلة خميس العهد.

٣.ثم في العشاء الأخير، يوم خميس العهد، وصف الرب يسوع نفسه بأنه "**كمن يخدم**" **Diaconon**. لذلك فلا عجب إن كان القديس إغناطيوس الأنطاكي (القرن الثاني) يعلق على وصف المسيح لنفسه بأنه "ذياكون-أي خادم" قائلاً:

[لقد وضع نفسه، وخدم "Diakonon" الاثني عشر. لذلك فالذياكونيون يمثلون تواضع المسيح]-الرسالة إلى مغنيسيا ٦

- نعم، "الذياكون" هو صورة تواضع المسيح وإخلائه لذاته. فأية رسالة خطيرة ومهمة سامية يحملها الذياكون وسط رتب الكهنوت في الكنيسة !!

لذلك أيضاً، نسجل هنا بالفخر والكرامة أسماء الذياكونيين (الخدام) الأوائل الذين ذُكرت أسماؤهم في العهد الجديد- بعد المسيح الذياكون الأول، وبعد استفانوس أول الشمامسة وأول الشهداء:

أ. اثنان خدما القديس بولس كذياكونَيْن: تيموثاوس وأَرَسطوس. وقد تكرر اسميهما في رسالة كولوسي ٧:٤، ورسالة أفسس ٢١:٦، وسفر الأعمال ٢٢:١٩. وقد لُقِّب كلٌّ منهما بـ "**الذياكونوس الأمين في الرب**". ويلاحظ أن تيموثاوس الذياكونوس أصبح أسقف أفسس فيما بعد.

ب. القديس مرقس الرسول الإنجيلي والكاروز، دعاه سفر الأعمال ورسالة تيموثاوس الثانية بأنه يقوم بعمل **الذياكونيا** (٢ تي ١١:٤)، والقديس لوقا في سفر الأعمال استخدم بدلاً من "ذياكونوس" كلمة **Hyperetes** وهي مساوية في المعنى(٥) لـ"ذياكونوس". وقد استُخدمت الكلمتان بالتبادل في بعض كتابات الآباء والمجامع(٦). فقد طلب القديس بولس الرسول معاونه القديس مرقس في أعمال الكرازة، لأن معاونيه الآخرين تيخكس وتيطس وكريسبس كانوا متغيبين في خدمة وإرسالية أخرى، وديماس ترك الرسول، ولوقا وحده كان معه. (وطبعاً ليس المقصود من إطلاق صفة "ذياكونوس" و"ذياكونيا" على القديس مرقس الرسول وعلى خدمته مع القديس بولس الرتبة الكنسية الثالثة في رتب الكهنوت الثلاث، بل المقصود هو صفة الخدمة الأمينة المخلصة التي على شبه خدمة (ذياكونيا) الرب يسوع المسيح).

---

(٥) وقد استُخدمت هذه الكلمة **Hyperetes** في صلوات رسامة الذياكون لتصف نعمة الخدمة التي ستحل على الذياكون المرسوم، كما قرأناها في النص القبطي المقابل للنص العربي للصلوات في مخطوطة الرسامات.

(6) **Lamp, *A Patristic Greek Lexicon*, p. 1444**

ثانياً: رسامة الذياكون

وكما استقينا طبيعة عمل الأسقف وعمل البريزفيتروس/ القس من طقس صلوات رسامتهما، هكذا نفعل بالنسبة للذياكون من أجل معرفة طبيعة خدمة الذياكون ومهامه من طقس رسامته.

وتذكر قوانين الرسل كيف يُختار الذياكون هكذا:

[ليجرِّبوه بكل خدمة،
وتشهد له الجماعة أنه عاش مع زوجة واحدة وربَّى أولاده بطهارة،
ويكون رؤوفاً، وديعاً، ولا يكون متذمراً، ولا ذا لسانين، ولا غضَّاباً لأن الغضب يغضب الإنسان الحكيم.
ولا يأخذ بوجه الأغنياء، ولا يظلم الفقراء،
ولا يشرب خمراً كثيراً،
•ويتعب لأجل السرائر المستورة الحسنة المؤنسة (أسرار الكنيسة).
•ويلزم أن من له شيئ من الإخوة أن يواسي من ليس له، ويشاركوهم في الدفع (يأخذ من الأغنياء ويُعطي الفقراء).
•وأن يكرموا الجماعة بكل الكرامات، وبحشمة وخوف. ويتحفظوا بكل ثبات:
•فيعلِّمون قوماً، ويسألون قوماً، ويصلُّوا على قوم، والذين يُرذلون (أي الذين عليهم قانون تأديب) يُخرجونهم]-القانون ١٥

ويتضح أيضاً من هذا النص **بعض واجبات الذياكون** (الموضوع أمامها العلامة •).

ونلجأ إلى العلاَّمة القديس هيبولتيس (أو أبوليدس) وكتابه "**التقليد الرسولي**"، الذي هو أحد مصادر القانون الكنسي الأساسية، حيث يوفر لنا هيبولتيس معلومات عن طقس رتبة "الذياكون" بقوله(١):

١. الذياكون يُختار مثل السابق (ويقصد مثل طريقة اختيار الأسقف، أي بموافقة الكنيسة

---

(١) Ap. Tr. IX , 159. ويقابله قانون رقم ٢٣ من القوانين الرسولية.

كلها في الموضع الذي يُرسَم عليه).

٢. والأسقف وحده هو الذى يضع عليهِ اليد، لأنه لا يُرسم لخدمات الكهنوت، بل لخدمة الأسقف.

٣. فهو ليس شريك مشورة للإكليروس (مثل القس بالنسبة إلى الأسقف)، بل هو يأخذ مسئولية الممتلكات، ويعطى تقريراً للأسقف عن كل ما يلزم إطلاع الأسقف عليه. وهو لا ينال الروح المُعطَى للقسوسية، بل الروح المعطَى له أن يكون تحت سلطان الأسقف.

٤. لذلك فالأسقف وحده هو الذى يرسم الذياكون.]

من هذا يتضح التأكيد على عدة فروق بين الذياكون والبريزفيتيروس/القس:

١. البريزفيتروس/ القس هو، بموجب رتبته، **"شريك مشورة"** للأسقف، وله صوت ورأى يؤخذ بهما في عملية اتخاذ القرارات، بينما الذياكون مُقام لينفذ القرارات المتفق عليها بدون أخذ موافقته، فهو يعمل بأمر الأسقف وحده.

٢. هناك فرق واضح ومهم بين **"روح المشاركة والمشورة"** الذى تَشَارك فيه القسوس، وهو تعبير نجده في صلوات رسامة القس، وبين الروح المعطَى للذياكون أنه الروح الذى يأتمنه الأسقف به (حسب مخطوطة النوموكانون – وابن كبر) على الأعمال التي يكلفه بها، فهي موهبة متصلة بمواهب الأسقف، ومتصلة بالمهام الرعوية والليتورجية الخاصة به. وهذه هي معالم وظيفة الذياكون ما قبل مجمع نيقية (سنة ٣٢٥م.).

٣. يهتم هيبوليتس بإيضاح أن طريقة اختيار الذياكون تكون مثل اختيار الأسقف، بموافقة الشعب (الكنيسة كلها في الموضع الذي سيُرسم عليه). وهذا التأكيد يقابله أمر الذياكية "انتخبوا لأنفسكم.. ذياكونيين" – ١٥.

وهذه المبادئ نجدها واضحة في صلوات رسامة الذياكون كما يلي:

تقول أقدم صلوات رسامة الذياكون (وهى واردة في كتاب "التقليد الرسولي لهيبوليتس من القرن الثالث")(٢):

[يا الله الذى خلق كل الأشياء وأمرها بكلمته،

آب ربنا يسوع المسيح الذى أرسلتَه ليخدم **Diakonein** مشيئتك ويعلن لنا إرادتك.

---

(2)Ap. Tr. IXI , 59

هَبْ الروح القدس الذى للنعمة والحكمة والقوة على عبدك الذى اخترته ليخدم **Diakonein** كنيستك،
وليقدِّم **Prospherein** في القداسة إلى قدسِك ما رُفع لك بواسطة رؤساء الكهنة الذين اختيروا بواسطتك لمجد اسمك، حتى إذ يخدمك بلا لوم وبطهارة، يوجد لدى مشيئتك الصالحة مستحقاً لوظيفته المكرَّمة].

وأما صيغة رسامة الذياكون التي أوردها ابن كبر ومخطوطة الأفخولوجيون:

[السيد الرب الله الضابط الكل، الحقيقي، الغير الكاذب والغنى في مواعيده في كل شئ لكل من يدعوك.
اسمعنا إذ نطلب إليك، وأَظْهِر وجهك على عبدك (فلان) هذا الذى قُدِّم للشماسية من قِبَل التزكية وحكم الذين قدموه في الوسط.
املأه من الروح القدس والحكمة والقوة، كما ملأت استفانوس أول الشمامسة وأول الشهداء، المتشبه بآلام مسيحك.
زيِّنه بنعمتك،
أَقِمْه خادماً "**Hyperetes**"([٢]) لمذبحك المقدس؛
لكي إذا ما خدم كما يرضيك في الشماسية، التي أؤتمن عليها بغير ميلان وبغير خطية، يستحق درجة مرتفعة بالأكثر...
نرسمك يا فلان **شماساً على المذبح المبتدأ بتسميته للأرثوذوكسيين ببيعة المدينة فلانة..)**

ومن صلوات الرسامة تتضح معالم الخدمة الذياكونيا كما يلي:

١ .الذياكونية هي **رتبة قائمة بذاتها بين رتب الكهنوت الثلاث**، بمهام خاصة بها داخل جسد الكنيسة السري الواحد: [وليكن الشمامسة أيضاً بلا عيب مثل الأسقف. ويُكرموا بالأكثر، ويكونون من جملة كهنة الكنيسة]–**الدسقولية الباب ٣٤**

٢.**يُقام الذياكونوس – مثله مثل الأسقف – بالتزكية والاختيار من شعب الكنيسة والإكليروس**، وهذا الاختيار الشعبي يؤكد ضمناً ويعلن اختيار الله.

([٢]) كما في النص القبطي المقابل للنص العربي في المخطوطة.

٣.والذياكون يقام على مذبح كنيسة محدد اسمها في مدينة محدد اسمها.

٤.لكن الذياكون هو **تابع مباشر للأسقف** ومرتبط به تماماً. وفي المراحل التاريخية المتأخرة أصبح تابعاً للقس/البريزفيتروس أيضاً.

٥.والذياكون يخدم كلاً من الأسقف والقس في أثناء الخدمة الليتورجية لرفع القرابين:

[يجب على الشمامسة أن يمتثلوا لأوامر الأساقفة. كل واحد من الشمامسة والإيبي ذياكونيين فليلتفتوا إلى الأسقف ويعرّفوه مَن هو المريض لكي يفتقده، لأن مقدَّم الكهنة إذا افتقده يتعزى إذا ذكره].

القانون ٤١ من قوانين الرسل (الـ ٧١)–Apost. Trad. IX , 10

فالأسقف هو الراعي، وأما الذياكون فمهمته هي أن يكون "عين" الأسقف، وهو الذى يعرِّفه عن المحتاجين.

٦.صلاة رسامة الذياكون مثلها مثل صلاة رسامة الأسقف، وبعكس صلاة رسامة القس (في قوانين هيبولتيس)، تضع كل التأكيد على **المهام الليتورجية للذياكون**، مميَّزة بإشارة خاصة إلى علاقة الذياكون **بتقديم القرابين**[٤] للكاهن الخديم وقت التقدمة. هذه المهمة – أكثر حتى من مهمة مناولة الكأس أو تلاوة الإنجيل، هى امتياز خاص كان سائداً في القرنين الثالث والرابع. وليس هناك ما يحدد إلى أي زمن يرجع هذا الامتياز:

و"**تقدمة القرابين**": وهي واحدة من الأربعة الأفعال الليتورجية التي تكوِّن معاً صلوات الإفخارستيا، تعود إلى ما قبل سنة ١٠٠ م، ولكن صلاة الرسامة هذه تحمل أول إشارة خاصة إلى دور الذياكون فيها. (بالرغم من أن القديس الشهيد يوستينوس أشار مرتين إلى تقدمة القرابين (في الدفاع الأول:٦٥، ٦٧)، إلا أنه لم يذكر شيئاً عن صلة الذياكونيين بذلك. بينما هو ينسب إليهم في موضعين آخرين من كتابه مهمة أخرى: [أولئك الذين يدعونهم ذياكونيين يناولون لكل واحد حاضر قسماً من الخبز والخمر الافخارستيين]– نفس المرجع. (وطبعاً امتنع فيما بعد على الذياكون أن يناول الجسد المقدس).

---

(٤) تشمل خدمة **تقدمة القرابين** جمع عطاء وتقدمات الشعب وتسجيلها كتابة: [وليكتب الشمامسة أسماء أصحاب القرابين الذين يأتون بها كل يوم، الأحياء منهم والأموات. لكي إذا صلى الكاهن يذكرهم. وهكذا يأتي الشماس بتذكارهم في ذلك الأسبوع (يوم الأحد في القداس)]– **الدسقولية الباب٣٥**. لذلك فخدمة الذياكونية لا تنفصل عن خدمة الليتورجية، وهو بهذه الخدمة يكون أيضاً **عين الأسقف**.

رتبة الذياكونية: بين دياكونية الموائد وذياكونية الكلمة:

كما يظهر من نشأة رتبة الذياكونية (كما وردت في سفر الأعمال ٦: ١-٦)، أنها **خدمة موائد أي جمع وتوزيع أموال على أرامل اليونانيين** اللواتي كان يُغفل عنهن أثناء التوزيع على المسيحيين الذين كانوا يهوداً. وقد نشأت فكرة هذه الذياكونية بعد تذمر المسيحيين اليونانيين، فطلب الرسل من التلاميذ (أي جمهور المؤمنين) أن ينتخبوا سبعة من ذوي الأصل اليوناني ليقوموا بهذه الخدمة، ليكونوا أقدر على تفهُّم والتفاهم مع هؤلاء المسيحيين.

وقد قال الرسل في حيثيات تأسيسهم لطقس الذياكونية: "وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة (ذياكونية **Diakonia**) الكلمة" (أع ٦: ١-٦).

فكما يبدو في الظاهر أنه تقسيم مسئوليات بين نوعين من الخدمة (أو الذياكونية):

أ. خدمة (أو ذياكونية) الموائد ويختص بها الذياكونيون الجدد؛

ب. وخدمة (أو ذياكونية الكلمة) ويختص بها الرسل.

ولكن إن كان الرسل الإثنا عشر قد **امتنعوا** عن الذياكونية الأولى ذياكونية الموائد، إلا أن الذياكونيين الجدد **لم يمتنعوا** عن الذياكونية الثانية أي خدمة الكلمة.

فيذكر سفر أعمال الرسل أن استفانوس كان مملوءاً إيماناً وقوة، وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب، وكان **يتكلم حكمة بالروح القدس** (أع ٦: ٨، ١٠؛ وإصحاح ٧). ثم اختتم شهادته بالكلمة بشهادته بالدم بعد أن صلى وطلب المغفرة لراجميه، وبعد الرؤيا السماوية التي رأى فيها: "السماء مفتوحة وابن الإنسان جالساً عن يمين العظمة".

فخدمة (ذياكونية) الموائد لا تعني استبعاد خدمة الكلمة وغياب مواهب الروح القدس. **فالذياكونيون هم خُدام كلمة، وصانعو آيات، وعجائب عظيمة، ومعلمون، وكارزون لا يقلُّون في كرزاتهم عن الرسل.** وأمامنا مثل **فيلبُّس** الذي بشَّر السامرة، ومهَّد لكرازة القديسيْن بطرس وبولس اللذين تبعاه إلى هذا المكان. ثم بشَّر وزير كنداكة ملكة الحبشة. وكانت هذه الكرازة فاتحة وتمهيداً لإنتشار المسيحية إلى كل مملكة أثيوبيا في القرن الرابع.

ثالثاً: رتبة "الذياكون" وتطور وضعها خلال الأجيال

الذياكونوس في القرون الأولى (القرون الخمسة الأولى)

أدى الذياكونوس في القرون المبكرة للمسيحية مهام متعددة:

١. فقد كان يوزع الإفخارستيا في احتفال يوم الأحد (يوستين، الاحتجاج الأول:٦٧).

٢. وكان يعاون في بعض الأعمال الليتورجية الأخرى مثل المعمودية ووليمة الأغابى (التقليد الرسولى ٢١، ٢٦): [(في أثناء خدمة المعمودية) الشماس يحمل زيت الاستحلاف ويقف على يسار القس، ويأخذ شماس آخر زيت الشكر ويقف على يمينه... الشماس يلقّن المعمَّد قانون الإيمان]– قانون ٣٣ من قوانين الوصل الـ٧١

٣. كما كان يقوم بدور ضابط النظام بين المصلين داخل الكنيسة أثناء القداس الإلهى (الدسقولية ٢٩:١٠)، ويحرس الأبواب (الدسقولية ٢٣:١٠).

٤. كما كان يخدم الأعمال الخيرية للكنيسة تجاه الأرامل والأيتام (هرماس، الراعى، الأمثال ٩ :٢٦ :٢). وكان أحياناً يرعى ويعتنى بالمرضى [يعرِّفوا الأسقف من هو المريض لكي يفتقده] (هيبوليتس قانون ٣٤، المراسيم ٢ :٣٢ :١).

٥. كما كان يُكلَّف كمُرسَل إلى الكنائس الأخرى (**رسائل القديس أغناطيوس**: فيلادلفيا ١٠، أزمير ١٢).

٦. ويؤدى خدمات روحية للمعترفين أثناء سجنهم المنتظرين استشهادهم (كما في قصة استشهاد بربتوا ٢، ٦، ١٠).

٧. وكان يدير ممتلكات الكنيسة (القديس كيريانوس – الرسالة ٥٢ :١).

٨. وأحياناً كان الذياكونيون يأخذون مسؤلية دفن الموتى (التاريخ الكنسى ليوسابيوس ٧: ١١ :٤٢). وفي روما عُين أحد الذياكونيين على كنيسة المدافن (كتاب الهرطقات لهيبوليتس ٩ :٧).

٩. والذياكون مرتبط بالأسقف، يخدمه وينفذ تعليماته، ويقدم له التقارير عن الحالة

الروحية للشعب (التقليد الرسولى ٩ :٢، ٣٠ - قانون ٢٣ من القوانين ٧١). ولذلك فهو يسمى "أذن" و"عين" و "فم" الأسقف (الدسقولية ٨ :٥٠). وهو على اتصال دائم بالشعب، يحذرهم ويعظهم، ويبحث عن المحتاجين منهم، ولا يأخذ بوجه الأغنياء (الترتيب الرسولى ٢٠: ٢٢)، (قانون ١٥ من القوانين ٧١).

١٠. وكان يحمل الرسائل الأسقفية (التاريخ الكنسى ليوسابيوس ٦ :١٩:١٩)، ويُكلَّف بمهام قصيرة أو بنقل رسائل شفوية من الأسقف (القديس أثناسيوس، الاحتجاج ٦٧). وكان يحضر مع الأساقفة للمجامع، أو قد يمثل الأسقف في حضور المجمع (التاريخ الكنسى ٦ :٤٣ :٢، ٧ :٢٨ :١) (سوزومين ٤: ١٦ :١٦).

١١. يبشر ويعظ - مجمع أنقرا (سنة ٣١٤ م) قانون ٢.

١٢. يعاون في المحاكم الكنسية "مجالس الحكم" (المراسيم الرسولية ٢ :٤٧ :١)، الدسقولية:٨.

١٣. له دور مهم في رعاية الخطاة التائبين الذين يُفرزون من الكنيسة أثناء فترة فرزهم :

[وليطلبوه (الخاطئ الذي أخرجه الأسقف من الكنيسة كتدبير من أجل قبوله بعد ذلك)، ويُمسكوه خارج الكنيسة، وليدخلوا فيسألوك من أجله (أي الشمامسة يتشفعون من أجله أمام الأسقف) لأن المخلص كان يسأل أباه من أجل الذين أخطأوا كما كُتب في الإنجيل: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ما الذي صنعوه"]- المراسيم ٢ :١٦: ١ والدسقولية ٤:٥.

١٤. وفي القداس الإلهى يمارس أعمالاً هامة وكثيرة، ويسميه القديس ايسيذوروس البيليوزي [ذياكون "خادم" المذبح المقدس]- رسالة ٤: ١٨٨، كما يسميه القديس إغناطيوس الأنطاكي [خادم أسرار يسوع المسيح]- ترال ٢: ٣.

ومن خدماته داخل الكنيسة أثناء الاحتفال بسر الافخارستيا:

١. إعداد المذبح قبل بدء القداس الإلهى.

٢. تلاوة الانجيل (المراسيم ٢ :٥٧ :٧، الدسقولية ١٠ :٢٠)- يقول سوزومين المؤرخ الكنسى أنه في الاسكندرية كان الأرشي ذياكون وحده هو الذى يقرأ الانجيل، أما في غير ذلك من المواضع فكان الذياكونيون هم الذين يقرأون (سوزومين ٧: ١٩:

.(٦

٣. يعلن تعليمات العبادة للمصلين:

• يحذر **المتخاصمين** ويأمرهم أن يتصالحوا قبل التناول:

[فليكن الشماس واقفاً بجانبكم (يوجه الكلام للأساقفة) وليَقُل بصوت عظيم: "لا يترك أحد بينه وبين أخيه لائمة ولا غشاً ولا رياء"]– (المواسيم ٢: ٥٤ :١١؛ الدسقولية ٥:٩)،

• **والموعوظون غير المتعمدين** للخروج قبل بدء قداس الموعوظين. [وليصرخ شماس آخر: "لا يقف هاهنا **موعوظ** ولا يكن هنا أحد **سامع الوعظ**، لايشارك في السرائر. ولا أحد **غير مؤمن ولا أحد منشق**. إمسكن أيتها النساء أولادكن. لا يَدَعْ أحد في قلبه وجداً لأحد. ولا يقف أحد هنا برياء. كونوا مستقيمين بالرب. وليقف كل واحد بخوف ورعدة]– قوانين الرسل الكتاب الخامس بيد إقليمس (اكليمنضس).

• ويعلن موضوعات الصلاة (أي مردات الأواشي)– الدسقولية ١٠:٣٦.

• ويدعو إلى السكوت والانتباه والإنصات قبل القراءات الكنسية– الدسقولية ٣:١٠.

• ويدعو إلى القبلة المقدسة.

• ويعطي التسريح من الكنيسة للانصراف في نهاية القداس:

[ثم يناول الشماس الكأس ويقول: هذا هو دم المسيح هذا هو كأس الحياة. ويقول متناوله: آمين. ويرتلون إلى أن يتناول جميعهم. وإذا تناولوا جميعهم، فيتناول النساء.

وعند فراغ المرتل مما يُسبِّح، **يصيح الشماس ويقول: نلنا من الجسد الكريم الذي للمسيح، فلنشكر الذي أهَّلنا أن نشارك في سرائره المقدسة الكريمة**. وبعد ذلك يصلي الأسقف ويشكر على النيل من جسد المسيح والشرب من دمه.

فإذا فرغ مما يصلي، **يقول الشماس: إحنوا رؤوسكم قدام الرب ليباركم**. وإذا فرغوا مما يتباركون به، **يقول الشماس: امضوا بسلام** (يقولها الكاهن الخديم الآن)]–قوانين الرسل الكتاب الخامس بيد إقليمس (اكليمنضس).

• يأتي بالقرابين (الخبز والخمر) إلى الكاهن المحتفل بسر الافخارستيا وقت التقدمة (التقليد الرسولي ٢٣ :١، قانون ٣ :٢٠). ويقف بجانب القرابين على المذبح وبيده المراوح ليطرد الهوام الطائرة عن الكأس المقدس (قوانين الرسل ٥٢).

• يُحضر الماء للأسقف والقسوس في المذبح ليغسلوا أيديهم.

• كان يناول الشعب (يوستين الشهيد- الدفاع الأول ٦٥ :٥)

• ويناول الكأس: يضع هيبوليتس في قوانينه هذه المهمة هكذا، أنه عند شركة الإفخارستيا أيام الآحاد،

[فإن القسوس إن كان عددهم لا يكفي، فإن الشمامسة أيضاً يناولون الكأس]

التقليد الرسولي XXIII, 5 وقانون ٥٢ من القوانين الرسولية (الـ٧١)

وعلى أساس هذا الطقس يصف القديس الشهيد إغناطيوس الأنطاكى (القرن الثاني الميلادي) الذياكونيين أنهم:

[خُدَّام "Diaconus" أسرار يسوع المسيح، وأنهم ليسوا مجرد خُدَّام طعام وشراب، بل هم خُدَّام "الكنيسة-الإكليسيا"]- الرسالة إلى ترال ١٥.

١٥. وفي إقامة الأساقفة ورساماتهم، الذياكون هو الذى يُعلن ويؤكد إرادة الشعب في اختيار راعيه، ويأتي بالمرشح إلى الأساقفة لكي يرسموه، ويضع الأناجيل فوق رأسه أثناء الرسامة (المراسيم ٨ :٤ :٦).

١٦. كان الذياكون يُكلَّف أحياناً بمهام أخرى في الكنيسة، مثل رئاسة دير، ويسمى القديس كيرلس الكبير شماساً اسمه "مكسيموس" بهذا اللقب [**الارشمندريت جزيل التقوى الذياكون مكسيموس**] رسالة ٦٩.

١٧. ويُشبَّه الذياكون بعرِّيف الملاحين في السفينة الذى يراقب المجاذيف على الجانبين (رسالة كلمنضس الرومانى ١٤)، (المراسيم ٢ :٥٧ :٢)، أو "النوتي" كما سمته الدسقولية (بالعربية)(١) بالنسبة للأسقف كمدبِّر السفينة.

هذه هي مهام الذياكون المتعددة، بعضها توقف إسناده إلى الذياكون لعدم رسامة

(١) وليم سليمان، *الدسقولية*، ١١:٩:٥٢٣.

ذياكونيين مكرسين. وبعضها أُوكل إلى الأساقفة والقسوس. وبعضها يقوم به الآن من يُطلق عليهم خطأً اسم "شمامسة" مع أنهم مُقامون أغنسطسيين أو أبّصلْتُسيين غير متفرغين لخدمة الكنيسة.

وتجد في الدسقولية الفصل السابع واجبات الشمامسة بالتفصيل.

التغيرات التي حدثت في رتبة الذياكونية:

لقد عبرت رتبة الذياكون خلال مراحل متنوعة من التغير:

١. **فذياكونيو ما قبل مجمع نيقية (عام ٣٢٥)**، كانوا مجموعة من "للعاونين" وعددهم ٧ عادة، ملتحقون شخصياً بخدمة الأسقف بمقتضى مهامهم. بهذه الصورة كانوا يشكلون أهمية كبيرة في الكنيسة، كمنفذين حقيقيين للقرارات التي يتخذها الأسقف والقسوس.

٢. **وفي القرن الثاني والقرن الثالث وحتى القرن الرابع**، كثيراً ما كان الأرشي ذياكون هو الذى يُنتخب، وليس أحد القسوس، ليَخلف الأسقف المتنيح في كرسيه، لأن إحاطة الأرشي ذياكون بأحوال الكنيسة باعتباره الساعد الأيمن للأسقف ميَّزه لأن يكون أكفأ من يخلف أسقفه.

٣. **وفي نهاية القرن الرابع**، كثر عدد الذياكونيين وانتشروا في كنائس الإيبارشية، والتحقوا بخدمة القسوس في الكنائس المنتشرة كمعاونين للقس في مهامه الليتورجية والرعوية.

- وعندنا نموذج رائع لمركز الذياكون في الكنيسة القبطية في القرن الرابع-وهو القديس أثناسيوس الرسولي الذى كان ذياكوناً أو أرشي ذياكوناً، ورافق البابا ألكسندروس البابا التاسع عشر في عداد البابوات الأقباط، إلى مجمع نيقية المسكوني (سنة ٣٢٥ م) حيث كان الساعد الأيمن لباباه في المجمع. وكان لـه دور رائد فعال في صياغة دستور الايمان الذى أصدره المجمع. وبعد نياحة البابا ألكسندروس، أجمع الشعب على اختيار الذياكون أثناسيوس بابا للاسكندرية.

٤. **وحتى القرن العاشر**، كانت رتبة الذياكون بكامل مواصفاتها مازالت قائمة بكل مهامها في الكنيسة القبطية. فالأنبا ساويرس ابن المقفع (حبرية البابا إفرآم السرياني من ٩٧٥ – ٩٧٩م)، حدد واجبات الشماس (الذياكون) هكذا:

[وله في رتبته حمل كأس دم المسيح..

وله قراءة الانجيل على الأنبل (النطق العربى للكلمة القبطية **Anbon** وتعنى منبر)، إذا لم يقرأه القس...

وعلى الشماس أثناء الصلاة والقداس تبليغ الشعب وإنذارهم]- **كتاب ترتيب الكهنوت ١٣**

بدء ضمور رتبة "الذياكون":

يرصد العالم القبطى يسى عبد المسيح بدء ضمور رتبة الذياكون في الكنيسة القبطية من القرن الرابع عشر أو قبل ذلك.

إذ نجد في كتاب "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" لابن كبر (القرن ١٤) أول إشارة إلى رسامة "شمامسة صغار السن". إذ يقول ابن كبر: [وأجازوا (الآباء) قسمة الشمامسة صغاراً]. وغير معروف معنى رسامة "شمامسة" "صغار"، لأن السن التي اشترطتها القوانين الكنسية للرسامة أن لا يقل عمره عن ٢٥ سنة، وأن يكون زوج امرأة واحدة مدبراً أولاده وبيته حسناً (١ تي ٣ :١٢).

ويُرجع العالم يسى عبد المسيح هذه العادة الجديدة إلى الاضطهاد والتهاون في التمسك بالقوانين(٢).

سبب آخر: التغيير في النظرة إلى درجات الكهنوت:

إلا أن هناك عاملاً آخر، قد يكون هو الذي أدى بطريقة غير مباشرة إلى ضمور هذه الرتبة. وهو دخول فكرة **"التدرج السلّمى"** بين رتب الكهنوت، ثم تبعها مفهوم **"الترقية"** بين هذه الرتب من رتبة إلى رتبة **"أعلى"**، وذلك منذ أواخر القرن الرابع. ولشرح ذلك نقول:

١.ففى المرحلة **ما قبل مجمع نيقية (عام ٣٢٥ م)** كان النظر إلى رتب الكهنوت المختلفة: الأسقفية، القسوسية، الذياكونية، قائماً على مبدأ **"العضوية في جسد المسيح"**. فكل رتبة كانت تؤدي واجباً وتمارس سلطاناً لتكميل مهمة محددة، (تسمى في الطقس الكنسي "ليتورجية" حسب التعبير الكنسى الوارد في قوانين الكنيسة)، في إطار جسد الكنيسة الواحد المتماسك القائم بعضه بالبعض. وكل رتبة كانت ضرورية من أجل اكتمال وسلامة عمل الجسد الواحد، وهى تأخذ وضعها كعضو في الجسد كله، ودون مقارنته بالنسبة للرتب

---

(٢) *درجة الشماسية في الكنيسة القبطية*، مجلة مدارس الأحد، فبراير ١٩٥٥، ص ٤.

الأخرى (ولكن دون إغفال مبدأ إعطاء الكرامة الواجبة لكل رتبة حسب كرامتها). فإذا أُختير واحد لرتبة الأسقفية، فكان يُرسم أسقفاً دون الحاجة إلى رسامته أولاً ذياكوناً ثم قساً. وهكذا رُسم الشماس أثناسيوس الرسولي أسقفاً للأسكندرية، وعضو الشعب ("العلماني" كما يقولون) كبريانوس أسقفاً لقرطاجنة دون أن ينال أيٍّ منهما وضع اليد للرتب الأسبق.

٢.ولكن **بعد مجمع نيقية** دخلت ممارسة هذا التدرج السلّمي في الرسامة إلى الرتب الكهنوتية، ربما بسبب التعدى في حدود مسئوليات بعض أصحاب الرتب على مسئوليات الرتب الأخرى. وبمرور الزمن، أدى هذا الاجراء إلى فهم أن كل رتبة تحوى في داخلها سلطان الرتب الأخرى (هذا السوء في الفهم أدّى عند الكنيسة الرومانية إلى إمكانية إقامة قداس إلهي بواسطة الكاهن دون الحاجة إلى وجود شماس وشعب باعتبار أن الكاهن يحوز في نفسه بمقتضى الرسامة رتبة الشماسية والشعب. لكن في الكنيسة القبطية مازال الفهم الصحيح لتنوع ولزوم رتب الكهنة الثلاث على أنها عضوية في جسد الكنيسة قائماً، إذ لا يمكن الاستغناء عن حضور رتبة من رتب الكنيسة الثلاث (الكاهن، الشماس، الشعب) لإقامة قداس إلهي قانوني[٣]. وهذه مأثرة من مآثر الكنيسة القبطية في حفظ روح التقليد الكنسي القديم).

٣.**وبعد القرن الخامس** وبسبب الانشقاقات والصراعات المذهبية بين رؤساء الكنائس إثر مجمع خلقيدونية (سنة ٤٥١ م)، أدى هذا الصراع ضمن ما أدى، إلى الفتور الروحي الذي صاحب هذه الانشقاقات، مما أدى بالتالي إلى آثار كثيرة في مفاهيم رتب الكهنوت ودرجاتها المختلفة. فتحولت النظرة إلى الذياكون على أنه أقل من القس أو أدنى منه في الكرامة، وليس خادماً مكمِّلاً في خدمته لخدمة القس وخدمة الأسقف، وسادت نفس النظرة على علاقة القس بالأسقف، وعلاقة الأسقف بأسقف الكرسي الرسولي المتقدم بين الأساقفة، ومحاولة جعل الرسامة إلى رتبة أسقفية الكرسي الرسولي المتقدم "**ترقية**" "يُرقّى" إليها أسقف سبق أن قُسم على إيبارشية أخرى وكأن رتبة البطريرك أعلى من رتبة الأسقف. وفي الغرب تطور هذا التغيُّر في المفاهيم إلى حد تشويه العلاقة الأخوية بين بطاركة المسكونة الخمسة، فتغير مفهوم "**الأولية في المحبة**" بين

---

(٣) كما يضع كتاب *الخولاجي المقدس*، تحقيق وتجميع القمص عبد المسيح صليب البرموسي سنة ١٩٠٢، هذا التنبيه في أولى صفحاته: [تنبيه: من المعلوم أن الصلوات الكنائسية مشتركة بين ثلاثة لا يمكن الاستغناء عن حضور أحدهم: وهم الكاهن والشماس والشعب] صفحة ١٦

هؤلاء البطاركة إلى مطالبة بابا روما بجعلها **"رئاسة بالقانون"** على البطاركة الأربعة الآخرين.(٤)

٤.وكما أدى تحول النظرة إلى التدرج السلّمي لرتب الاكليروس، إلى النظر إلى الرسامات أيضاً على أنها "ترقية" وليست "دعوة" و"انتداب" و"تكريس" كما يُسميها كتاب "الرسامات" (الأفخولوجيون – طبعة رومية)، حيث لم تُذكر كلمة "ترقية" إطلاقاً في أيٍّ من نصوص صلوات الرسامات(٥)؛ هكذا انطبع مفهوم "الترقية" على تعامل "الشمامسة" مع رتبتهم. فأصبح من يُسمَّون "الشمامسة" يطمحون إلى "الترقية" إلى رتبة البريزفيتروس/ القس، كمكافأة لهم على جدارتهم في حفظهم صلوات القداس وإتقانهم للألحان وجودة صوتهم. وهذا الاتجاه أثر بدوره على رتبة القسوسية، إذ تركز الاهتمام في اختيار وانتخاب القس على جودة الصوت دون كفاءة ووقار الشخصية والذي يسميه القانون الكنسي **"زي الشيوخ"** أي حكمة وسمات الشيوخ، وغيرها من مؤهلات وكفاءات هذه الرتبة الجليلة.

٥.وليس أدل على صحة هذا التحليل، من وضع رتبة "القسوسية" حالياً التي تثبَّتت على أنها الخدمة الكهنوتية الأكمل والأكثر نشاطاً، والتي لم تشهد ضموراً أو انحساراً مثل رتبة الشماسية/الذياكونية. وذلك يرجع في المقام الأول إلى إغلاق باب "الترقية" أمام القسوس ليصيروا أساقفة، بسبب أن القس لابد أن يكون متزوجاً بينما الأسقف لابد أن يكون متبتلاً. وهكذا أصبحت استحالة "الترقية" سبباً في الحفاظ على رتبة القسوسية وصونها من الضمور، بل جعلها هي الرتبة السائدة والحاملة لعبء الخدمة في الكنيسة أكثر من أية رتبة أخرى.

٦.أما رتبة "الأسقفية"، وفي خضم هذا التغيُّر في المفاهيم وقيام رتبة القسوس بأكبر قسط في الخدمة، أخذت وضع الرئاسة والسلطة الإدارية العليا على القسوس (وخَفَتَ بالتالي دور مجمع القسوس حول الأسقفية في المشاركة مع الأسقف في إصدار القرارات وفي ممارسة الرعاية في الإيبارشية). وقد أدى هذا الوضع الجديد للأسقفية بما تغلبت عليه الروح الرئاسية وممارسة السلطان الأسقفي، المجرَّد عن الاتحاد بالكنيسة جسد المسيح وصفة التمثيل لشعب الله في موضع ما، إلى ظهور ما يسمى بالأسقف على غير إيبارشية وشعب، والذي يمارس سلطات الأسقفية دون أن تكون له الصفة السرائرية كرأس لجسد الكنيسة في موضع ما (كما شرحنا هذا الوضع الأصيل للأسقفية، راجع الباب الأول من القسم الثاني لهذا البحث).

---

(٤) راجع بند ***"ترتيب الأولَيات بين البطاركة"***، الفصل خامساً من الباب الأول من القسم الثاني: "رتبة الأسقف".

(٥) راجع عوني برسوم، ***التقنين الكنسي***، ١٩٩٤، صفحة ١٢٧ "انعدام مفهوم الترقية في النظام الاكليروسي" مادة ١٢٤.

٧.وفي هذا الإرتباك في آلية الرعاية في الكنيسة، ضمرت رتبة "الذياكونية". فبعد أن كان يقوم بها رجال متخصصون مكرسون متفرغون، يحسّون ويعتزون بكرامة رتبتهم وثبات وضعها ضمن رتب الكهنوت، وبعد أن كان "الذياكون" نادراً ما يُدعى حتى ليكون قساً / بريزفيتروس؛ أصبح الآن الذين يقومون ببعض أعماله أعضاء من شعب الكنيسة غير مكرسين للخدمة الذياكونية، واختزلت بعض المهام الأخرى إلى مجرد المعاونة في الخدمة الليتورجية داخل القداس الإلهي عدة ساعات في يوم أو أكثر من أيام الأسبوع، مثل ترتيل الألحان وإلقاء المردات والنداءات المنوط بالذياكون أداؤها. وبعد ذلك سُمح للصبية الصغار بأداء هذا العمل، وأُطلق عليهم اسم"شمامسة" بالرغم من أن الدرجة التي أُقيموا عليها، (بغير رسامة ووضع يد)، هي "الأغنسطس" أو "الأناغنوستيس" أي القارئ، أو "الأبصالتس" أي "المرتل".وبهذه الصورة تدنّت صورة "الذياكون" (وحتى صورة الأناغنوستيس) ومركزهما في أذهان الشعب وفي نظر المسؤولين في الكنيسة، بالرغم من أهمية تنوع وتعدُّد المهام التي يجب أن يؤديها الذياكون لتكميل الخدمة الأسقفية والقسوسية.

وهكذا فقدت الكنيسة القبطية رتبة هامة، تمثل - حسب تعبير العالم القبطي يسي عبد المسيح - **"أحد أضلاع المثلث الكهنوتي منذ العهد الرسولي"**.

الشماسة في الكنيسة:

ونفس الأمر الذي حدث لرتبة الشماس حدث لرتبة الشماسة. إذ اختفت هذه الرتبة تماماً.

ورتبة الشماسة **مذكورة في الكتابات الرسولية الأولى:**

١.فإذا رجعنا إلى ١ كو ١٦، لنقرأ عن **الكنيسة التي في بيت أكيلا، فإن زوجته الفاضلة بريسكلا** صارت هي **"شماسة" "ذياكونوس Diaconus"** الكنيسة في أفسس.

•وهذا هو نفس اللقب المعطى **لشماسة أخرى اسمها "فيبي"** ذكر اسمها في ديباجة الرسالة إلى رومية (١٦:١): "أختنا فيبي التي هي خادمة (ذياكونوس) الكنيسة التي في كنخريا".

وقد وصف عملها بالتحديد أنها "مُساعِدة (أو مُعاوِنة **Prostatis**) لكثيرين ولي أنا أيضاً" (رو ١٦:٢). وكلمة **Prostatis** التي يصف بها بولس الرسول عمل فيبي (مُساعِدة) أصبحت تُستخدم لوصف عمل الشمامسة عموماً وأنهم "معاونون" للأسقف (الدسقولية ٧).

دور الشماسة في خدمة الكنيسة:

وفي التنظيمات الكنسية المبكرة نجد للشماسة دوراً محدداً هو **خدمة النساء. ولكن ليس لهن خدمة شخصية لأيٍ من رجال الإكليروس**: [على الأسقف أن يقسم شماسات نسوة مختارات قديسات لأجل خدمة النساء]–الدسقولية ١٥:١٤

١. **مساعدة النساء المتقدِّمات للمعمودية** [وقبل كل شئ لأجل امرأة تتعمد... لأنه عمل غير ضروري ولا لائق أن يتأمل الرجال النساء إلا في وضع اليد فقط]–الدسقولية ١٥:١٥

- تعلِّمنهن التعليم المسيحي. [ليقمن بتعليم النساء المتقدمات للمعمودية بدقة وحذق الأجوبة على الأسئلة التي تُطرَح عليهن في وقت المعمودية]–قانون ١٤ مجمع قرطاجنة (سنة ٣٩٨)
- المساعدة في إجراء التغطيس في مياه المعمودية ودهنهن بالزيت المقدس، بينما يدهن الأسقف جبهة المعمَّدة فقط. [لكي يدهن الأسقف رأس المرأة... والأنثى تصبغها المرأة الشماسة] الدسقولية ١٥:١٥، ١٧

٢. **الخدمة الروحية للنساء وتمريضهن وخدمة المُسنَّات**. [والشماسة المرأة أيضاً لتكن مجتهدة أن تربح النساء وتعينهن]– الدسقولية ١٥:٢٥

٣. **لا تأتي امرأة إلى الأسقف لتسأل أي شئ إلا مع الشماسة**. [وخارجاً عنها لا تأتي واحدة من النساء إلى الشماس أو الأسقف لتسأل عن عمل متعلق بدرجته]–الدسقولية ٤:٩

٤. **إراحة النساء في الكنيسة ومراعاة نظامهن**. [وشماسات يحرسون النساء لئلا يكون فيهم قلق أو تومئ إحداهن أو تنام. وتقف الشماسات عند أبواب (الكنيسة الخاصة بدخول) النساء لئلا يخرج أحد]– قوانين الرسل بيد إقليمس– الكتاب الخامس، الدسقولية ١٠:٢٣

٥. **افتقاد النسوة في البيوت**. [لأنك لا تقدر أن ترسل شماساً إلى المنازل إلى النساء بسبب غير المؤمنين. فترسل شماسة امرأة بسبب فكر الناس الأشرار]–الدسقولية ١٥:١٤

شروط تسمية الشماسة:

قديماً، كانت الشماسات يُختَرْنَ أحياناً من بين الأرامل اللواتي أُخترن لرتبة الأرامل واللواتي ذكرهن القديس بولس الرسول في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس الإصحاح الخامس:

– "ولكن التي هي بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهي تواظب

الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً.... لتُكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة، إمرأة رجلٍ واحد (أي لم تتزوج بعد ترملها)، مشهوداً لها في أعمال صالحة، إن يكن قد ربَّت الأولاد، أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين، اتَّبعت كل عمل صالح."([1])

ولكن ليست كل أرملة شماسة، بل فقط التي سُميت شماسة. وفي هذه الحالة يمتنع عليها أن تتزوج ثانية بعد اختيارها شماسة، [وهي لا تُرشم بل تُجعل بالإسم]–قانون ٢٥ من قوانين الرسل ال ٧٠. وهذا الفرق بين الأرامل والشماسات يظهر من النص التالي الخاص بوجوب خضوع الأرامل للشماسات: [فالواجب للأرامل أن تكنَّ هادئات قنوعات خاضعات للأساقفة والقسوس والشمامسة وأيضاً للشماسات]–الدسقولية ١٢:٤٤

وأحياناً كُنَّ يُخترْن من بين **العذارى المتبتلات غير المتقدِّمات في السن، على شرط عدم نكث نذر بتوليتهن بالزواج بعد إقامتهن شماسات**. وعندنا مثل **الشماسة أوليمبياس** (٣٦٥–٤١٠)، التي كانت زوجة حاكم مدينة القسطنطينية. ثم ترملت وهي في مقتبل العمر، ولكنها رفضت الزواج بالرغم من إلحاح الإمبراطور البيزنطي. وقد صارت تلميذة للقديس يوحنا ذهبي الفم فيما بعد.

ولكن يمكن أن يُخترْن أيضاً من بين السيدات التقيات المتزوجات المتقدِّمات في السن، إذا توفرت فيهن الشروط الروحية الأساسية مع روح الأمومة الروحية. إن رتبة **"الشماسة"** أصبحت الكنيسة في مسيس الحاجة إلى رجوعها ثانية الآن، وعلى الأخص لخدمة ورعاية الفتيات والشابات من النواحي الروحية والتربوية والإجتماعية، ولافتقاد العائلات وربطها بالكنيسة، وتوعية أفرادها وعلى الأخص الزوجات والأمهات والبنات بما يرسي دعائم البيت المسيحي، وعلاج الحالات المستعصية التي تحتاج إلى أمومة ورعاية وحسن توجيه ما قد يصعب على الخدام من الرجال القيام به، وما يمنع جمّاً من المشاكل التي تتعرض لها عائلاتنا المسيحية قبل وقوعها واستفحالها.

وكما ذكرنا في باب ***"القس البريزفيتيروس"*** عن خطورة ممارسة الكاهن لسر الإعتراف

([1]) وهنا نعود ونكرر أن هذا شرط الزواج من رجل واحد ينصبُّ لا على "الزواج" بل على "الرجل الواحد" وهو ما يسمى **"واحدية الزيجة"**. وقد شرحت الدسقولية سبب هذا التحديد في الفصل الثاني عشر. وهذا الوضع **"واحدية الزيجة"** هو نفسه الشرط بالنسبة للأسقف والقس والشماس إن كان المرشح لإحدى هذه الوظائف متزوجاً.

عن غير خبرة روحية بطب النفوس والأرواح، هكـذا نؤكـد هـذا التحذير مـن جهـة التقـدم لتلقي الإعتراف وإرشاد السيدات والفتيات عـن غير خبرة روحيـة وحكمـة روحيـة خاصـة. وهنا يمكن للشماسة (بالشروط والكفاءات التي ذكرناها سابقاً) أن تقوم بهـذا الـدور تحت إشراف الكاهن، إذ أن للمرأة أقدر جداً، أكثر من الخادم الرجل، على تفهُّم والولوج إلى داخل نفوس بنات جنسها من النساء.

ملاحق البحث

١. حول الأسقف الذي يُرسم دون أن يكون مُقاماً على إيبارشية:

هذا الوضع المستحدث في كثير من كنائس العالم (أسقف بلا إيبارشية وشعب) قد ظهر أول ما ظهر في الكنائس البيزنطية ومن يدور في فلكها، وغير معروف بالضبط متى استحدث؟ وهل كان بفعل تداخل الدولة البيزنطية في شئون الكنيسة بعد القرن الرابع بفرض رسامة أساقفة بدون داعٍ كنسي ولأسباب لا صلة لها بالرعاية كما يقول بعض المحللين، أم ماذا؟ ولكن عموماً فقد انتقد كثيرون من آباء الكنيسة والعلماء اللاهوتيون قدامي وحديثين من الشرق والغرب على السواء هذا الوضع وما زالوا ينتقدونه. ففي القديم وضع المجتمعون في مجمع سرديقا القانون رقم ٦ المشار إليه سابقاً عن عدم جواز رسامة أسقف بلا داعٍ أو إذا كان يمكن رعاية الموضع بواسطة قس. فإن كانت القوانين قد حدَّت من التوسع في رسامة الأساقفة إذا لم يكن الموضع كبيراً (راجع الفصل الثالث)، فكم وكم يكون التحديد بل والمنع من رسامة أسقف بلا شعب أصلاً. (أنظر نيقية ١٥، الرسل ١٤و٣٦، أنطاكية ٢١و٢٢). وراجع القانون السادس من القوانين المختصة بترتيب الكهنوت في قرارات مجمع خلقيدونية (لا تعترف الكنيسة القبطية بالإعلان العقائدي لهذا المجمع ولكننا نشير إلى القانون التنظيمي المتماشي مع التقليد الكنسي). وقد حتمت القوانين المجمعية ضرورة ذكر اسم المدينة أو الموضع الذي يُسام عليه الأسقف في صلوات الرسامة. ونحن نعرض هنا آراء العلماء اللاهوتيين في هذا الوضع بالرغم من تطبيقه في كنائسهم، للإستئناس بهذه الآراء أمام المسئولين عن كنيستنا.

وهذه أمثلة من نقد العلماء اللاهوتيين من مختلف الكنائس على هذا الوضع في كنائسهم الذي لم تعرفه كنيستنا القبطية الأرثوذكسية على مدي العشرين قرناً إلا أخيراً:

- يقول أحد العلماء في الكنيسة الغربية(١) (أسقف أكسفورد للكنيسة الأنجليكانية بإنجلترا):

[عطايا الله إن لم يكن هناك شعب ليشارك فيها أو يتناول منها، تبقى كامنة.

---

(١) **Kenneth E. Kirk, D. D., Bishop of Oxford, in *The Apostolic Ministry*, Hodder & Stoughton, London 1957, p. 31**

والإنجيل إذا أُغلق عليه داخل غرفة مغلقة يظل إنجيلاً فقط، ولكن إذا بُشِّر به شعب يكون بحق حياً وفعالاً وأمضى من كل سيف ذي حدين قادراً أن يخترق إلى مفاصل النفس والروح مميزاً أفكار القلب ونياته. وأسرار الكنيسة إذا لم يوجد من يشترك فيها، لا يمكن أن تكون العلامة المنظورة للنعمة الروحية غير المنظورة المعطاة للبشر.

وهل يمكن، إذاً، أن يوجد راعٍ بلا رعية، أو خادم بيت بلا بيت، أو ناظر من أعلى بلا أحد تحت نظارته ليشرف على **خلاص نفوسهم؟!**]

وهذا التعليق يتفق مع نص القانون الكنسي القائل:

[... إن لم يوجد علمانيون فعلى من يكون الأسقف والقسوس والشمامسة]

القانون ٤٩ من قوانين الرسل علي يد إقليمس

• كما يكتب العالم اللاهوتي الكاثوليكي لويس بوايه(٢):

[يقول القديس كبريانوس إنه لا يمكن أن يوجد أسقف بدون كنيسة كما أنه لا توجد كنيسة بدون أسقف ... لذلك فأي أسقف حتى لو كان قد اختير وكُرِّس حسب الأصول القانونية فطالما ليس له كنيسة، فهو ليس بأسقف. ... والأسقف المساعد ليس أسقفاً حقيقياً، بل هو بمثابة أداة في يد أسقف حقيقي آخر في إيبارشية (أقيم) لكي لا يفعل شيئاً إلآ بدلاً من الأسقف الحقيقي. ويمكن لكاهن بسيط أن يساعد بطريقة مباشرة هذا الأسقف الحقيقي في خدمته أفضل من أسقف مساعد. والأسقف الشرف **Titular** إن لم يكن له إيبارشية خاصة به فهو أسقف بالإسم وليس أسقفاً حقيقياً بأي معنى]

• وهكذا يعلق أيضاً أحد اللاهوتيين من الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية(٣) هذا الوضع قائلاً (وهذا مجرد مثل من تعليقات كل اللاهوتيين الأرثوذكس الذين تعرضوا لنفس الموضوع):

[إن عدداً كبيراً من اللاهوتيين الأرثوذكس بدأوا يتساءلون بجدية في وضع الأساقفة

---

(2)Louis Bouyer, *Bishops in the Church, The Catholic Tradition*, in: BISHOPS BUT WHAT KIND, SPCK, London, p. 37

(3) Thomas FitzGerald, Conciliarity, *Primacy, And the Bishopscopacy*, St. Vladimir's Theological Quarterly, 38,1, p. 2; 9

الشرف (Titular أي أسقف باللقب فقط) والأساقفة المساعدين (Auxiliary) الذين بحكم وضعهم ليس لهم ارتباط مباشر بكنيسة في موضع ما. وهذه الممارسة تبدو وكأنها وضع شاذ يرجع لعصور قريبة وليس لها أي سند من العصر الآبائي المبكر.

وإن الواحد ليندهش جداً ويتساءل كيف يمكن لأسقف بلا إيبارشية أو أسقف مساعد أن يعمل كراعٍ إن لم يكن مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بكنيسة في موضع ما كأب حقيقي لرعية؟ وقد يحتج البعض بأنه مكلف أن يعمل باسم أسقف إيبارشية. **إلا أن هذا الزعم لا يتفق مع الفهم التقليدي الأرثوذكسي للعلاقة بين الأسقف والكنيسة في موضع محدد]**

وفي الكنائس البيزنطية التي يحدث فيها أحياناً هذا الوضع المستحدث، وُضعت تحديدات صارمة علي وضع هؤلاء "الأساقفة":

١ - فقد مُنعوا من ممارسة صلاحيات وسلطان رسامة الرتب الأدنى. باعتبار أن سلطان الأساقفة منحدر إلي الأسقف من الرسل يناله من خلال الكنيسة المجتمعة التي أُقيم عليها الأسقف بالانتخاب الحر. وسلطان الرسامة ممنوح للأسقف ليمارس عمله الرعوي لشعبه الذي أقيم عليه وليس كوظيفة قائمة بذاتها مستقلة عن رعاية الشعب. وبالتالي فإنه محرم عليهم القيام بخدمة التأديب الكنسي من حرم وحل.

٢ - كما مُنعوا في بعض الكنائس من حضور جلسات مجمع الأساقفة لكنائسهم، إلا إذا كان حضورهم لغرض استشاري لعلو مركزهم العلمي اللاهوتي مثلاً. وإن حضروا فليس لهم حق التصويت علي القرارات، أي ليس لهم صوت فعّال في الاقتراع علي القرارات. والحكمة في ذلك أن الأسقف حينما يحضر إلي مجمع أساقفة الإقليم، فهو يحضر ليعلن، لا رأيه الشخصي أو شهادته الشخصية عن إيمانه الشخصي كأنه شخص معصوم من الخطأ، بل ليعلن ويشهد عن الإيمان الرسولي الذي يؤمن به شعبه الذي يمثله (بمقتضى انتخاب الشعب له) وذلك ليطابق إيمان كنيسته علي إيمان الكنائس الأخرى في مجمع الأساقفة.

وكأن الكنائس الأخرى التي تمارس وضعاً يخالف القوانين الكنسية المختصة بالأسقف وضرورة ارتباطه بشعب، تمارسه في خوف وخجل من نفسها وهي تضاد طبيعة الكنيسة التي هي مصدر القوانين الكنسية المختصة بتدبير نظام الكهنوت! فلماذا المخالفة أصلاً؟

أما بالنسبة لنا:

فنقول في كلمات مختصرة إن هذا الوضع المستحدث في كنيستنا منذ ٣٥ عاماً تقريباً بدأ بدون أي مذكرة توضيحية أو تفسيرية توضح مبرر هذا الوضع وطبيعته ومكانه في ترتيب نظام الكهنوت المسلَّم من الرسل وحتى يومنا هذا، لذلك فمن الصعب أن نسلِّم بوضع ليس له مكان على خلفية ما عرضناه من طبيعة الكنيسة وأساسيات قيام الكنيسة كما سلمها الرسل للكنيسة الجامعة (وسلمها القديس مرقس الرسول لكنيسة مصر) منذ عشرين قرناً، ولا يجب أن يُظن بأننا بمناقشتنا الموضوعية البحتة نمس الآباء المباركين الذين يتقلدون هذا الإسم فلهم في نفوسنا كل احترام ولأعمالهم الجليلة في الكنيسة كل تقدير. لكننا يمكن أن نلخص بعض المبادئ الأساسية لأساسيات قيام الكنيسة وترتيب نظام الكهنوت والتي تحكم كل تدبير في الكنيسة لعلها تنير الرأي بشأن هذا الوضع أمام آبائنا المسئولين عن تدبير شئون الكنيسة:

١.رسمت القوانين الرسولية هذا المبدأ: **أسقف واحد في إيبارشية واحدة. وإيبارشية واحدة لها أسقف واحد.**

٢.عدم جواز **تجزئة صلوات وطقوس إجراء الأسرار الكنسية** بغير ما هو موضح في تعليمات الطقس. فلا يمكن مثلاً تجزئة صلوات القداس الإلهي بتأجيل القسم الخاص بالتناول من الأسرار المقدسة إلى يوم لاحق! أو إجراء صلوات سر الزيجة المقدسة على **العريس بدون حضور العروس وتأجيل اقتران العريس بعروس إلى وقت لاحق؟** وبالتالي وبنفس المبدأ فلا يصح أن يُرسم أسقف بدون طقس تزكية شعبه وبدون الـ "أكسيوس" التي يرددها الشعب ٣ مرات كشرط لإجراء الرسامة، إذ مَن الذي سيسأله رئيس الأساقفة بحسب الطقس: "هل هذا هو الذي ارتضيتموه أسقفاً لكم؟". علماً بأن كل طقوس الأسرار الكنسية كلها هي طقوس تتم بالمشاركة والشركة بين الإكليروس والشعب ذي الصلة بالطقس. ولا يمكن إجراء السر بمعزل عن أيهما.

٣.عدم جواز التغيير والتبديل في كتب صلوات إقامة الأسرار الكنسية وتطويعها لتناسب نظماً مستحدثة ليس لها مكان في ترتيب نظام الكهنوت في الكنيسة. وهذا أمر في منتهى الخطورة في الكنيسة الأرثوذكسية.

٤.لابد من الإستفادة من خبرة الكنيسة السابقة على مدى العشرين قرناً في مثل هذه الحالات. فمثلاً رتبة **الخوري إيبسكوبوس** التي بُدئ في إدخالها ضمن رتب الأسقفية في القرن

الرابع، سبَّبت مشاكل عديدة من منطلق وجود أكثر من أسقف في إيبارشية واحدة، وبمرور الوقت اختفت هذه الرتبة من ممارسة الكنيسة الأرثوذكسية منذ ما قبل انعقاد مجمع خلقيدونية (القرن الخامس). فهذه تجربة حية لابد من الإستفادة منها حتى لا نقع فيما وقع فيه غيرنا من قبل(٤).

٥. لا يوجد في الكنيسة نظام رسامة أسقف أو قس أو شماس بغرض التمرن والتدرب على الأسقفية أو لإختباره ثم "تجليسه" أو "تنصيبه" على إيبارشية أخرى فيما بعد (كما كُتب في أحد المطبوعات التي تبرر هذا النظام المستحدث). فالكاهن لا توضع عليه اليد إلا إذا كان أهلاً لذلك ويكون قد تم تدريبه واختباره قبل رسامته كما أوردت القوانين الكنسية ذلك.

٦. **ولكننا من منطلق تقديرنا للمبررات والضرورات التي ربما كانت وراء استحداث هذا الوضع في كنيستنا، نقدم اقتراحاً يوفق بين المبررات التي دفعت المسئولين إلى إقامة "أسقف عام" وبين الحفاظ على خصوصية خدمة الأسقفية** من جهة اقتصارها على خدمة الشعب في إيبارشية محددة، وخطورة تعدد أكثر من أسقف واحد في الإيبارشية الواحدة، وهكذا يلي هذا الإقتراح مطلب إقامة مسئولين عن خدمات عامة للكنيسة يعاونون الأسقف أو البابا (مثل الخدمات الإجتماعية أو خدمة الشباب أو خدمة التعليم اللاهوتي العام، أو السكرتارية وغيرها من المهام العامة)، وذلك بتعيين **قس بدرجة إيغومانس** (كلمة إيغومانس تعني "مدبر" وهو يحمل صفة رئاسية في موضع خدمته)، **ويمكن أن يكون من المتبتلين (إلا إذا كان عمله متصلاً برعاية الأسر والعائلات)**، مع إلحاق لقب **"نائب أسقفي"** أو **"نائب بابوي"** إلى لقبه الكهنوتي، وذلك ليقوم بمباشرة هذه الخدمة أو تلك بكل الصلاحيات اللازمة، إذ سيكون لهذا النائب الأسقفي (أو البابوي) السلطة المستمدة من أسقفه أو من البابا في تسيير أمور الخدمة التي أُوكلت إليه. ولن يؤثر هذا الوضع على ترتيب نظام الكهنوت المختص بالقسوسية لأن القس معتبر في ترتيب نظام الكهنوت أنه ينوب عن الأسقف في رئاسته للكنيسة التي هو مرسوم عليها.

إن هذا الإقتراح، حسب اعتقادنا، سيجنب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المستقيمة الرأي أن تقتبس من الآخرين مخالفاتهم أو استحداثاتهم وتتخلى بعد عشرين قرناً من الأمانة للتقليد

---

(٤) راجع تاريخ هذه الرتبة في: **N&P.N.FATHERS 2nd Series, Vol. xiv, pp. 21--23**. وكتاب "مجموع الشرع الكنسي" صفحات من ٦٥-٦٩

الكنسي عن أمانتها المعروفة والتي تسجلت لها أمام الله في السماء وعلى الأرض في ذاكرة التاريخ في كل كنائس العالم، وفي الوقت نفسه تلبي مطاليب الخدمات العامة في الكنيسة.

٢. مهمة الرعاية والروح الجمعية في رأي العلماء اللاهوتيين:

يقول العالم الآبائي كارل هيومان شيلكلي **K.H.Schelkle** في مقالـه عـن "الخدمـة" "**Diakonia**" أن أسفار العهد الجديد وكتابات الآباء وهي تعلِّم عـن الكرامـة المعطاة للكنيسة كلها كشعب الله الحامل لمسحة الكهنوت الملوكي الناضح مـن جسـد المسيح، تؤكـد أيضاً وتعلِّم عن الرئاسة الكهنوتية للكنيسة. فالوجهان للكهنوت مترابطان ومتلاصقـان. ومـن هـذا الترابط والتلاصق بين التعليمين يتضح نوع خدمة رجال الكهنوت في الكنيسة المسيحية:

فالقديس كبريانوس أسـقف قرطاجنـة المتقـدم بـين أسـاقفة شمـال أفريقيـا، يكتـب **بأن الأسقف هو في الكنيسة والكنيسة في الأسقف**. والأسـقف ليـس هـو الكنيسـة ولكنـه يمثـل الكنيسة، كما أن الشعب حاضر وممثَّل في الأسقف.

وجميع العلماء اللاهوتيين يرددون هذا المبدأ وبعضهم يستشهد **بالقديس أغسطينوس** الذى يقول إنه حتى سلطان مغفرة الخطايا هو سلطان مُعطَى للكنيسة كلها، الإكليروس والشعب معاً(٥). والكاهن يعلن هذا الغفران **باسم الكنيسة الجامعة المجتمعة**.

والقديس يوحنا ذهبي الفم يقول في عظته علـى الرسالة الثانيـة إلى كورنثـوس ١٨:٣ إن الافخارستيا هي عمل مشترك بين الجميع. فهـي لا تُقـام بالكـاهن وحـده بـل بالشـعب مـع الكاهن، لأنه يبدأ القداس بعد أن يعطيه الشعب تـأييدهم وموافقتهـم مـن خـلال المرد الـذى يقوله الشعب: "مستحق وعادل".

فمن خلال الكنيسة المجتمعة شعباً وإكليروساً، تغفـر الكنيسـة الخطايـا، وتقـدس القرابـين، وتهب الحياة لشعبها، وبالإجمال تمارس كل الأسرار المقدسة.

ومن هذا المفهوم الذى أصبـح مشـتركاً بـين الكثـير مـن الطوائـف المسـيحية، أرثوذكسـية وكاثوليكية وبروتستانتية، أصدر لاهوتيو هذه الكنائس وثيقـة تُعـرف باسـم **BEM**(٦) (وهـي الحروف الأولى من الكلمات الإنجليزية للأسرار الثلاثة: المعمودية والافخارستيا والكهنـوت)،

---

(٥) **K.H.Schelkle, op. cit., p10** عن مقال لأسقف الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية في بتسبرج بأمريكا:
Maximos, *The Parish Presbyter and His Bishop*, St. Vladimir's Theol. Quart., vol.29,no.1/1985

(٦) **WCC, *Baptism, Eucharist and Ministry*; Faith and Order, paper no.111, (Geneve,1982).**

وفيها أعلنوا أن: "الاكليروس يجب أن يمارسوا سر الكهنوت على ثلاثة مستويات: **شخصي، ومجمعي، ومشترك**".

وتوضح الوثيقة معنى كلمة "**شخصي**"، بأنها تعنى أن حضور المسيح بين شعبه يتحقق من خلال "الشخص" المرسوم كاهناً ليعلن الإنجيل، وليدعو الكنيسة أن تخدم الرب في وحدة الحياة والشهادة.

ومعنى كلمة "**مجمعي**"، أن الأمر يحتاج إلى مجمع الإكليروس ليشاركوا في المهمة المشتركة لخدمة الكنيسة.

وأخيراً كلمة "**مشترك**"، فإن العلاقة الوثيقة بين الكهنوت السرائري في الكنيسة وبين الكنيسة كشعب الله حامل الكهنوت الملوكي للمسيح، يجب أن تتحقق في حياة الشركة بين الإكليروس والشعب وفي مشاركتهما معاً في طلب مشيئة الله ومشورة الروح في كل أمور الكنيسة.

بهذه العناصر الثلاثة معاً تؤدَّى خدمة الكهنوت المسيحي في الكنيسة، إذ هكذا عاشت الكنيسة منذ البداية، ومازالت تجاهد لتسترجع حياة الشركة الكاملة والتعاون المثمر بين الإكليروس والشعب.

٣. وثائق طقس الرسامة:(٧)

١.التزكيـــة

باسم الآب والابن والروح القدس، الثالوث القدوس غير المفترق، الإله الواحد، إلهنا. نحن المسيحيين الأرثوذكس، نتكل عليه إلى النفس الأخير، ونرسل إليه في الأعالي المجد والإكرام إلي الأبد.

نحن المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الشعب المحب للمسيح بمدينتي الإسكندرية والقاهرة وأقاليم مصر جميعاً.

عندما حلت بنا جائحة اليتم بانتقال طيب الذكر مثلث الرحمات البابا الأنبا يوساب الثاني إلى الأخدار السمائية، الذي نال جميع المواعيد المقدسة ومضي إلى الله الذي أحبه فسمع منه

---

(٧) عن مجلة رسالة المحبة الغراء في عددها التاريخي رقم ٦ من السنة الخامسة والعشرين الصادر عن شهر بشنس ١٦٧٥ مايو يونيو ١٩٥٩

تعالي ذاك الصوت المملوء فرحاً القائل: نعماً أيها العبد الصالح الأمين أدخل إلى فرح سيدك: عندما **ترملت كنيسة الله المقدسة التي كان يرعاها بتعاليمه،** تضرعنا إلى العلي أن يرشدنا إلى من هو مستحق لهذه الرئاسة العظيمة، ليرعانا في طريق الرب ويهدينا ميناء الخلاص، فبمنحة علوية واختيار الروح القدس اتفقنا جميعاً بطيب قلب على القمص مينا المتعبد لله الراهب الذي من دير البرموس، **بابا ورئيس أساقفة على الكرسي الرسولي الذي للقديس مرقس ناظر الإله الإنجيلي كاروز الديار المصرية وإثيوبيا والنوبة وخمس المدن الغربية وسائر أفريقيا،** وقد وقع اختيارنا عليه لأنه رجل متعبد لله محب للغرباء، معلم، طاهر، يحمل بالفهم والمعرفة. مُجد في نشر تعاليم الإنجيل، ساهر على حفظ طقوس الكنيسة وتقاليدها، أقمناه رأس رعاة وبطريركاً لبيعة الله المقدسة لكي يرعانا بالرأفة والوداعة. لهذا سطرنا هذه التزكية ووقعنا عليها مقدمين الشكر للثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس. آمين.

٢.صلوات وضع اليد

ووضع كبير الأساقفة يده على رأس القمص مينا متوسلاً أن تحل عليه نعمة الروح القدس وأن يجعله الرب أهلا لدعوة رياسة الكهنوت.

ثم وضع الآباء المطارنة والأساقفة أيديهم على رأسه وتلا نيافة الأنبا ميخائيل مطران أسيوط هذه الصلاة:

أيها السيد الرب ضابط الكل الأزلي، مصدر كل الرأفات وإله كل عزاء. أبو ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي خلق جميع الأشياء بقوته وحكمته ومشورته، وثبت أسس المسكونة. اللهم العارف كل الأشياء قبل تكوينها، الذي زين أكاليل المختارين من قِبَله، الذي جعل خوفه في قلوب خليقته لكي تخضع لعزته، الذي أنعم علينا بفهم حقيقي لنعرف روح صلاحه، الذي أضاء كنيسته بنوره غير الموصوف واصطفى إبراهيم خليله لميراث الأمانة، ونقل قديسه أخنوخ إلى الكنوز النورانية لأنه أرضاه، الذي وهب موسى الوداعة وهرون كمال الملكوت. الذي مسح الملوك والرؤساء لكي يقضوا بين شعبه بالعدل، الذي لم يدع مذبحه المقدس السمائي بغير خدمة منذ إنشاء العالم حتى اليوم. اللهم الذي أقام كهنة في بيعته ليخدموا اسمه القدوس، نسأل ونضرع إلى صلاحك عن عبدك (الأنبا كيرلس السادس) الذي اصطفيته رئيس كهنة على بيعتك ليكون رئيساً لشعبك وراعياً له. أشرق عليه يا رب بنور وجهك لكي يضئ قلبه بينبوع مجدك فيعرف أسرارك الإلهية. أفض عليه روحك

القدوس، روح الحق روح الكمال المعزي الذي أعطيته لرسلك القديسين وأنبيائك الأطهار، امنحه يارب روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوي، املأه من مخافتك يا الله ليقضي بين شعبك باستقامة، ويتمسك بالإيمان الأرثوذكسي القويم. ألْبسه حلة مجدك المقدسة، وضعْ على رأسه تاجاً، وامسحه بدهن الفرح، دهن صلاحك ليكون رئيساً لكهنتك، أميناً على بيعتك، ليخدمك بلا لوم كل أيام حياته بذبائح طاهرة، وصلوات نقية، ونفس مضيئة بأصوام وأعمال صالحة، ومحبة ووداعة وأمانة بلا رياء، ويرفع القرابين عن جهالات شعبك وينتشلهم من فخاخ الخطية، ويردهم إلى حظيرتك المقدسة. اللهم امنحه سلطان روح قدسك ليحل كل وثاق ربطه العدو بالخطية ويجمع أبناء الكنيسة لكي تصبح الرعية واحدة لراع واحد، واحفظ كهنوته بلا عيب إلى التمام ليخدمك بذبائح روحية كل حين كرتبة رئيس الكهنوت الأعظم الذي في السموات يسوع المسيح ربنا، هذا الذي يليق بك معه والروح القدس العز والمجد والإكرام إلى الأبد آمين.

٣.تقليد رياسة الكهنوت

تقليد الأنبا كيرلس السادس رئيس أساقفة مدينة الإسكندرية العظمى

باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد له المجد دائماً

نحن المطارنة والأساقفة خدام بيعة الله الطاهرة **الأرثوذكسية، بجهات الكرازة الرسولية المرقسية، المجتمعين برحمة الله العظيمة العلوية، نكتب** إلى الجزيلي الحب الإيغومانسيين المكرمين، والقسوس الورعين، وباقي مصاف البيعة المباركين، والآباء الرهبان العابدين، والأراخنة المحترمين، وقاطبة **شعب المؤمنين الأرثوذكسيين، الكائنين بالمدينة العظمى الإسكندرية، وفسطاط مصر، والقاهرة، وكل الأقاليم المصرية، والنوبة، والحبشة، وكافة التابعين للكرازة المرقسية الرسولية،** من إخوتنا وأحبّتنا الروحيين التابعين إليهم، سلاماً دائماً بهياً وتبريكاً روحياً أبوياً.

أيها الإخوة: بوِّقوا بنغمات الفرح والحبور، وهللوا معيِّدين عيد الابتهاج والسرور، سبحوا ومجدوا عظائم إلهنا الذي لا يُحدُّ غناه، ولا تستقصي حكمته، ولا يدرك علمه، ولا تفحص أحكامه وقدرته، سيدنا كلنا يسوع المسيح الإله الحقاني، العارف الأشياء قبل كونها، والمُطّلع على غوامض الأفكار الإنسانية وشئونها، كلمة الله الذاتية الذي لم يزل كائناً مع أبيه وروحه القدوس بوحدة جوهرية، وإذ هو الملك الحقيقي الذي كنوز الحكمة لديه مخفية،

وأعماله عن إدراكات العقول محجوبة خفية، فبإرادته غير المفحوصة اقتبل اليه الأب الطوباني، والراعي الأرثوذكسي الروحاني، أبينا البطريرك الأنبا يوساب الثاني ال١١٥ في عداد البطاركة الأرثوذكسيين، ونقله إلى دار البقاء والخلود حيث آمال الصالحين، وثقة العابدين، وغاية الفائزين، فالضرورة قادتنا أن نجتمع باتفاق واحد حسب الرسوم الرسولية، نحن مطارنة وأساقفة الكرازة المرقسية وكهنة الكنائس وأراخنة الملة الأرثوذكسية، وتشاورنا في جلسات متنوعة، بأوقات متعددة، مبتهلين إلى الله تعالى، أن يُظهر لنا خيريته، في من يريده لهذه الخلافة الممجدة، متداولين باجتهاد عمن يستحق للرياسة الكهنوتية الفخيمة، ليرعانا في طريق الرب، ويرشدنا إلى ميناء الكنيسة الهادئة القويمة. إذ نحن عارفون بعواطف قلوب الشعب المرقسي (**"أهل مدينة الإسكندرية"** في مخطوطة القرن الثالث عشر)، التائقة دائماً للأبوة العظمي، وحبهم للسيد المسيح الذي منح كنيسته هذه الرياسة الأسمي وأنهم لا يؤثرون أن يمكثوا في حالة اليتم إلى أمد مديد، ويبقوا بدون راع إلى زمن بعيد.

فلهذا شرعنا بجد واجتهاد في أن نتمم الرسوم الإلهية، مقدمين مع الشعب عواطف الضراعات والابتهالات القلبية، إلى أن ارشدتنا الحكمة العجيبة وأسعفتنا المقدرة السامية الرهيبة، (بطريق القرعة الهيكلية)(*) إلى اختيار المتعبد لله الإيغومانس الجليل، الأب مينا الراهب البتول، من برية شيهيت من المجمع البهي المحروس، بدير السيدة بالبرموس، المتربي فيه منذ شبوبيته تحت نظارة آباء ورعين، وشيوخ عابدين، وقد نال نعمتهم مثل أليشع مع إيلياس نعمة مضاعفة، من قبل أعمال التقوي والعبادة، والطاعة المشرفة، كما هو مكتوب في الأسفار الرسولية هكذا، "نحن نعلم أن أولئك الذين يحبون الله يعينهم في كافة الأعمال الصالحة المرضية، أولئك الذين دعاهم كسابق رسمه، إذ الذين سبق فعرفهم، هم الذين تقدم فرسمهم، والذين رسمهم هم الذين دعاهم، والذي دعاهم هم الذين بررهم، والذين بررهم هم الذين مجدهم". وقوله أيضاً "لن ينال أحد الكرامة لذاته وحده إلا المدعو من الله مثل هرون الحبر عبده". كذلك الذين أتوا بعده، في كل جيل إلى الأبد، وإلى انقضاء الزمان، وبما أننا واثقون بسموّه حسب التزكية، المقدمة منا ومن الجمهور، وشهادة الآباء العابدين باستحقاقه

(*) ما بين القوسين غير مذكور في مخطوطة القرن الثالث عشر فهي مضافة على هذه الصلوات بالذات لأن إجراء عملية القرعة ليس داخلاً ضمن طقوس رسامة البابوات أصلاً. وقد دخل هذا الإجراء في القرن الحادي عشر نقلاً عن عادة نسطورية وبإيعاز من الوزير غير المسيحي بسبب المشاكل التي حدثت أثناء انتخاب البطريرك في عصره. راجع: ألفريد بطلر، ***الكنائس القبطية القديمة***، مترجم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، صفحة ٢٣٧-٢٣٨.

لهذا المقام الرياسي الميرور، فقد جعلنا الله الذي هو مصدر الخيرات العلوية، المنتخب هذا الأب حسب دعوته السمائية، معينا لنا ومقصداً، ومكملاً ومؤيداً، واجتمعنا احتفالياً، بالكنيسة الكاتدرائية، الرسولية المرقسية، بحضور جمهور أراخنة ونبلاء ونجباء وأبناء الكرازة المرقسية الأرثوذكسية، مقدمين سر الشكر الشريف المنير، بعبادة وورع لعزة الله العلي القدير، وبهذا الاحتفال الروحاني والمجمع الطوباني، في يوم الأحد العظيم الموافق ٢ من شهر بشنس قبطي سنة ١٦٧٥ للشهداء الأبرار الموافق ١٠من مايو سنة ١٩٥٩ مسيحية، **رقيناه إلى الدرجة السامية البهية التي للرياسة الكهنوتية السنية، واسميناه باسم كلمة الله الأقدس الأب البطريرك البابا أنبا كيرلس السادس المائة والسادس عشر في عداد بابوات الاسكندرية وبطاركة الكرازة المرقسية**، ليكون لنا أباً وراعياً، ومرشداً للخلاص، وراعياً يرعانا في مروج الأمانة المخصبة الروحية، التي للمعرفة الحقيقية، رافعين إياه، إلى خلافة الإنجيلي الناطق بالالهيات، القديس مرقس الرسول المبشر بالخيرات الأبديات، ولقد أفعمت نفسه الزكية من النعم الروحية السماوية، عندما منح موهبة الروح المعزي بالأصوات الرسولية القدسية، واذ ألبسناه حلة الرياسة الحبرية، وتوجناه بتاج الأمانة الرعائية، من لدن العزة الالهية، الكلية الاقتدار، ببركات طغمة الرسل الأطهار الأبرار، والتلاميذ الأفاضل الأحبار، أضحي رئيساً للكهنة وراعياً ومعلماً وأباً عاماً للمؤمنين مقدماً نائلاً هذا السلطان، من الله ملك السمائيين والأرضيين، ليربط ويحل كالحدود القانونية، ويتصرف كالرسوم الشرعية في سياسة وإرشاد المؤمنين، ويشرطن الاساقفة بالانتخاب والاستعداد والتزكية ويقيم الاكليروس لخدمة الأسرار القدسية، ويقدس المذابح، ويكرس البيع المتجددة وبيوت الشهداء المؤيدة ويمارس السلطان الذي منحه سيدنا يسوع المسيح لتلاميذه وصفوته، جامعاً إلى داخل المرتسمين بأسرار بيعته، ويكرس الميرون الذي هو الدهن السري الروحي الشريف، بالسر المكتوم الذي للخدر الأكرم العلوي، الذي للعروس المزينة السماوية المدعوة عروس الابن المنيف، ويتمم فعل حميم الميلاد الثاني الجديد، الذي للروح القدس كالأمر الصادر من المسيح إلهنا الذي صار له خليفة، وواسطة بيننا وبينه، وكرتبة موسي خادم الله وواضع الشريعة، وهارون اللاوي المؤتمن على خدمة قبة الشهادة، ورعاية الجماعة. هذا وقد توطدت نفسه باسم يسوع المسيح الفادي الوسيط، وامتلأ من نعمة الروح القدس الفارقليط، وأضحي انساناً جديداً، بالرتبة العظمي، المنعم عليه بها، من كنز نعم الله العلي، وفضله الأسمى ذلك الذي يرفع المتواضعين، ويرفع المسكين من الحضيض، ويجلسه مع رؤساء شعبه الفائقين. ولقد امتلأنا من الفرح الدائم والسرور السيدي، الذي دعينا إليه من قبل سيدنا المسيح كلمة الآب

السرمدي المتجسد من العذراء وصار انسانا واقتبل الآلام والموت بجسده وقام في اليوم الثالث، من بين الأموات بعزة جبروته ومجده، وصعد إلى السموات، جالساً عن يمين الآب في الأعالي، وأرسل الروح المعزي مالئاً تلاميذه الأطهار من تقديسه ومواهبه ذات المعالي، مكملين بالرتبة السماوية والرسالة الالهية، إلى أن جمعوا شمل المتبددين، وأقاموا منار الدين واصطفوا بهدايته تعالي المستحقين، لرعاية المؤمنين، وإنا لمؤمنون ومتيقنون، بأن سيدنا وملكنا يسوع المسيح قد أنعم علينا وأقام لنا هذا الأب الصالح المأمون.

والله الذي اصطفاه راعياً لكرازتنا، ورئيساً لبيعتنا، ينعم عليه بحكمة الكلام عند افتتاح فمه، ربحاً لانفسنا وفائدة لهدايتنا، ويبررنا واياه من كل خطية ويجعل دعوته التي نالها مصدراً للسلامة في الكنيسة الأرثوذكسية، وداعياً للخير لكافة أبناء الكرازة المرقسية، وينعم علينا جميعاً بمراحمه ويمتعنا بدوام مكارمه، بشفاعة الست السيدة كلية القداسة العذراء في كل حين الطاهرة مريم وطلبات أبينا القديس مرقس الرسول الطاهر، الانجيلي الأكرم، وآبائنا المتوشحين بالنعم الالهية، الأب القديس أنبا أثناسيوس الرسولي والأب القديس أنبا كيرلس الكوكب المنير الإسكندري وكافة الآباء البطاركة القديسين، الذين جاهدوا باستقامة محامين عن الدين.

ثم إننا نعلن إيماننا بإله واحد في الجوهر، الآب ضابط الكل، وابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح، الكائن باتحاد غير منقسم، ندعوه حقاً مثل الآب ونعرف أن الابن ليس هو **ابنين لكن ابناً واحدا وحيداً، لا بالنعمة** والإضافة، بل بالحق هو ابن حقيقي للآب والروح القدس المنبثق من الآب، المساوي للآب والابن في الجوهر، وقيامة الأجساد وبالكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية، وربنا يسوع المسيح فليمنحنا كلمة التعليم عند افتتاح أفواهنا لنعيش بسيرة هادئة ورعة، ونوجد لديه بكل تقوي وعفاف بنعمته وجوده هذا الذي له المجد والجلال، والعزة والكمال، مع أبيه الصالح والروح القدس في وحدانية جوهرية، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

مصادر ومراجع البحث

أولاً–مصادر البحث:

١.*الكتاب المقدس* بعهديه القديم والجديد.

٢. كتاب *الإفخولوجيون* ***EUCHOLOGION*** مطبوع بمدينة رومية عن مخطوطة ترجع إلى القرن الثالث عشر، رومية عام ١٧٦١ للميلاد عام ١٤٧٨ للشهداء، وتحوي الكثير من الصلوات الطقسية مثل الرسامات وصلوات طبخ الميرون وغيرها على نهرين قبطي وعربي. ويرجح أنه عن هذه المخطوطة أخذ ابن كبر صلوات الرسامات التي أوردها في كتابه *"مصباح الظلمة لإيضاح الخدمة"* في القرن الرابع عشر وذلك بمضاهاة النصوص في كلتا المخطوطتين.

٣.*مخطوطة قوانين البيعة* – محفوظة بمكتبة البطريركية والكنائس القديمة.

ثانياً–مراجع البحث:

١.وليم سليمان قلادة، دكتور، *كتاب تعاليم الرسل المسقولية* ، الطبعة الثانية ١٩٨٩، دار الثقافة.

٢.مجموعة ***NICENE & POST-NICENE FATHERS*** ، المجموعة الثانية، المجلد ١٤ الخاص بقوانين المجامع.

٣.*البيذاليون* باللغة اليونانية وترجمته باللغة الإنجليزية بإسم ***THE RUDDER***، وقد طبع في شيكاغو عام ١٩٥٧، وهو المرجع الرسمي لقوانين الكنيسة لدى الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية.

٤.حنانيا اليلس كساب، *مجموعة الشرع الكنسي*، جمع وتعليق، ١٩٨٥ منشورات النور، بيروت – لبنان. وهو تجميع لمخطوطات ومراجع عدة لقوانين البيعة الأرثوذكسية.

٥.عوني برسوم، المستشار ،*التقنين الكنسي*، ١٩٩٤، بيت الشمامسة القبطي بالجيزة.

٦.القمص مرقس داود، *تاريخ الكنيسة* تأليف يوسابيوس القيصري، ترجمة، الطبعة الثانية ١٩٧٩، مكتبة المحبة.

٧.إيريس حبيب المصري، *قصة الكنيسة القبطية*، الأجزاء الثالث والسادس إلى الثامن.

٨.جرجس فيلوثاوس عوض، ناشر، *المجموع الصفوي* لإبن العسال، (مخطوطة من القرن ١٣)، ١٦٢٤ ش. (١٩٠٨ م.)

(بخلاف المراجع الأخرى المذكورة في هوامش الصفحات قيد كل نص أو رأي.)

صورة الغلاف

أيقونة فريدة في رومانيا تمثل:

الكنيسة سفينة الخلاص

وسر الحياة الأبدية فيها

هو الهدف الذي يرصده الشيطان

هذه الأيقونة الفريدة موجودة في إحدى الكنائس الخمس الكائنة في دير هوريزي **HUREZI** المشيَّد فوق أحد الجبال برومانيا، وهي رسم حائطي (فرسكو) من القرن السابع عشر، وذات مغزى عميق وجميل! وقد اخترناها كغلاف لهذا البحث لأنها تُعبِّر عن الكنيسة أمنا وسفينة نجاتنا من هذا الدهر الحاضر الشرير لتنقلنا إلى ميناء الخلاص الأبدي.

وصف الأيقونة:

* سفينة كبيرة تمخر عباب نهر متحدِّية الأمواج. إنها رمز الكنيسة سفينة الخلاص على مثال سفينة نوح.

* والرب يسوع المسيح، رأس الكنيسة وأسقفها الكبير ورئيس رعاتها، عند دفة السفينة. فهو الذي يقود السفينة. والرسل الاثنا عشر يجدِّفون بمجاديف السفينة.

* وفي وسط السفينة يُرى بعض الأساقفة والكهنة واقفين حول مائدة، هي مذبح الكنيسة، وعلى المائدة قربان الإفخارستيا.

* وعلى شاطئ النهر يقف رؤوس الهراطقة الكبار الذين ظهروا في تاريخ الكنيسة المبكر: أريوس ونسطور ومقدونيوس، وفي أيديهم خطافات طويلة يحاولون بها أن يحوِّلوا السفينة عن مسارها السليم وأن يدفعوها بعيداً عن الطريق الذي يقودها فيه المسيح. ولكن هيهات لهم هذا!! فالمسيح هو ربان الكنيسة والماسك بدفتها، والموجِّه لمسارها لتصل إلى الملكوت سالمة. والرسل ماسكون بالمجاذيف رمز التعاليم الرسولية يحفظون استقامة تعليمها وحياتها.

* وفي موضع آخر على نفس الشاطئ، هناك فم مفتوح لتنِّين هائل، يمثِّل فكُّه السفلي عرشاً يجلس عليه أحد أباطرة التاريخ القديم وهو يحمل قوساً وسهماً مهيّأً للانطلاق تجاه السفينة.

* وإذا حدقنا النظر فيمن هو **هدف رماية السهم المهيّأ للانطلاق من قوس الإمبراطور:**

* هل هو موجَّه ناحية الرب يسوع المسيح؟ أم تجاه واحد من الاثني عشر رسولاً؟ أو ضد أحد

البطاركة أو الأساقفة أو الكهنة؟ أم ضد من؟ ...

ويقول أحد اللاهوتيين في كنيسة رومانيا الذي تأمل في هذه الأيقونة:

"...وبينما أنا أحاول جاهداً تحديد اتجاه السهم، انذهلتُ عند اكتشافي لهدف رماية السهم:

فليس الهدف هو الرب يسوع المسيح،

ولا هو بطرس أو يوحنا،

ولا هو أسقف أو كاهن،

* **ولكن هدف السهم: قربان الإفخارستيا الذي على المذبح!!"**

نعم! ليس الهدف هو المسيح ابن الله المتجسد، بل **حياة ابن الله المحفوظة في سرِّ الإفخارستيا**، باعتبارها سر حياة المؤمنين "خبز الحياة" ونجاة الكنيسة في كل الأجيال.

* إنها هي التي تثير رعب الشيطان دائماً. وهو يسعى بكل الوسائل لحرمان الشعب المسيحي الأرثوذكسي منها ! ولكن السهم لن يصيب الهدف أبداً.

* إنها جسد المسيح الحامل الحياة للمؤمنين به، الذي فيه الله حاضر حضوراً محسوساً بالإيمان، ليجدد البشرية الجديدة من حين إلى آخر ويحفظ الكنيسة من سهام إبليس وكل جنوده الرديئة.

* إنها هي أعز ما لدى الإنسان المسيحي والتي وإن هو فقد العالم كله، فهو لا يتصور أن يفقدها أو يحول بينه وبينها أحد، لأنها هي التي تحفظه طاهراً في هذا الدهر والتي ستكون هي قوام حياته والشفيع له في الدهر الآتي.

* لذلك فلا نعجب إن كانت الكنيسة كلها تلتئم أسبوعياً من أجل أن تتزود بسر الحياة الأبدية، وكل رتب الكهنوت تصطف قائمة دائماً أبداً من أجل خدمة هذا السر وصونه وتقديمه للمؤمنين، لا تمنعه عن أحد إلا في حال الخطية الأثيمة والعناد عن التوبة عنها فحسب.

* حفظ الله الكنيسة، وحفظ لها مذبحها قائماً على الدوام، وقدَّس قرابينها من جيل إلى جيل، واستعلن في وجوه كهنتها ورؤساء البيعة بمجده ومجد أبيه والروح القدس، واشتملهم بثياب البر أي حياة الطهارة والنقاء اللائقين بخدمة المذبح المقدس، وجعل أبوابها مفتوحة دائماً أمام وجوه المؤمنين شعب الله الأمين، في كل زمان ومكان. اللهم آمين.



أيقونة

الكنيسة سفينة الخلاص

(أنظر شرح الأيقونة صفحة ٣٠٠)



ج ١٠